حمراء كالدّم

PUNAINEN KUIN VERI

رواية

ببلوتيكا

سَالا سيموكّا

SALLA SIMUKKA



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

في غمرة يوم شتوي قارس وشديد الصقيع والبرد، شاءت الأقدار أن تدخل لوميكي أندرسون – التي كانت في السابعة عشرة من عمرها – صدفة غرفة تحميض الأفلام في مدرستها، وتعثر على مجموعة كبيرة من الأوراق النقدية القرمزية مغسولةً من بقع الدماء التي كانت تلطخها، ومعلّقة على الحبال لتجفّ. ولكن، دماء من هي يا ترى؟

تعيش لوميكي في شقة مكوّنة من غرفة واحدة، منفصلةً عن والديها وعن ماضٍ غامض أدارت له ظهرها عندما انتقلت إلى مدرسة مرموقة للفنون، حيث عزمت على أن تركز كل اهتمامها على التحصيل الدراسي والتخرج. ولتحقيق ذلك، كانت تتجاهل سخافات الطلبة وثرثرتهم، والحفلات التي يقيمها طلاب المدرسة وطالباتها الأكثر شعبية وجمالاً.

ولكن عثورها على تلك النقود الملطخة بالدم قلب المعادلة رأساً على عقب. ففجأة انجرفت لوميكي في دوامة أحداث متسارعة، وجدت فيها نفسها مدفوعة لتتبع مصدر تلك النقود الغامضة وأصلها. واتّخذت الأحداث منحى أكثر خطورة عندما أشارت الأدلة إلى تورط رجال شرطة فاسدين، ومروّج مخدرات سيئ السمعة ومعروف بالوحشية التي يدير بها أعماله الإجرامية.

وبينما كانت لوميكي تفقد السيطرة على عالمها الذي لطالما بنته ورتبته بحرص، اكتشفت كم كانت عمياء حيال الكثير من القوى التي تحيط بها، وخاضت سباقاً مع الزمن لتعيد الأمور إلى نصابها. وحين رأت الدم الأحمر القاني يلطخ الثلج الأبيض، أدركت عندئذ أن الأوان ربما يكون قد فات لكي تنقذ أصدقاءها أو حتى نفسها من مصير محتوم.

حمراء كالدَّم

Punainen Kuin Veri

رواية

بقلم

سَالا سيموكّا

Salla Simukka

ترجمها إلى الإنكليزية

أوين ف. وايتسمان

تعريب

أفنان محمد سعد الدين



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

في يوم من أيام الشتاء الباردة، وبينما أخــذت نــدف الــثلج تتساقط كالريش الأبيض من السماء، جلست إحدى الملكات تخيط بجانب نافذتها التي يحيط بها إطار من خشب الأبنوس الأسود البديع.

وبينما هي تخيط وتتأمل هطول الثلج، شكت الإبرة إصــبعها، فنــزفت منها ثلاث قطرات من الدم وسقطت على الثلج. تأملــت الملكة جمال اللون الأحمر على اللون الأبيض، وفكرت بينــها وبــين نفسها قائلة:

"ليتني أنجب طفلة بيضاء كالثلج، وحمراء كالدم، وسوداء الشعر كخشب الأبنوس الحالك الذي صنع منه إطار هذه النافذة".

يوم الأحد 28 شباط

1

غطى بساط أبيض ناصع متلألئ كل المكان حولها. فقبل خمس عشرة دقيقة، تشكلت على الثلج القديم طبقة جديدة نظيفة من رقاقات الثلج. قبل خمس عشرة دقيقة فقط، بدا كل شيء في نظرها ممكناً وقابلاً للتحقق. فالعالم جميل ومشرق، والمستقبل يلمع في الأفق البعيد بضوء ساطع ومفعم بالسلام والحرية؛ كل ذلك وجدته يستحق المراهنة عليه بكل ما تملك؛ حتى الورقة الأخيرة.

قبل خمس عشرة دقيقة، تناثرت ندف الثلج الزغبة كالريش، وانتشرت على الثلج القديم، ثم اختفت فجأة كما أتت وتبعتها خيوط أشعة الشمس متسللة من بين الغيوم. لم يأت أي يوم من أيام الشتاء بهذا الجمال والروعة.

أما الآن، فقد شهدت كل لحظة تمر امتزاجاً أكبر بين الأبيض والأحمر الذي أخذ ينتشر مؤكداً على وجوده القاني، ويتسرب من بين قطع الثلج البلّورية ويخضبها بلونه القرمزي. امتد اللون الأحمر الصارخ أكثر فأكثر حتى بات يشبه بقعة قرمزية ساطعة تلطخ الثلج.

حدقت **ناتاليا سميرنوفا** بعينيها البنيتين بالثلج الملطخ بالبقع الحمراء من دون أن ترى شيئاً أو تظن شيئاً أو تتمنى شيئاً أو تخشى شيئاً.

قبل عشر دقائق فقط، امتلأت نفس **ناتاليا** بالآمال والمخاوف أكثر من أي وقت مضى في حياتها؛ وهي تدس تلك الأوراق النقدية بيدين مرتجفتين داخل حقيبتها الباهظة، وترهف سمعها لأي صوت حفيف يصدر من الخارج؛ مهما كان خافتاً. حاولت أن تهدئ أعصابها وتطمئن نفسها بأن كل شيء على ما يرام. فقد وضعت خطة محكمة لهروبها، ولكنها أدركت في الوقت ذاته أنه لا توجد خطة مثالية وخالية من الأخطاء. فإن صرحاً مبنياً بكل دقة وعناية على مدى شهور طويلة من الممكن أن تنهار أركانه لأبسط هزة تُلم به.

قبل ذلك، وضعت في حقيبتها جواز سفر وتذكرة طائرة إلى **موسكو**. ولم تأخذ معها أي شيء آخر. فقد وعدها شقيقها أن ينتظرها في مطار **موسكو** ومعه سيارة مستأجرة مستعدة لنقلها مسافة مئات الكيلومترات إلى بيت ريفي لا يعرفه سوى عدد قليل من الناس، وهناك ستجد أمها بانتظارها برفقة ابنتها **أولغا** ذات السنوات الثلاث، تلك الابنة التي لم ترها منذ أكثر من سنة. ترى، هل ستتذكرها طفلتها الصغيرة؟ ولكن، لا يهم. فاختباؤها لشهر أو شهرين في الريف سيمنحهما متسعاً من الوقت للتعرف إلى بعضهما بعضاً من جديد؛ إلى أن تصبحا على يقين من أنهما بأمان بعد أن ينسى العالم كل ما يتعلق بامرأة اسمها **ناتاليا سميرنوفا**.

أخمدت **ناتاليا** ذلك الصوت اللجوج الذي راح يلح في رأسها ويردّد أن أحداً لن ينساها على الإطلاق، وأنهم لن يسمحوا لها بالاختفاء بهذه البساطة. وأكدت لنفسها أنها ليست على هذا القدر من الأهمية، وأن بوسعهم استبدالها بغيرها عندما تنشأ الحاجة لذلك، كما أن بذل الجهد في اقتفاء أثرها سيزعجهم بلا أي طائل.

في هذا النوع من المهن، يختفي بعض الناس بين الحين والآخر وبحوزتهم مبالغ من المال. فهذا الأمر مجرد إحدى مخاطر ممارسة هذه المهنة، أي خسارة لا يمكن تفاديها مثل التخلص من حبة فاكهة فاسدة في أحد محلات "السوبر ماركت".

لم تعدّ **ناتاليا** المبلغ المالي، بل قامت بمجرد حشو أكبر قدر منه في حقيبتها، فتجعدت بعض الأوراق النقدية، ولكن ذلك لا يهم. فورقة مجعدة من فئة خمسمائة يورو تساوي القيمة نفسها التي تساويها ورقة جديدة غير مجعدة. فلا يزال بإمكان المرء أن يشتري بها مؤونة ثلاثة أشهر من الطعام أو ربما أربعة أشهر إن توخى المزيد من الحرص، أو أن يدفعها ثمناً لقبول أحدهم التزام الصمت. بالنسبة للكثير من الناس، إن ورقة بخمسمائة يورو تساوي ثمن كتمان أحد الأسرار.

أما الآن، فقد تمددت **ناتاليا سميرنوفا** البالغة من العمر عشرين عاماً على بطنها، وخدها يلامس الثلج البارد من دون أن تشعر بلسع الجليد على بشرتها، أو ببرودة خمس وعشرين درجة تحت الصفر على شحمة أذنها العارية.

الأرض غريبة وربيعها بارد...

ناتاليا، أنت تتجمدين.

غنى ذلك الرجل لها هذه الأغنية بصوته الأجش بنبرة نشاز، فلم تعجب الأغنية **ناتاليا**. **فنتاليا** المذكورة فيها من **أوكرانيا** وهي من **روسيا**. ومع ذلك، فقد أحبت غناء ذلك الرجل الذي راح يترنم بكلمات الأغنية وهو يربت على شعرها. حاولت ألا تصغي إلى

الكلمات، ولحسن الحظ، وجدت ذلك سهلاً. فرغم أنها تعلمت بعض اللغة الفنلندية وباتت تفهم أكثر مما تستطيع أن تتحدث، غير أنها عندما توقفت عن بذل أي مجهود للفهم وسمحت لعقلها بالاسترخاء، تدفقت الكلمات الأجنبية خلف بعضها، وفقدت معناها، وتحولت إلى مجرد مجموعات من الأصوات التي تخرج من فم الرجل وهو يترنم بها بجانب أذن **ناتاليا**.

قبل خمس دقائق، فكرت **ناتاليا** بذلك الرجل ويديه الخرقاوين بعض الشيء. ترى، هل سيفتقدها؟ ربما سيفتقدها قليلاً؛ قليلاً فقط. ولكن ليس بالقدر الكافي؛ لأنه لم يحبّها حباً فعلياً. ولو أنه أحبها، لحل مشاكلها نيابة عنها كما وعدها مرات عديدة. والآن، توجب على **ناتاليا** أن تحل مشاكلها بنفسها.

قبل دقيقتين، أغلقت **ناتاليا** حقيبتها المنتفخة والمليئة بالأوراق النقدية. فأصلحت هندامها بسرعة، ثم ألقت نظرة خاطفة على نفسها في المرآة في القاعة الأمامية: شعر أشقر باهت، وعينان بنيتان، وحاجبان رقيقان، وشفتان حمراوان لامعتان. بدت شاحبة وتحيط بعينيها هالتان سوداوان بسبب السهر ليلاً. همت بالمغادرة، وشعرت في فمها بطعم الحرية والخوف، ولكل منهما طعم لاذع.

قبل دقيقتين، نظرت إلى انعكاس صورة عينيها ورفعت ذقنها. لقد أدركت أن هذه هي فرصتها للهرب، وقررت أن تستغلها.

سمعت **ناتاليا** المفتاح يدور في القفل، فتسمرت في مكانها وأرهفت السمع. وسمعت وقع خطوات قليلة، ثم وقع خطوات شخص ثانٍ ثم ثالث. إنهم الثلاثي! نعم، الثلاثي قادمون عبر الباب.

كل ما عليها فعله الآن هو الهرب.

قبل دقيقة واحدة، أسرعت عبر المطبخ متجهة نحــو الشــرفة. وعبثت بالقفل بارتباك محاولة أن تفتحه. وأخذت يــداها ترتجفــان بشدة لدرجة أنها لم تستطع أن تفتح الباب. وعندئذ، انفتح البــاب بأعجوبة ما، فأسرعت **ناتاليا** عبر الشرفة المغطاة بطبقة مــن الــثلج متجهة إلى الحديقة. وغاصت جزمتها الجلدية داخل ركــام الــثلج، ولكنها حثت الخطى من دون أن تنظر إلى الــوراء. لم تســمع أي شيء، ففكرت للحظة أنها قادرة على النجاة بجلدها، وأنها تستطيع أن تهرب من مصيرها، وأنها على وشك أن تفوز أخيراً.

قبل ثلاثين ثانية، أطلق مسدس مزوّد بكــاتم صــوت طلقــة مكتومة، فاخترقت ظهر معطف **ناتاليا** وجلدها، وبالكاد أخطــأت عمودها الفقري ومزقت أعضاءها الداخلية وأخيراً مقبض حقيبتــها الجلدية الباهظة التي تشبثت بها أمام صدرها. فسقطت منكبّة علــى وجهها فوق الثلج النقي الذي لم يمسه أحد بعد.

والآن، تابعت بركة الدم الحمراء تحت **ناتاليا** تمــددها في كــل الاتجاهات صابغة الثلج الأبيض من حولها باللون الأحمر. ابتلع اللون الأحمر الدافئ ما حوله بشراهة، ولكنه بدأ يبرد بمرور كــل دقيقــة. اقترب وقع خطوات بطيئة وثقيلة من جثة **ناتاليا سميرنوفــا** الممــددة على الثلج، ولكنها لم تسمع شيئاً.

الاثنين 29 شباط

في وقت مبكر من الصباح

2

تدافع ثلاثة أشخاص عند أحد الأبواب، وكل واحد منهم يريد أن يكون أول من يدخل.

"هيا، أفسح لي المجال لكي أتمكن من إدخال المفتاح في الثقب".

"لا يمكنك ذلك، أيها الأخرق".

تردّد صوت ضحك وهمس والمزيد من الضحك.

"توقفا عن الضجيج! ها نحن ذا. نعم، نجحت. والآن، أديره ببطء... ببطء شديد. هذا مدهش. أعني، هل يمكن التصديق أنه بوسع المرء أن يفتح باباً بمجرد إدارة مفتاح؟ كيف توصل أحدهم إلى ابتكار نظام مدهش كهذا؟ إن أردتما رأيي، فهذه هي الأعجوبة الثالثة عشرة من عجائب الدنيا".

"هيا، اخرس وافتح الباب".

دفع الثلاثة الباب وفتحوه على مصراعيه، ثم ولجوا منه جميعاً متزاحمين حتى كاد أحدهم يسقط على الأرض. بدأ آخر يطلق صيحات عالية ثم يضحك بسبب كيفية تردد صدى الصيحات في الغرفة الخالية. وحك الثالث رأسه، ثم بدأ يدخل رمز جهاز التنبيه من اللصوص رقماً تلو آخر.

"واحد... سبعة... ثلاثة... اثنان. يا للروعة! لقد نجحت. وهذه هي الأعجوبة الرابعة عشرة من عجائب الدنيا، أي أن تتمكن من تعطيل منبه بمجرد ضغط بعض الأزرار. رائع! الآن، عرفت ما سأصبح عليه عندما أكبر. نعم، سأصبح حداد أقفال. هذه مهنة جيدة، أليست كذلك؟ أي أن أقوم بتصنيع الأقفال، هذا ما أعنيه حقاً، أو ربما أصبح حارساً".

لم يعد الاثنان الآخران يصغيان إليه بعد الآن، وبدلاً من ذلك راحا يركضان على طول الممرات الفارغة في الظلام وهما يصرخان ويضحكان ضحكاً مكبوتاً. فانطلق الثالث خلفهما، وتردد صدى ضحكهم بين الجدران نحو الدرج.

"نحن الأبطال!".

"ونحن فاحشو الثراء!".

ارتطموا ببعضهم عن قصد، وسقطوا على الأرض وهم يتدحرجون ويضحكون، وتمددوا فاردين أذرعهم وسيقانهم على الأرض المكسوة بالسيراميك، ثم تذكر أحدهم شيئاً ما".

"إننا أغنياء بالفعل، ولكن النقود ملوثة".

"نعم، إنها نقود قذرة قذرة قذرة".

"يفترض بنا الدخول إلى غرفة التحميض لتنظيفها، لهذا السبب أتينا إلى هنا".

ليتهم وحسب استطاعوا أن يتذكروا ما حدث. فقد كانت ذاكرة كل منهم أشبه بسديم مبهم تلوح فيه ومضات من أحداث فردية تلمع في أذهانهم وتفصل بينها فواصل عشوائية: شخص ما يتقيأ، وآخرون يغطسون في إحدى البحيرات، وباب مقفل لا ينبغي

أن يكون مقفلاً، وزهرية كريستالية مكسورة جرحت قدم أحدهم، ودماء تنــــزف، وموسيقى صاخبة تصدح بصوت مرتفع: *عفواً، لقد فعلتها مرة أخرى! من يدري لماذا، ولكنني لعبت بقلبك وخسرت في اللعبة*، وفتاة تبكي بكاء مريراً وتقول إنها لا تريد مساعدة من أحد، وأرضيات زلقة من الشراب المنسكب عليها تفوح منها رائحة حادة وحلوة في آن معاً.

رفضت الذكريات في أذهانهم أن تتخذ أي ترتيب منطقي. من أحضر الكيس؟ متى أحضره؟ من فتحه ووضع يده فيه ثم نـــــزعها بسرعة ولعق إصبعه؟ متى فهموا ما يجري؟

يجب عليهم أن يأخذوا شيئاً بسرعة الآن.

"هل بقي لديكم شيء، يا شباب؟".

"لدي هذه".

ثلاثة حبوب، واحدة لكل منهم. وضع كل منهم واحدة علـــى لسانه وتركها تذوب ببطء.

"هذا ممتع جداً. نعم، إنه ممتع جداً".

في غرفة التحميض ساد الظلام. فأشعل أحدهم الضوء.

"ليكن هناك ضوء".

كان الكيس على الطاولة مفتوحاً على وسعه.

"يا إلهي! رائحته كريهة".

"إن رائحة المال ليست كريهة. المال لا تفوح منه رائحة كريهة أبداً".

"هذه كومة كبيرة من المال ذي الرائحة الكريهة".

"وسوف نتقاسمه نحن الثلاثة بالتساوي".

"هذا مقزز جداً! لم يحدث لي شيء من هذا القبيل في حيـــاتي. أحبكما، أحب العالم كله".

"هيا، لا تبالغي بكلامك السخيف هـــذا. ســـتجعلينني أفقـــد تركيزي".

"الآن، حان وقت القيام ببعض التنظيف".

صواني التحميض وماء وأوراق نقدية.

كل ما توجب عليهم فعله في تلك اللحظة هو تعليق كل ورقة نقدية على حدة لتجف.

"هذا هو المعنى الحقيقي لغسل الأموال".

الاثنين 29 شباط

3

"هيا انهضي، أيتها الكسولة! لا تفكري مجرد تفكير بالتقلب على سريرك!".

ملأ الصراخ أذني **لوميكي أندرسون**. ولسوء الحظ، فقد وجدت ذلك الصراخ مألوفاً جداً لأنه صوتها هي. فقد سجلت صوتها على هاتفها كنغمة تنبيه لأنها اعتقدت أن هذا سيساعدها على النهوض من سريرها الدافئ بشكل أفضل من أي شيء آخر. ونجحت طريقتها؛ ففكرة التقلب في سريرها لم تخطر ببالها.

جلست على حافة سريرها والغشاوة تكسو عينيها. وألقت نظرة خاطفة على التقويم ذي الرسم الكرتوني المعلق على الجدار. يوم الاثنين التاسع والعشرون من شباط. إنه أكثر يوم عديم القيمة في العالم. لم لا يمكنهم أن يجعلوه يوم عطلة قومية؟ فهو مجرد يوم زائد عن الحاجة. لماذا ينبغي على أي أحد أن يفعل فيه أي شيء مفيد أو منتج؟

دست **لوميكي** قدميها في خفها الأزرق الزغب، ومشت مجهدة إلى ركن المطبخ، ثم حددت عيار القهوة والماء، فهي لم تكن تنوي أن تنضم إلى عالم الأحياء صباح ذلك اليوم من دون شرب فنجان ثقيل من قهوة "الإسبريسو". بدا المكان في الخارج حالك الظلمة، والوقت مبكراً لكي يستيقظ المرء فيه. ومن دون أي ضوء ينعكس عليها، لم

تساعد ندف الثلج الطويلة المتساقطة في إضفاء أي إضاءة على المكان. يبدُ أن ذلك الجو المظلم الكئيب سيرحل، بل آثر أن يحكم قبضته على أنحاء **فنلندا** كافة ويخنقها حتى شهر آذار.

لطالما أبغضت هذه الفترة من فصل الشتاء، فهي فترة لا يفارقها تساقط الثلج والبرد القارس. لم يكن حلول الربيع يلوح في الأفق، بل تواصل الشتاء بكل قسوته، ولم يترك أي بصيص أمل في عودة الدفء، وجعل الحياة تسير ببطء؛ وكأنها تكاد تتجمد من الملل والضجر. لم يفارقها البرد في البيت أو خارجه أو في المدرسة. ومما يثير العجب، أنها في بعض الأحيان كانت تجد أن الوقت الوحيد الذي لا تشعر فيه بالبرد هو عند السباحة في الحفرة التي تركوها مفتوحة في الجليد عند شاطئ السباحة، ولكنها أدركت أنه ليس بوسعها أن تقضي كل يومها وهي تسبح فيها. واليوم، ارتدت **لوميكي** كنزة صوفية رمادية كبيرة، وصبت لنفسها فنجاناً من القهوة. وبعد ذلك، ذهبت إلى الغرفة الحقيقية الوحيدة في شقتها الصغيرة الضيقة، وهي غرفة مساحتها سبعة عشر متراً مربعاً، وجلست على كنبة وقد وضعت ساقيها تحتها لتحاول أن تبعث الدفء في جسدها. ولكن رياحاً باردة تسللت من النافذة رغم أنها بدت مغلقة بإحكام.

كانت نكهة القهوة التي شربتها عادية، ولكنها لم تتوقع أي شيء آخر منها. فهي لم تستطع قط أن تتحمل كل أنواع القهوة تلك المنكهة بالشوكولاتة والبندق والفانيليا والمحلاة، بل لطالما فضلت قهوتها سوداء وثقيلة؛ كما تحب الحقائق المباشرة البسيطة، وشقتها المتواضعة المعدة للعيش. هكذا أحبت أن تعيش حياتها.

أصابت الصدمة والدتها في المرة الأخيرة التي زارتها فيها في شقتها، وقالت لها: "أما آن الأوان لكي تفرشي شقتك وتجعليها تبدو كبيت حقيقي؟". ولكنها لم ترغب بذلك. كانت **لوميكي** تقيم في هذه الشقة منذ سنة ونصف. فلم تضع فيها أكثر من فراش سميك على الأرض كسرير لها، ومكتب وكمبيوتر محمول وكرسي مريح. في الأشهر القليلة الأولى، أصرت والدتها أن تشتري **للوميكي** سريراً ومكتبة، ولكن الابنة رفضت بإصرار. فظلت كتبها موضوعة في أكوام على الأرض. وكان الغرض الزخرفي الوحيد الذي زين غرفتها هو التقويم ذا الرسم الكرتوني بالأبيض والأسود. لماذا قد تكلف نفسها عناء بناء عش للاستقرار؟ فلم يكن هذا برنامجاً من برامج تلفزيون الواقع. لقد قررت أن تعيش هناك لبعض الوقت إلى أن تنهي دراستها الثانوية. ولم تعتبر الشقة بيتاً؛ بمعنى الرغبة بالاستقرار فيها لفترة أطول من الوقت الضروري. فإن تخرجت **لوميكي** من المدرسة الثانوية، باتت حرة للمغادرة والذهاب إلى أي مكان تريده، من دون أن يتوجب عليها أن تفتقد أحداً أو أي شيء.

ولم تكن تعتبر العيش على بعد سبعين ميلاً مع والديها في **ريهيماكي** موطناً لها. ففي هذه الأيام، أصبحت تشعر أنها غريبة في ذلك البيت. فالأثاث والزينة لم تعد تذكرها سوى بأمور تفضل أن تنساها؛ أمور تذكرها مراراً في أحلامها وكوابيسها.

أتى رد فعل والديها على انتقالها من البيت مليئاً بالمتناقضات الغريبة. فقد شعرت في بعض الأحيان أن انتقالها شكل راحة لهما. صحيح أن التوتر كان المزاج السائد في البيت، ولكن ذلك المزاج لم يتغير حسب معرفة **لوميكي** طوال حياتها. لم تستطع أن تتذكر منبع

ذلك التوتر ومصدره، لأنها لم تر والديها يتشاجران قط و لم ترفع صوتها في وجهيهما أبداً. وعندما أوشك موعد انتقالها أن يحين، منحها والداها الكثير من العناق الطويل المتكرر، وهذا ما وجدته تصرفاً غريباً ومزعجاً بعض الشيء؛ لأن هذا التصرف لم يكن من عادة عائلتها.

كانت والدة **لوميكي** بعد أن تعانقها تمسك بوجهها بين يديها وتمعن النظر إليها مطولاً؛ إلى أن يتحول تصرفها إلى شيء غريب، ثم تقول: "كل ما نملكه هو أنت، أنت وحدك".

كررت أمها هذا الكلام مراراً؛ وهي تنظر إليها وكأنها ستنفجر باكية في أية لحظة، فبدأت **لوميكي** تشعر بالانزعاج. وعندما انتقلت حاجياتها أخيراً إلى **تامبيري** بمساعدة والديها وأغلقت الباب للمرة الأولى بعد مغادرتهما، شعرت أن عبئاً ثقيلاً لم تدرك من قبل أنها تحمله قد انزاح عن كاهلها.

"هل أنت واثقة من أنك ستكونين على ما يرام هنا؟".

لطالما طرحت أمها عليها هذا السؤال. أما والدها، فقد اتخذ أسلوباً عملياً أكثر، فقال لها: "باتت الفتاة مسؤولة عن نفسها أخيراً، وعليها أن تتكيف مع هذا الوضع الجديد". وهذا هو بالضبط ما قررت أن تفعله. فطفلة والدها الكبيرة صممت أن تتكيف مع وضعها بشكل أفضل بمرور كل يوم.

بدت الفتاة التي أطلت عليها من مرآة الحمام في صباح ذلك اليوم منهكة. فقد أخذ الكافيين في القهوة يفعل مفعوله في جسدها ببطء شديد. وبعد أن غسلت وجهها بماء بارد، جمعت **لوميكي** شعرها البني إلى الخلف في تسريحة ذيل حصان. لقد أطلق عليها

والدها اسماً ليست له أية علاقة بحقيقتها. فشعرها لم يكن أسود اللون، ولا بشرتها لامعة كالثلج، ولا شفتاها مخضبتين بلون أحمر قانٍ. من قد يطلق اسم بياض الثلج على ابنته؟ لم يكن اسماً سيئاً باللغة الفنلندية، ولكنها تساءلت عن سبب عدم إطلاقهما عليها اسماً سويدياً وفقاً لعائلة والدها. ظل بوسعها بالطبع أن تجعل صورتها في المرآة مطابقة لاسمها، عن طريق اللجوء لبعض صبغة الشعر ومساحيق التجميل، ولكنها لم تجد أي طائل من ذلك. فقد بدا لها انعكاس صورتها الحقيقية في المرآة مرضياً تماماً من وجهة نظرها. أما آراء الناس الآخرين، فهي غير متعلقة بالموضوع.

فكرت **لوميكي** بما تريد أن ترتديه للمدرسة لثلاث ثوان بالتحديد، ثم قررت أن تبقي على كنزتها الرمادية، وترتدي سروال جينز وسترة صوفية سوداء ووشاحاً أخضر اللون وقفازين وقبعة صوفية رمادية وتنتعل جزمة طويلة، وتحمل حقيبة ظهر.

شعرت بالجوع يقرص معدتها، ففتحت الثلاجة، ولكنها وجدتها معتمة. فالمصباح انكسر منذ بضعة أسابيع، ولم تشعر بالرغبة في تغييره. لذا، قررت أن تشتري شطيرة من مقهى المدرسة، أو ربما اثنتين وبالتأكيد المزيد من القهوة.

قابلتها عند باب المدرسة الضجة الجنونية المألوفة نفسها التي لطالما عهدتها. فقد راح الجميع يتحركون في الأنحاء بسرعة محمومة وهستيرية، ويصيحون لبعضهم بعضاً معتذرين عن ضيق وقتهم. لطالما كان طلاب المدرسة الثانوية فصحاء ومبدعين في وسائلهم للتعبير عن أنفسهم. أدركت **لوميكي** أن تفكيرها لا يخلو من اللؤم، ولكنها

وجدت أن رؤية ملابس زملائها الملونة وتصرفاتهم الدرامية المبالغ فيها مهمة تشق على النفس. لقد ساد اتفاق غير معلن بين جماعة الطلاب في ما يتعلق بالحدود التي يلتزمون بها ليبدو كل واحد منهم مختلفاً عن غيره ومتفرداً في أسلوبه؛ ولكن بطريقة متشابهة في الوقت نفسه. رغم أنها لم تخفِ انزعاجها، فلطالما شعرت **لوميكي** بالامتنان لوجودها هنا. إذ أيقنت أن التحاقها بهذه المدرسة امتياز لا يتسنى للجميع الوصول إليه. لم يعد يتوجب عليها التواجد في **ريهيماكي** بعد الآن. فالهرب من هناك شكل من وجهة نظرها السبب الرئيس للالتحاق بهذه المدرسة. ربما عانى والداها من وقت عصيب في قبول فكرة انتقالها إلى مدينة كبيرة كتلك، ولكن التحاقها بمدرسة مرموقة للفنون شكل سبباً كافياً لإقناعهما بالموافقة. خلال الفصول الأولى التي أمضتها في الدراسة، شعرت **لوميكي** أنها ماتت وذهبت إلى مكان أفضل، ثم تلاشى ذلك الشعور تدريجياً عندما بدأت تعتاد على الروتين، وأدركت مدى الغيرة والتكلف والتظاهر والتكبر وعدم الأمان التي تختفي وراء كل تلك الابتسامات السعيدة المرسومة على وجوه الناس حولها.

لحسن الحظ، لم تكن المدرسة صاخبة فقط بل دافئة أيضاً. فبدأت أطراف **لوميكي** المتيبسة تعود إلى الحياة شيئاً فشيئاً. وأدركت أن ذلك الوخز الذي لا يطاق سيباغتها حالما يبدأ الدم بالتدفق في أصابع يديها وقدميها مرة أخرى. ففكرت أنه كان ينبغي عليها أن ترتدي زوجين من الجوارب الصوفية تحت جزمتها. علقت **لوميكي** معطفها على مشجب، ثم أسرعت إلى الطابق السفلي متجهة نحو غرفة الطعام والمقهى المجاور لها.

سألت الطاهية عندما رأت **لوميكي**: "أتريدين شطيرة بالخضار أم بلا خضار؟".

فأجابت: "أريد واحدة من كل نوع، وفنجاناً كبيراً من القهوة".

قالت الطاهية ضاحكة وهي تصب القهوة في الفنجان الورقي حتى حافته: "ولا داعي لترك أي مجال للحليب".

جلست **لوميكي** بجوار إحدى الطاولات بينما بدأ الدفء يتسرب شيئاً فشيئاً إلى جسدها. آه، ليست هناك وسيلة لتجنب ذلك الشعور الواخز! أحاطت فنجان القهوة بيديها قليلاً، ثم تناولت قضمة من شطيرتها. فوجدتها كبيرة ولذيذة، والطماطم فيها ناضجة والفلفل مقرمش. أصبحت **لوميكي** نباتية بهدف خفض ميزانيتها الشخصية. فلم تعد تشتري اللحم بنقودها الخاصة، ولكن إن اشترى شخص آخر لها اللحم وطبخه، لم تكن تجد أي مانع في تناوله. قد تكون بتصرفها هذا منافقة، ولكنها وجدت هذه الوسيلة ناجحة.

جاءت ثلاث فتيات إلى الطاولة المجاورة، وشعر إحداهن الأشقر يتمايل، فيما شعر الثانية الداكن القصير مجعد، بينما بدا شعر الثالثة الأحمر متقصفاً بشكل واضح. وعبقت روائح العطور الشهيرة من أفخم الماركات العالمية في الجو.

"سينفجر رأسي إن ظل يعاملني اليوم بجفاء وكأنه لا يراني. إن ظن أن بوسعه أن يلهو معي كما يحلو له في الحفلات ثم يتجاهلني في المدرسة، فعليه أن يعيد التفكير في أسلوبه هذا. من الصعب عليّ أن أصدق أنه بلغ الثامنة عشرة من عمره".

"أما أنا، فسينفجر رأسي في كل الأحوال. ما كان ينبغي لي أن أحتسي كؤوس الشراب الأخيرة تلك. لست أدري حتى ما الذي احتوته".

"حسناً، نحن على الأقل اكتفينا باحتساء الشراب".

ظهر تعبير صدمة مصطنعة في عيني زميلتها المفتوحتين على وسعهما.

"أنت لا تقصدين...؟".

"حسناً، يجب أن تكوني عمياء لئلا تلاحظي بؤبؤي عيني **إليزا**، يا صديقتي. فقد بدت شديدة الاضطراب".

"لطالما بدت كذلك".

تبادلت الفتيات نظرات ماكرة، وقرّبن رؤوسهن من بعضها، ورحن يتهامسن. فأكملت **لوميكي** شرب فنجان قهوتها ونظرت إلى الساعة. وجدت أنه لا تزال أمامها عشر دقائق قبل بدء الحصة الأولى. نهضت على قدميها، وأخذت شطيرتها الثانية وغادرت. فهي لم تعد قادرة على تحمل الاستماع إلى حديث مافيا العطور عند الطاولة المجاورة. وبدأت الرائحة تصبح غير محتملة.

كانت تركيبة المدرسة الاجتماعية بسيطة نسبياً.

فهناك الفتيات السطحيات اللواتي يكترثن للمظاهر أكثر من أي شيء آخر ويرغبن بالالتحاق بكلية الحقوق أو الأعمال، ولكنهن التحقن بمدرسة الفنون لأنهن أحرزن درجات متفوقة ولأنهن "يتسمن بالإبداع حسب ادعائهن".

وهناك فنانون كبار ومفكرون أكبر يعتبرون المدرسة وسيلة للتباهي والتفاخر.

وهناك عباقرة الرياضيات الذين يبدون على الدوام في حالة ضياع بعض الشيء.

كل هذا بالإضافة إلى الطلاب الطبيعيين العاديين الذين يملأون الممرات، ويحتشدون على السلالم، ويشكلون صفوفاً طويلة في المقهى، وكلهم يبدون بالشكل نفسه، ويتحدثون بالطريقة نفسها وتفوح منهم الرائحة نفسها. فلم يكن أحد ليتذكر أسماءهم بعد عدة سنوات؛ إذ لا أحد يتذكرها الآن.

رغم ذلك، لم تخلُ المدرسة من بعض الطلاب الأذكياء الذين يتسمون باللطف والدماثة. لم تعتد **لوميكي** النظر بازدراء إلى بقية الطلاب الآخرين. فقد أدركت أن الأدوار التي يلعبها الكثير من الناس مجرد أقنعة يلبسونها في بداية اليوم الدراسي ليصبح عثورهم على موقع مناسب لهم في مجتمع الطلاب أمراً يسيراً. فلم تلم أحداً على تصرفه ذلك، ولكنها في يومها الأول في المدرسة الثانوية قررت أنها لن تدع نفسها تحشر في أي تصنيف من أي نوع كان. ورفضت أن تسمح لأحد بأن يلحقها بجماعة معينة ليساعد هذا الأمر الآخرين في التوصل إلى استنتاجات سهلة عنها وعن شخصيتها.

في البداية، راقبت **لوميكي** عملية تشكل تلك الفروع والجماعات والزمر بقليل من الاهتمام والفضول. واحتفظت بموقع خاص بها على الهوامش، ولكنها لم تكن من أولئك المهووسين بالوحدة والمنطوين على أنفسهم الذين يرتدون ملابس سوداء طوال الوقت. فقد كان الناس يتذكرون اسمها.

لوميكي أندرسون، الفتاة الفنلندية السويدية القادمة من **ريهيماكي**، تلك التي تبدي رأياً حذراً حيال كل شيء، والتي تحرز

علامات تامة في الفيزياء والفلسفة.

تلك التي لعبت دور **أوفيليا** في مسرحية **هاملت** ببراعة كبيرة؛ لدرجة أن أستاذين فقدا صوابهما، والباقين ذرفوا الدموع تأثراً.

تلك التي لم تشارك في أي من ألعاب المدرسة أو حفلاتها.

تلك التي لطالما تناولت طعامها بمفردها؛ ولكن من دون أن يبدو عليها الشعور بالوحدة قط.

بدت أشبه بقطعة من أحجية لا تنطبق في أي مكان، ولكن يمكنها فجأة أن تملأ أي فجوة يُراد منها أن تملأها.

كانت مختلفة عن الآخرين.

كانت شديدة الشبه بالآخرين.

اقتربت **لوميكي** من غرفة التحميض، وألقت نظرة خاطفة على الممر من كلا الجانبين، فلم تجد أحداً في الأنحاء، لذا أسرعت بالدخول وأغلقت الباب خلفها. وجدت المكان مظلماً. فتحت الباب الداخلي بشكل تلقائي من دون أن تفكر أو تلتمس طريقها بارتباك؛ لأن يدها حددت المسافة من الذاكرة. ظلام دامس وصمت وسلام ولحظة تقضيها بينها وبين نفسها قبل أن يبدأ اليوم الدراسي فتساعدها على تركيز انتباهها وإعادة شحن طاقتها. بات هذا طقساً تمارسه بشكل يومي ولا أحد آخر يعرف عنه، وعادةً تعتبر صدى للماضي وجزءاً أصيلاً من الحاضر في آن معاً. طيلة سنوات عديدة، شعرت **لوميكي** بالحاجة للعثور على أماكن للاختباء فيها بسبب الخوف. فالعثور على زوايا سرية وعلى واحات آمنة شكّل حبل النجاة في حياتها الماضية. أما في هذه الأيام، فلم تعد لذلك علاقة

بالخوف، بل بالرغبة بالعثور على مساحتها الخاصة في مكان يشاركها فيه الجميع. وهكذا، وجدت في هذه الغرفة المظلمة ملاذاً يمكنها فيه أن تستجمع أفكارها لبضع ثوان قبل أن تخرج ثانية إلى غمرة كل أولئك الناس بثرثرتهم وأصوات آرائهم ومشاعرهم المتنافرة.

اتكأت **لوميكي** على الجدار، وحدقت بالظلام، وبدأت تخلي ذهنها من الأفكار؛ فكرة تلو أخرى. كان من السهل التخلص من الاهتمامات اليومية التافهة التي تدور حول محور درس الرياضيات القادم، أو الذهاب إلى متجر البقالة بعد المدرسة، أو التفرج على التلفزيون في المساء، أو لعب الرياضة القتالية في صالة الرياضة. ولكنها الآن لسبب مجهول لم تستطع أن تتخلص من الضجة التي شوشت ذهنها. فهناك شيء ما دفعها إلى الخلف ثم تدخل وأقحم نفسه بإصرار.

رائحة غريبة!

لقد فاحت في غرفة التحميض رائحة مختلفة عن العادة، ولكنها لم تستطع أن تحدد بالضبط نوعية تلك الرائحة. تقدمت خطوة إلى الأمام، فلامس شيء ما خدها بلطف. قفزت إلى الخلف متراجعة، وأشعلت الضوء الأحمر الآمن.

ورقة بمائة يورو!

بل عشرات الأوراق من فئة مائة يورو معلقة في الغرفة المظلمة لتجف. ترى، هل هي حقيقية؟ لامست **لوميكي** سطح الورقة الأقرب إليها. فبدا الورق حقيقياً على الأقل. أمعنت النظر لتتأكد من أنه لا توجد أي صور يتم تحميضها في صواني التحميض، ثم أشعلت الضوء العادي.

بدت الأوراق النقدية واضحة في الضوء. رأت الصورة المائية والأرقام الشفافة وكذلك خيوط الأمان. إن لم تكن هذه الأوراق النقدية حقيقية، فلا بد أنها نسخ مزورة مصنوعة بغاية الإتقان.

كان السائل في صواني التحميض ذا لون بني مائل للبرتقالي. فلمسته **لوميكي** بإصبعها ووجدت أنه ماء.

تفحصت أرضية غرفة التحميض ووجدتها مغطاة بلطخات بنية محمرة، ثم نظرت إلى زاوية إحدى الأوراق النقدية التي لها اللون البني نفسه المائل للاحمرار. وفي تلك اللحظة فقط فهمت ما الذي أزعجها في ذلك الظلام.

إنها رائحة دم قديم وجاف.

4

راحت **لوميكي** تتأمل من نافذة غرفة الصف الأشجار المتجمدة اللامعة، والمقبرة الصغيرة القديمة. ولكن تلك الطبيعة البيضاء الخلابة لم تعد تثير اهتمامها، إلا أنها وجدت التحديق بها أسهل من التحديق بالدرس المكتوب على السبورة؛ لأن عقلها أراد أن يفكر بأي شيء آخر غير درس الرياضيات.

قبل أن تحضر إلى الصف، تركت الأوراق النقدية في مكانها، وأغلقت باب غرفة التحميض، ولم تنبس بكلمة عن هذا الموضوع لأحد. فقد شعرت أنها بحاجة لفترة للتفكير بما تريد فعله.

إن الطريقة الأكثر سهولة لشق المرء طريقه في الحياة هي الابتعاد عن التدخل بشؤون الآخرين قدر المستطاع.

اتخذت **لوميكي** هذا الكلام شعاراً لها لسنوات. فلا للتدخل، ولا للفوضى، ولا لإقحام أنفها في شؤون الآخرين. فإن التزم الإنسان بالهدوء ولم يتكلم إلا عندما يكون لديه شيء مهم ليقوله بعد التفكير فيه ملياً، فإنه يعيش بسلام. حتى تلك اللحظة، لم يخطر ببالها سوى أن تنسى الموضوع برمته وتتظاهر أنها لم تر تلك الأوراق النقدية المغسولة من الدماء التي لطختها. ولكن لسوء الحظ، أدركت أن هذا ليس خياراً متاحاً لها. فقد ظلت صورة تلك الأوراق راسخة في

ذهنها كما ترسخت رائحتها المقززة في أنفها. وأدركت أن الأفكار لن تتركها وشأنها إلى أن يصبح لديها مفتاح تستوضح به حقيقة هذا اللغز الغريب.

كان ينبغي عليها على الأرجح أن تبلغ المدير، وبتلك الطريقة تستطيع أن تتجاوز المسألة برمتها وتخرجها من دائرة أفكارها. فربما للنقود علاقة بمشروع فني ما، ولكنها في تلك الحالة لا يمكن أن تكون حقيقية. ومع ذلك، من ذلك الشخص الذي قد يكبد نفسه عناء صنع نقود مزيفة للعب؟ فقد بدت الأوراق حقيقية جداً لدرجة أن الشرطة من المؤكد أنها ستعتبرها نقوداً مزورة. وتزوير النقود جريمة يعاقب عليها القانون.

أم إن الأوراق النقدية حقيقية؟!

لم تستطع **لوميكي** أن تتوصل إلى أي سبب وجيه يدفع أحداً إلى أن يقرر غسل هذا المبلغ من المال في غرفة تحميض المدرسة الثانوية، وفوق ذلك يتركه هناك خلف باب غير مقفل. لقد بدا ذلك محض سخافة. واصل دماغها الإلحاح عليها لتعثر على تفسير منطقي، ولكن من دون أي جدوى. فأغمضت عينيها، وتخيلت الأوراق النقدية معلقة على حبال التجفيف. شعرت أن هناك عاملاً حاسماً ومهماً سيكشف عن الجواب، ولكنه مفقود من الصورة التي في ذهنها. لم تكن ذلك التحري الشهير **شارلوك هولمز** الذي ربما كان سيلقي نظرة واحدة على المكان ثم يعيد بناء سلسلة مترابطة من الأحداث تؤدي إلى تحديد سبب تعليق النقود في غرفة التحميض لتجف.

قررت **لوميكي** أن تتحدث إلى المدير. وفكرت أنه ينبغي عليها أن تأخذ المال إليه بنفسها وتريه إياه. أم إنه لا ينبغي عليها لمسه؟

سطعت الشمس بقسوة على أغصان الأشجار التي استجابت لها بوميض يبهر الأبصار لدرجة أنه آلم عينيها. حتى في غرفة الصف الدافئة تلك، استطاعت **لوميكي** أن تسمع صراخ البرد في الخارج. فارتعشت وشعرت أن الهواء الراكد في غرفة الصف يخدر قواها العقلية، فتمشت أفكارها في ذهنها ببطء، وكأنها تشق طريقها عبر أرض مكسوة بالوحل اللزج.

ثم اتخذت قرارها.

توجهت **لوميكي** نحو غرفة التحميض رغبة منها بأن تتأكد مما رأته صباح ذلك اليوم. فقد بدا المشهد برمته بالغ الغرابة؛ حيث خُيل إليها أنها تخيلته أو أساءت فهمه. ماذا إن كانت إحدى الأوراق النقدية حقيقية فقط والأوراق المتبقية أوراق لعب؟

لا تتسرعي في التوصل إلى استنتاجات؛ ذلك هو شعار **لوميكي** الثاني.

ربما كان التحدث بمنطق الشعارات أسلوباً يدل على الغرور. فقد اعتبرت أن تلك الشعارات أشبه بمبادئ أو أفكار أثبتت لها أنها مفيدة أو نافعة في وقت من الأوقات.

أجفلت **لوميكي** عندما انعطف أحد الفتيان فجأة حول الزاوية. ذلك هو الشاب **توكا** ابن مدير المدرسة الذي يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، ويصبو لأن يصبح ممثلاً. أثبت المدرسون براعتهم بشكل مدهش في تحمل اختيال **توكا** وأسلوبه المتعجرف في الكلام وتأخره الدراسي المزمن. بدا على **توكا** الاستعجال في تلك اللحظة. فقد كاد على الأرجح أن يدفع **لوميكي** بمرفقه أو بحقيبة ظهره لو أنها لم تتنح جانباً بحذر.

تعلمت أن تتنحى جانباً من دون أن تدع الآخرين يلاحظـون ذلك. إذ يجب على المرء أن يؤقت حركته بشكل ملائم، وأن يجعلها خفيفة بما يكفي لكي تبدو طبيعية وليست بفعـل شـخص آخـر. توجب على **لوميكي** أن تتعلم ألا تكون مزعجة ولا خنوعة.

واصل **توكا** مشيه بخطى حثيثة، حتى إنه أوشك أن يجري، و لم يلاحظ وجود **لوميكي** إلا بالكاد. فكرت **لوميكي** أنه من الأفضـل مع ذلك أن تنتظر إلى أن يتوارى عن نظرها قبل أن تواصل توجهها نحو غرفة التحميض. وحالما باتت **لوميكي** واثقة من أنـه اختفـى، فتحت الباب الخارجي وأغلقته، ثم فتحت باب غرفـة التحمـيض وأشعلت الضوء الأحمر.

ورمشت بعينيها مرتين.

فقد وجدت المكان على حاله السابقة غير أن النقود اختفت.

شتمت **لوميكي** نفسها في سرها؛ فهذا هو ما يحدث عنـدما لا يتصرف الإنسان في التو واللحظة. ما الذي ستفعله الآن؟ أتقول إنها شاهدت آلاف الأوراق النقدية معلقة في الغرفة ولكن مـن دون أن تكون لديها وسيلة لتثبت صحة ادعائها؟ أم تنتظر إلى أن يسألها أحد عن الموضوع ثم تتحدث عما شاهدته؟ أم هل يجب عليها أن تنسـى الموضوع برمته وتعتبره مجرد هلوسات ناجمة عـن السـهر وتنـاول كميات كبيرة من الكافيين؟

أسندت ظهرها على جدار غرفة التحميض وأغمضت عينيها. فقد شعرت أن هناك ما يزعجها من جديد. هناك شيء في غير محله؛ شـيء غريب. فقد سجل عقلها صورة ما، وبدأ الآن بمحاولة اكتشاف الشيء غير المألوف فيها. فتحت **لوميكي** عينيها وفهمت كل شيء.

حقيبة الظهر!

لم يحمل **توكا** حقيبة ظهر من قبل قط. فقد اعتاد أن يحمل حقيبة جلدية سوداء توضع على كتف واحدة، ويمكنها بالكاد أن تتسع للكتب التي يحتاج إليها في أي يوم من أيام الدراسة. وإن لم تتسع الكتب فيها، كان يترك بعضها في البيت. كانت الحقائب القماشية الملونة جزءاً من الزي الموحد المتعارف عليه بين طالبات المدرسة الثانوية، ولكن **لوميكي** لم تر أحداً يحمل حقيبة جلدية باستثناء **توكا**. فقد احتلت موقعها في المنطقة الرمادية بين الانسجام والتفرد، وشكلت حركة مدروسة بعناية في خطوة للتماشي مع القطيع، ولكن مع إضافة لفتة ماهرة عليها. ومع ذلك، ألقى الشاب على إحدى كتفيه الآن حقيبة ظهر رمادية قذرة ومهترئة الخياطة ومبقعة على جوانبها، ومن المؤكد أنها لا تتناسب مع هيئة العظمة التي يحاول الشاب أن يتصرف وفقاً لها بين الناس العاديين. وبدت الحقيبة ممتلئة حتى آخرها من دون أن يجعلها هذا ثقيلة الوزن.

استطاعت **لوميكي** أن تحل هذه المعادلة على الفور.

اجتمع الحشد المعتاد في مقهى الساحة المركزية: أمهاتٌ معهن أطفالهن يتبادلن حديثهن الدائم عن العصيدة ومواعيد النوم، وفتياتٌ جامعيات يحتسين أكواب القهوة الفاخرة رغم ما تحدثه من فجوات ضخمة في ميزانيتهن الشهرية ويتظاهرن بالتحضير للامتحان في الوقت الذي يسبحن فيه في أحلام اليقظة عن المستقبل، وبضعة رجال يرتدون بذلات رسمية وبحوزتهم أجهزة كمبيوتر محمولة يلعبون فيها بلعبة الطيور الغاضبة (انغري بيرد) الشهيرة ويتصفحون موقع فيسبوك

بدلاً من إنجاز أعمالهم. آلاتُ صنع القهوة تئز وتبقبق، ورائحةُ الكابتشينو والبندق عابقة في الجو، والمعجنات يبدو مظهرها أشهى من طعمها الحقيقي، والعرق الذي يبدأ بالتصبب فور دخول المرء عبر الباب وهو لا يزال مرتدياً معطفه الشتوي السميك.

جلست **لوميكي** بجوار طاولة في الزاوية وظهرها متجه نحو بقية المقهى وهي تقلب صفحات إحدى المجلات وترتشف بعض الشاي، بينما جلس إلى طاولة مجاورة لها كلٌّ من الأصدقاء **توكا** و**إليزا** و**كاسبر**.

فحالما أدركت **لوميكي** أن النقود موجودة في حقيبة الظهر التي يحملها **توكا**، أسرعت في أعقابه على الفور بعد أن انتزعت معطفها وقفازيها ووشاحها الصوفي وقبعتها من على الرف. خرجت من المدرسة جرياً، ومرت بجانب منطقة التدخين، ووصلت إلى باحة دار العبادة، ثم توقفت وبحثت بنظرها عن **توكا**. وعندما لمحت حقيبة الظهر الرمادية وهي تتأرجح من كتفه عند آخر ممشى المتنزه، تابعت **لوميكي** الجري متجاهلة الهواء البارد الذي كاد يمزق رئتيها، وخففت من سرعتها في نهاية المطاف حتى أصبحت تهرول، ثم صارت تمشي بسرعة لتحافظ على مسافة ملائمة بينها وبينه. إذ توجب عليها أن تراه ولكن في الوقت نفسه أن تمنعه من رؤيتها وتحافظ عليه ضمن مرمى بصرها.

تحوّل تنفسها - وهو أقرب إلى اللهاث منه إلى التنفس - من بخار إلى بريق ثلجي تموضع على أهدابها وخصلات شعرها الظاهرة من تحت قبعتها. عندما تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر بكثير، يبدو على الجميع أنهم مسنون قبل أوانهم.

راقبت **لوميكي توكا** وهو يدخل المقهى، وانتظرت بضع دقائق قبل أن تلحق به. وبحلول ذلك الوقت، وجدته مستغرقاً في نقاش عميق مع **إليزا** و**كاسبر**.

والآن، بذلت **لوميكي** ما بوسعها لكي تبقى غير مرئية وغير واضحة. فبعد أن دخلت المقهى، توجهت إلى الحمام على الفور. نزعت سترتها وكنزتها، وفردت شعرها وضفرته على جانب رأسها في تسريحة لم تعتد أن تقوم بها من قبل. وبدلاً من القهوة، طلبت فنجاناً من الشاي. وأخذت تقلب صفحات مجلة نسائية؛ رغم أنها في الأحوال العادية كانت تفضل مجلة الرياضة أو السيارات. جلست بطريقة مختلفة، ووضعت يدها بهيئة مختلفة، وأمالت رأسها جانباً وكأنها شخص آخر.

يظن الناس أنهم يميزون بعضهم بعضاً من بعيد بالاعتماد على مظهر الملابس أو الشعر. قد يكون هذا صحيحاً من ناحية سطحية. ولكن في الواقع، إن تمييز شخص آخر عملية أكثر تعقيداً من ذلك بكثير، وتؤثر عليها المئات وربما الآلاف من العوامل المختلفة؛ كالطول والوقفة والمشية وقسمات الوجه والجسم والتعابير - حتى أدقها - والتي تمر بسرعة كبيرة لدرجة أن العقل يكاد لا يسجلها. ولهذا السبب، إنّ تنكر المرء بهوية شخص آخر عملية بغاية الصعوبة. فمن المستحيل بالنسبة للبعض القيام بذلك من دون إجراء عمليات جراحية تجميلية مهمة ومن دون سنوات من التدريب.

ولكن بعض التغييرات الصغيرة المفاجئة قد تجرّد المرء من معظم الصفات التي يمكن تمييزها إن عرف كيف يفعل ذلك ببراعة. ولو تعمد شخص ما البحث عن **لوميكي** لعلمه أنها موجودة في المقهى،

لتمكن من تمييزها على الفور بالطبع. ولكن، إن تفحص الغرفة متوقعاً وجود حشد من الغرباء، فلن تكون **لوميكي** في هذه الحالة بالنسبة له أكثر من مجرد فتاة غريبة المظهر - كمظهر الشعراء الشباب - جالسة لاحتساء فنجانها من شاي البابونج؛ أي إنها مجرد فتاة عادية، وليس هناك أي شيء مألوف حيالها على الإطلاق.

وهكذا، لم ينتبه **توكا** و**إليزا** و**كاسبر** لوجود **لوميكي** على الرغم من جلوسهم إلى الطاولة المجاورة لها. وبالإضافة إلى ذلك، فقد شغلت بالهم شؤون أكثر أهمية. فقد كانوا واقعين في مشكلة عويصة.

سألت **إليزا** الشابين: "ماذا سنفعل بها؟".

حالما دخلت **لوميكي** المقهى، لفتها مظهر **إليزا** المروّع. فقد كانت بشرتها عادة فاتحة، ولكنها الآن بدت رمادية وباهتة. وأحاطت بعينيها هالتان داكنتان. كما أنها على ما يبدو أهملت مسح أو غسل آخر طبقة من مستحضرات التجميل التي كانت قد تزينت بها. ولاحظت أن شعرها الأشقر الفاتح تهدل متسخاً على رأسها وكتفيها. وبدلاً من أن تنسق من ملابسها طقماً متناسباً وعصرياً، بدت وكأنها ارتدت أي ملابس وقعت عليها يدها. لم يكن من عادة **إليزا** قط أن تظهر في المدرسة بهذه الهيئة المزرية، ولكن تحليها بالشجاعة الكافية لكي تأتي إلى المقهى بهذه الحالة أعجوبة.

كانت **إليزا** من أجمل الفتيات في المدرسة. ولطالما لعبت هذا الدور بإتقان. فجعل أسلوبها الآخرين يزدادون اعتقاداً بجمالها. وإن رآها أحد الآن بهذه الحالة المرهقة والخائفة، فسيدرك أن الجمال مجرد قناع مرسوم بعناية، وأن أهم عوامله ليس لون أحمر الشفاه المناسب، ولا ظلال العيون المرسومة باحتراف، بل الجرعة الزائدة من الثقة

بالنفس والتغنج والدلال. فقد كانت ابتسامة **إليزا** تجعل قلوب الفتيان ترفرف وراحات أكفهم تتعرق.

حتى ذلك اليوم، لم تدرك **لوميكي** قط الطبيعة الحقيقية للعلاقة التي جمعت بين **إليزا وتوكا**. فمن الواضح أنهما خرجا مع بعضهما في وقت ما، ولكن بدا عليهما الآن أنهما مجرد صديقين. لطالما عبثت **إليزا** بمجتمع الذكور الصغير في المدرسة الثانوية للفنون كما يحلو لها، بينما كان **توكا** بالطبع حلم معظم الفتيات في المدرسة؛ نظراً إلى كونه ينحدر من طبقة عليا. ولكنها لاحظت أن هناك رابطاً من نوع آخر يبدو أنه يجمع بينهما. إذ ربما اعتبرا نفسيهما نجمي المدرسة وبعيدين كل البعد عن متناول الجميع، حيث لا يمكن أن يفكرا بأن تجمعهما أية علاقة عاطفية جادة مع أحد آخر.

قال **كاسبر** رداً على سؤال **إليزا**: "ماذا ينبغي أن نفعل؟ هراء! ينبغي أن نحتفظ بها بالطبع ونبقي أفواهنا مغلقة".

تساءلت **لوميكي** كيف اكتسب **كاسبر** الموقع الذي يحتله في المدرسة. فقد لاحظت أنه يركز اهتمامه على إهمال صفوفه الدراسية بدلاً من إنجاز فروضه المنزلية. وانتشرت شائعات بأنه سيصبح مهدداً بالطرد إن لم يغير أسلوبه هذا في القريب العاجل. اعتاد **كاسبر** أن يرتدي ملابس سوداء ويضع إكسسوارات ذهبية مبهرجة. وكان تسريح شعره إلى الخلف يتطلب كمية وافرة من الجل المثبت للشعر. ومن الواضح أنه اعتبر نفسه في عالمه ذاك أشبه بفناني موسيقى الراب؛ رغم أن أداءه في الواقع لم يكن يثير في نفوس الجمهور سوى الشفقة بدلاً من الإعجاب. لطالما وجدت **كاسبر** فتى غريب الأطوار، ولا يمكن للمرء أن يعرف إن كان مجرد مغفل أم شاب عنيف بالفعل.

وهكذا، تساءلت **لوميكي** مطوّلاً عن السبب الذي يدفع **إليزا وتوكا** للتسكع مع **كاسبر**. ألقت **إليزا** نظرات خاطفة حولها وأخفضت صوتها.

قالت: "لا يمكننا الاحتفاظ بها". وبدا الرعب في صوتها واضحاً.

سأل **توكا**: "ما الذي تظنين أنه ينبغي علينا فعله؟ أنذهب ونخبر الشرطة؟".

ضحك **كاسبر** ضحكة مكبوتة، فقد كان **والد** إليزا شرطياً. وبين الحين والآخر، اعتادت التعرض لبعض السخرية اللطيفة وربما السمجة حول تلك الحقيقة.

"إنها ليست لنا. فقد وقعت بين أيدينا بمحض الصدفة، وهناك من يبحث عنها. وإن عثر ذلك الشخص علينا، فسينتهي أمرنا". بدت **إليزا** متلهفة لإقناع الشابين بوجهة نظرها.

علّق **توكا** قائلاً: "هيا، شغلي عقلك. ما الذي باستطاعتنا فعله حقاً؟ كيف يمكننا أن نشرح كل ما جرى من دون أن نعرض أنفسنا للاعتقال؟ كان ينبغي علينا أن نفعل شيئاً في تلك الليلة".

قال **كاسبر** ضاحكاً: "لقد فعلنا شيئاً بالفعل".

تنهدت **إليزا** وقالت: "نعم، لقد تصرفنا كعباقرة حقيقيين".

قال **توكا**: "بدا ذلك تصرفاً منطقياً في ذلك الوقت. ولكن، يجب أن تفهمي ما أقوله لك. إن أخبرنا الجميع عن... عنها... فسيتوجب علينا أن نبوح بكل شيء آخر. لا أعرف رأيك، ولكنني لا أقوى على تحمل عاقبة ذلك".

فقال **كاسبر**: "ولا أنا".

أصغت **لوميكي** بينما راحت **إليزا** تنقر بأظافرها بعصبية على الطاولة.

"إن ذاكرتي مشوشة بعض الشيء حيث لا يسعني أن أقول أي شيء بشكل مؤكد. لذا، لا أستطيع أن أحدد كل ما حدث بالضبط. ولكن ما أعرفه أكثر من كل شيء هو أن بيتنا بدا في حالة فوضى عارمة في الصباح. لا تريدان أن أخبركما عن كل الأماكن التي عثرت فيها على القيء".

أسند **كاسبر** ظهره على مسند كرسيه، وارتسم تعبير يدل على السخرية على وجهه وقال: "لا بد أنك على الأرجح اضطررت لتنظيف كل شيء بنفسك لكي لا يكتشف والدك أنك لم تجلسي طوال العطلة الأسبوعية في البيت وأنت تدرسين مادة الفيزياء".

"هل جننت؟ هذا هو اليوم الذي تأتي فيه عاملة النظافة للتنظيف. إنها تعمل في البيت الآن. فقد وعدتها بأن أدفع لها ضعف المبلغ إن أنجزت العمل في نصف الوقت المعتاد وأبقت فمها مغلقاً. ليتني أستطيع أن أتذكر كل شيء، عندئذ ربما يمكنني...".

فقال لها **توكا** بصوت قاسٍ ونبرة تهديد: "لكي تورطينا جميعاً في مشكلة كبيرة، أليس كذلك؟ هذه تبدو خطة رائعة".

التزمت **إليزا** الصمت للحظة. على الطاولة المجاورة، استطاع أحدهم اجتياز مستوى آخر في لعبة الطيور الغاضبة انغري بيرد، فأطلق صيحة سعادة ورضى.

قالت **إليزا**: "حسناً. إذاً، سنبقي أفواهنا مغلقة في الوقت الحاضر. وسننتظر ونرى ما سيحدث. ولكن، عليّ أن أقول إن شعوراً سيئاً حقاً ينتابني حيال الأمر".

فقال **توكا**: "ربما تستطيع عشرة آلاف أن تثير حماستك بعض الشيء".

"ماذا؟ لا أريد أياً منها".

"بالطبع تريدين. لدي ثلاثة أكياس، كلٌ منها تحوي عشرة آلاف. نحن شركاء في الأمر كله معاً".

سمعت **لوميكي** صوت حفيف، ثم صوت سحّاب عندما فتح **توكا** حقيبة الظهر تحت الطاولة. فأدارت رأسها قليلاً، وراقبت بطرف عينها بينما نقل الشاب كيسين أسودين تحت الطاولة من داخل حقيبته إلى حقيبتي كل من **إليزا** و**كاسبر**.

ضغطت **إليزا** يديها على وجهها وأطلقت آهة عذاب، وقالت: "عندما استيقظت صباح اليوم، كنت آمل أن يكون كل ما حدث مجرد كابوس".

سأل **كاسبر توكا**: "لم يرك أحد، أليس كذلك؟".

"كلا".

فسأل **كاسبر**: "ألم يدخل أحد إلى غرفة التحميض؟".

"أيعقل أن يترك أحد كل شيء معلقاً في مكانه من دون أن يأخذه؟ أشك بذلك".

ولكن، لم تخلُ ضحكة **توكا** من بعض التوتر. وفجأة، نهض على قدميه، وأعلن قائلاً: "انتهى الاجتماع. يمكنكما المغادرة الآن".

فقالت **إليزا**: "ولكنني لم أنتهِ من شرب الشاي بعد".

قال **توكا**: "لو كنت مكانك لما تجولت في أنحاء المدينة بهذا المنظر لدقيقة واحدة. وأنا أقول هذا بكل الحب في العالم، يا عزيزتي".

تراجعت **إليزا** إلى الوراء وردت عليه قائلة: "نعم، كأنه يحق لك قول ذلك". ولكنها نهضت على قدميها.

انتظرت **لوميكي** إلى أن غادر الثلاثي المقهـــى، ثم حاولـــت أن تبتلع ما تبقى من فنجان الشاي. ما هذا؟ ترى، هل يشرب النـــاس هذا الشيء طوعاً؟ عندما مرت فترة زمنية كافية علـــى مغـــادرهم، لملمت أغراضها، وخرجت من المقهى إلى البرد القارس. وفي طريقها إلى البيت، كانت ستسنح لها فرصة كافية للتفكير بكل ما جرى.

5

هبت رياح شديدة البرودة على الجسر الحجري فوق الأنهار التي تجتاز وسط المدينة. فحثت **لوميكي** الخطى وهي تحلل في ذهنها كل الكلام الذي سمعته. واستنتجت أن **توكا** و**إليزا** و**كاسبر** وضعوا أيديهم على النقود بطريقة ما في الليلة الفائتة. ولكن **لوميكي** لم تستطع أن تعرف من أين حصلوا عليها. ترى، مَن صاحب تلك النقود؟ هل يعرفون من هو؟ ربما لا يعرفون، وهذا هو المرجح. فقد بدوا جميعاً في حالة ضياع غير مسبوقة حيال ما حدث في الليلة المنصرمة.

استنتجت أنهم عثروا على النقود ملطخة بالدماء، فتوصل الثلاثة لتلك الفكرة العبقرية بأن يغسلوها في غرفة التحميض بالمدرسة؛ وذلك ما صعب عليها فهمه. فمن قد يخطر بباله على الإطلاق أن يأتي إلى المدرسة في منتصف الليل لينظف كومة من النقود الملوثة؟

على الأقل، نحن اكتفينا بالشرب فقط.

فجأة، بدأت الكلمات التي تفوهت بها عضوات مافيا العطور تتردد في رأس **لوميكي**. إذاً، لا بد أن الشبان والفتيات لم يكتفوا فقط بالمشروبات في الحفلة التي أقيمت ليلة الأمس. أو بعضهم على الأقل، وهم على الأرجح **إليزا** و**توكا** و**كاسبر**. وهذا ما فسر السبب

الذي جعلهم يتوصلون إلى حل جنوني بذلك الشكل، ويفسر كذلك السبب الذي جعلهم لا يتذكرون شيئاً مما حدث.

ابنة شرطي وابن مدير مدرسة! لقد وجدت **لـــوميكي** ذلـــك السيناريو كلاسيكياً إلى حد جعل أوصالها ترتعد. أولاد من عائلات محترمة يسعون جاهدين للتمرد على واقعهم. ترى، هل يمارس أولئك الأشخاص هذه الألعاب الخطرة لأنهم لا يحصلون على ما يكفي مـــن الإثارة في حياهم؟ أم إنهم يريدون وحسب أن يعرضـــوا أنفســـهم للمشاكل؟

راح الناس ينـــزلقون في أنحاء المكان كافة بجانب إشارة المرور عند التقاطع مع محطة القطار. إذ لم تعد تجدي أية كمية من الحصـــى تفرشها البلدية في المكان لتضمن منع الانـــزلاق في مكان تصقل فيه آلاف الأقدام الجليد كل يوم. فأخذت **لـــوميكي** تشـــق طريقهـــا بخطوات حازمة بجزمتها العسكرية.

لقد ازداد الوضع تعقيداً بشكل واضح. فهي لم ترغـــب بـــأن تتحدث إلى مدير المدرسة أو إلى الشرطة؛ لأنها رفضت التـــورط في الموضوع برمته، رغم أن أولئك الثلاثة لم يكونوا أصدقاء لهـــا بـــأي حال من الأحوال، بل كانوا مجرد أشخاص عديمي القيمة في حياها. ومع ذلك، فقد رفضت أن تضع نفسها في مركز دوامة إعصار مـــن المؤكد أنها ستعصف بها إن وشت بهم.

فكرت أن تقدم بلاغاً للشرطة باسم مغفل، ووجـــدت ذلـــك خياراً وارداً بشكل مؤكد. ومع ذلك، هل سيأخذون كلامها علـــى محمل الجد؟ لا بد أنهم سيهتمون إن بلغهم أحد بفقدان مبلغ ثلاثـــين ألف يورو. فإن لم يأخذوا بلاغها على محمل الجد، فلن تعتبر تلـــك

مشكلتها بعد الآن؛ لأنها ستكون قد قامت بواجبها على أقل تقدير.

وبينما هي تدنو من شارع **تاميلا**، انتابت **لوميكي** موجة غريبة من المشاعر. لم تعتبر شقتها موطناً لها؛ وهذا واضح. ولكن، هل بدأ قلبها يرق لذلك الحي؟ بدت هذه فكرة غريبة لها. نقانق سوداء وحليب في ساحة **تاميلا**، وصيحات يطلقها مشجعو كرة القدم من الملعب، وحياة يومية يعيشها السكان المحليون، وحنين للأبنية الخشبية القليلة الباقية من **تاميلا** القديمة، وتبجيل لأبنية القرميد الأحمر من معمل **آلاتونين** السابق للأحذية. لم تجد هذا تصرفاً ينطبق على شخصية **لوميكي أندرسون** التي لطالما تجنبت المشاعر السطحية، ولكنها لسبب ما شعرت أنها أكثر استرخاء ودفئاً بقليل هنا **مما** شعرت به في أجزاء أخرى من البلدة. لم يكن فخر الإنسان بحيه من الكلمات الموجودة في قاموسها، ولكن لا بد أن هناك في العالم أشياء أسوأ من حب المرء للمكان الذي يعيش فيه. فربما تعتبر هذا الحي موطنها يوماً ما. ربما يمكنها أن تفكر بهذه الشوارع على أنها شوارعها. ربما يكون ذلك قد حدث بالفعل، ولكن **لوميكي** ظلت ترفض أن تصبح شديدة التعلق بأي مكان من الأماكن.

سمعت صوت صياح الأطفال وضحكهم وصراخهم يتردد صداه من باحة مدرسة **تاميلا**. فتفرجت على الصبية والفتيات وهم يركضون ويقفزون ويتأرجحون ويتسلقون وبخار أنفاسهم يتصاعد، وخدودهم محمرة من البرد. فوجدتهم بملابسهم الشتوية السميكة أشبه برجال ثلج ملونين قصار وسمان. تجولت ببصرها في زوايا باحة المدرسة، وتأملت الأطفال الوحيدين الذين تخلى عنهم أقرانهم.

وأرهفت سمعها لتميز بين صيحات الخوف الحقيقي وصيحات الفرح. أدركت **لوميكي** أن باحة المدرسة اللامعة في شمس الشتاء هذه هي بالنسبة للبعض مملكة كوابيس؛ حيث الأيام طويلة وسوداء كالليل.

انعطفت فتاة صغيرة بمفردها حول المبنى الرئيس الجديد للمدرسة، ثم مشت الهوينا ورأسها مطرق. فتأملت **لوميكي** الفتاة للحظات. ترى، هل التفتت عند كل زاوية لتنظر خلفها؟ هل أخذت تجفل رعباً بين الحين والآخر؟ هل هناك ألم عميق يسكن في عينيها المطرقتين؟ كلا. عندما تمكنت **لوميكي** أخيراً من تمييز ملامح الفتاة بوضوح، وجدتها تبتسم لنفسها وشفتاها تتحركان. فلا بد أنها على الأرجح أخذت تختلق قصة في ذهنها؛ وهذا ما جعل عينيها تبتسمان أيضاً.

فكرت **لوميكي** في سرّها: تلك الفتاة ليست مثلي. من حسن الحظ أنها ليست كذلك.

وعندئذ، أدركت أن هناك خطأ ما. نعم، هناك شيء ما. فقد شعرت بوجود شخص قريب فوق الحد منها.

ولكنها أدركت ذلك بعد فوات الأوان.

وفجأة، قبضت عليها يدان قويتان وجرتاها إلى مدخل باب غريب ودفعتا بها بعنف على الجدار الحجري. فانضغط خد **لوميكي** بقوة على الحجارة الباردة. جعلت الهجمة المفاجئة ذراعيها تصبحان خدرتين، بينما شدهما مهاجمها بعنف خلف ظهرها وأصبحت عاجزة عن الصراخ.

استطاعت أن تميز مهاجمها من رائحته قبل أن يتفوه بكلمة واحدة.

توكا!

"لست وحدك التي تجيدين مطاردة الناس".

بثت أنفاس **توكا** دفئاً غير مستحب على خدها، وفاحت منها رائحة القهوة التي شربها للتو في المقهى، ورائحة سيجارة دخنها قبل قليل. شعرت **لوميكي** أنها تريد صفع نفسها لتصرفها ذلك. كيف ارتكبت خطأ فظيعاً بهذا الشكل؟ كيف غادرت المقهى من دون أن تنظر خلفها لتتأكد من أنه ليس هناك من يتعقبها؟

لا تبالغ في تقدير ذكائك، ولا تعتبر نفسك بأمان كامل؛ هذا ما توجب عليها أن تتعلمه بحلول ذلك الوقت. لقد تبلّدت مهاراتها بعد سكنها في **تامبيري** لأنها لم تعد بحاجة إليها بعد الآن.

قال **توكا** وهو يضغط على ذراع **لوميكي**: "لقد لاحظت وجودك في المقهى. حسناً، لم ألاحظك بل لاحظت حقيبة الظهر التي تحملينها هذه. وعندئذ، أدركت أنني كدت أن أصطدم بك هناك قرب غرفة التحميض. يا لها من مصادفة! أليس كذلك؟".

قامت **لوميكي** بتقييم سريع للوضع.

فلو تحركت بسرعة كافية، لتمكنت ربما من تحرير نفسها من قبضة يد **توكا**، ولكن ذلك غير مضمون. إذ إن **توكا** كان سريعاً وقادراً على القبض عليها مرة أخرى. فوجدت أنه من الحكمة ألا تقاوم وتبدد طاقتها بلا طائل، وقررت أن تسمع ما يريد قوله.

سألها **توكا** قائلاً: "ما الذي رأيته؟ ما الذي تعرفينه؟".

فأجابت **لوميكي** بهدوء: "لقد رأيت كل شيء في غرفة التحميض في وقت مبكر من اليوم، وسمعت ما قلتموه في المقهى، وهذا كل شيء".

لم يكن استفزازه في تلك اللحظة سيساعدها على التوصل إلى أي نتيجة.

فقال **توكا**: "تباً! لا يمكن لأحد أن يعرف عن هذا".

لم تجب **لوميكي**، وشعرت أن الجدار البارد يخدش وجهها، فحاولت أن تتحرك بأقل قدر ممكن.

"سوف تبقين فمك مغلقاً. ولن تخبري أحداً. إنك لا تعرفين أي شيء. ولن يصدقك أحد على أية حال".

حاول **توكا** أن يتخذ نبرة تهديد، ولكنها شعرت بشيء من القلق في صوته. ومع ذلك، لم تتفوه **لوميكي** بحرف.

"هل تسمعينني؟".

ارتفع صوت **توكا**، وازدادت نبرته قلقاً. فلا بد أنه كان خائفاً حتى أكثر من **لوميكي** نفسها.

قالت **لوميكي**: "أسمعك".

فكر **توكا** هنيهة، ثم سأل قائلاً: "حسناً، كم تريدين؟".

والآن، اكتسب صوته نبرة تكاد تشبه التوسل. فمن الواضح أن الرعب قد أصابه من تلوث سمعته.

أجابت **لوميكي**: "لا أريد أي نقود منك، ولكنك الآن ستدعني وشأني".

لم يكن ذلك طلباً ولا أمراً، بل مجرد جملة مثبتة عادية؛ حقيقة.

لا تمنح الناس أي خيارات، بل أعطهم إرشادات بسيطة ومحددة. لا تتوسل أو تطالب، بل أخبرهم وحسب كيف يجب أن تكون الأمور. استطاعت **لوميكي** بكل تأكيد أن تجعل **توكا** يرخي قبضته، فالتفتت ببطء وهي تدلك معصميها.

قالت وهي تنظر إلى عيني الفتى بحزم: "الآن، إليك ما سنفعله. ليست لدي أية رغبة في التورط في هذا الموضوع. لم أر شيئاً ولم أسمع شيئاً. وما لم يسألني أحد بشكل مباشر، فأنا لن أشي بكم لأحد، ولكنني أيضاً لن أكذب. إنني أظن أنكم ستتعرضون للمتاعب بسبب هذا، وليست لدي النية في إنقاذكم".

نظر **توكا** إليها بتردد. بدت أذناه محمرتين من البرد لأنه لا يعتمر قبعة. فلا بد أن غروره قد فاز بالورقة الرابحة على حرصه على صحته. لاحظت **لوميكي** أنه راح يفكر ملياً بكلماتها ويحسب مخاطر كل خيار قد يقوم به.

فقال أخيراً وهو يمد يده: "حسناً، لقد اتفقنا".

لم تمد **لوميكي** يدها لمصافحته. فمرر **توكا** يده في شعره وضحك.

وقال: "يفاجئني أن أجدك فتاة قاسية. ربما استخففت بك".

ففكرت **لوميكي** في سرّها أن الكثيرين يفعلون هذا.

حاول **توكا** أن يستعيد موقع قوته، فأزاح شعر **لوميكي** عن وجهها بوقاحة، وقال لها بابتسامة ساخرة بطرف فمه: "أتعلمين ماذا؟ من الممكن في الواقع أن تصبحي جميلة إن غيرت تسريحة شعرك الرهيبة هذه، وتخليت عن هذه الملابس التي تشبه ملابس موظفي حماية البيئة، وتعلمت أن تضعي بعض مساحيق التجميل".

فابتسمت **لوميكي**، وأجابت قائلة: "أتعلم ماذا؟ من الممكن أن تصبح شاباً ذكياً ولطيفاً حقاً إن غيرت شخصيتك الرهيبة هذه".

لم تنتظر لتسمع رداً من **توكا**، بل توجهت في طريقها مبتعدة من دون أن تنظر خلفها، وهي واثقة من أنه لن يتبعها.

عندما وصلت إلى شقتها، نظرت **لوميكي** في المرآة متأملة خدها المحمر، وشعرت به يخزها. كانت العلامة ستظل مرئية على وجهها لمدة يوم واحد على الأقل، ولكنها كانت علامة صغيرة، ومن المؤكد أنها مرت بتجارب أسوأ من هذه بكثير. وبينما هي تشرب بعض الماء البارد من الصنبور مباشرة، قررت ألا تذهب إلى المدرسة في اليوم التالي. ووجدت أنه يحق لها أن تبقى في البيت هذه المرة فقط، وبعدها ستعود كل المياه إلى مجاريها، وستذهب إلى المدرسة وتنسى أمر النقود وتنأى بنفسها عن أي ورطة غير محمودة العواقب.

الثلاثاء 1 آذار

6

كانت الساعة تشير إلى الثالثة وخمس وأربعين دقيقة فجراً.

راح **بوريس سوكولوف** يحدق بهاتفه الخليوي وكأنه صرصور ضخم يتمنى أن يسحقه على الجدار. فقد أيقظته الرنة المزعجة وانتزعته من غمرة حلمه. لقد تعرض في حياته للكذب والتهديد. ورغم أنه شعر أنه يستطيع تحمل الإزعاج الناجم عن إيقاظه من نومه، ورغم أن الكذب لطالما أثار اشمئزازه، إلا أن ما كان **بوريس سوكولوف** يمقته كل المقت هو أن يتعرض للتهديد؛ ولا سيما عندما يصدر التهديد من رجل لا ينبغي أن يكون لديه ما يملكه ليهدد به الآخرين.

بدّل **بوريس سوكولوف** شريحة هاتفه الخليوي وطلب رقماً.

بعد ثلاث رنات، رد الإيستوني بنبرة صوت تدل على أنه استيقظ من نومه للتو. فبدا كلامه بطيئاً وبعيداً؛ رغم أنه يعيش على بعد بضعة كيلومترات فقط.

"حسناً؟".

بدأ **بوريس** يتحدث إلى الإيستوني باللغة الروسية، فقال: "لقد اتصل بي. يقول إن النقود لم تصله".

قال الإيستوني: "إنه مجنون. لقد أوصلناها إلى بيته".

نهض **بوريس** ومشى إلى نافذة غرفة النوم، فشعر بالأرضية الخشبية باردة. ربما كان يجب عليه أن يمد بعض السجاد. من يأبه إن اتسخ؟ يمكنه أن يقوم بمجرد استبداله كل بضع سنوات. سطع القمر في السماء بضوء مبهر وجده مزعجاً. ورأى خطين من آثار الأرانب يقطعان الثلج في الحديقة. كان الإيستوني قد ساعده على إخفاء نوع آخر من الآثار عن أرضية الباحة؛ مزيلاً بحرص أي ثلج لا يبدو أبيض ونقياً.

"قال إنه بقي مستيقظاً طوال الليل. هذه الليلة".

"ما المشكلة؟ لقد أخبرناه أنها ستصل في الموعد المعتاد ولكن إلى مكان مختلف".

بدأ الإيستوني يصبح متيقظاً فعلاً الآن.

فزمجر **بوريس** قائلاً: "لقد ذكر شيئاً ما عن سوء تفاهم وقع. وقال إن البارحة كان آخر يوم في الشهر؛ أي التاسع والعشرين من شباط".

نقر بأصابعه على عتبة النافذة. ترى، هل قضمت الأرانب شجرة التفاح؟ ربما توجب عليه أن يضع سياجاً حول جذع الشجرة، أو يسهر ذات ليلة ويصطاد بعض الأرانب للشواء ويضعها في المجمدة؛ مجمدته الخاصة هذه المرة.

"نعم، نعم. إن الثامن والعشرين لا يتحول إلى التاسع والعشرين بسبب السنة الكبيسة. لماذا يسهر الليلة رغم أننا سلمنا النقود البارحة أصلاً؟".

"هذا ما حدث. يقول إننا لم نسلمها، وإنه لم ير أي شيء".

التزم الإيستوني الصمت لفترة وجيزة. وانتظر **بوريس** ليرى ما إذا كان مرؤوسه سيتوصل إلى الاستنتاج نفسه الذي توصل إليه.

"إنه يخدعنا. لقد استلم النقود واكتشف ما حدث لها. والآن، يحاول أن يمارس الألاعيب معنا".

نعم، إنه الاستنتاج نفسه.

"حاول ذلك الوغد الصغير أن يهددني، وقال إنه سيكشف كل شيء". شعر **بوريس** بنفسه يستشيط غضباً مرة أخرى لمجرد التفوه بالكلمات. فضغط على الهاتف الخليوي بيده متخيلاً الصرصور وهو يُسحق في قبضته، ثم قال: "ولكنني سأحترق في الجحيم قبل أن أسمح بحدوث هذا".

ثار غضب الرجل الإيستوني على حد سواء، وهذا كان جيداً؛ لأنه يعني أنهما يقفان بحزم في جانب واحد، ويعتبران انسحاب اثنين من رجالهما خلال الساعات الثماني والثلاثين الماضية أمراً لا يحتمل بل كثيراً جداً. إذ لا يمكن لإحدى الآلات أن تفقد الكثير من قطعها في الوقت نفسه وتبقى صالحة للعمل بدون صيانة.

قال **بوريس** كلماته بتلذذ: "سوف نحرص على ألا نسمح له بالكلام". فلم يكن أحد يهدده من دون أن ينال عاقبة تصرفه ذلك. ولم يكن أحد يخدعه ويتركه ينجو بفعلته.

ظن أن كيساً مليئاً بالنقود الملطخة بالدم سيشكل تحذيراً كافياً.

ولكن، يبدو أنه لم يحدث التأثير المرجو منه.

ولكنهم كانوا يعرفون قواعد اللعبة معرفة تامة، والفرق بينهم وبينه هو أنهم الفائزون دائماً وأبداً.

أدرك **تيرهو فيسانين** أنه لن يتمكن من الاستغراق في النوم مرة أخرى. فتمدد على أحد جانبي سريره الكبير؛ رغم أنه أدرك أن

بمقدوره الاستلقاء على عرض الفراش كله لو أراد ذلك. فقد شعر أن هناك شخصاً ما ينشر إطار السرير من تحته، وأنه قد ينـــهار في أيـــة لحظة على الأرض، ثم تنهار هي الأخرى بدورها إلى قرار ســـحيق. كل شيء يعتمد عليه بدأ يتفتت وينهار من تحته بعد أن كان يعتقـــد أنه سيدوم.

لم يستطع **تيرهو فيسانين** أن يقول إنه فخور بنفسه. ففي صباح بعض الأيام، كان يجد صعوبة حتى في النظر إلى نفسه في المرآة، ولكن هذا الشعور اعتاد أن ينقضي بحلول الوقت الذي يصل فيه إلى العمل ويتذكر مدى النجاح الذي حققه على مر السنوات العشر الماضـــية. فكم من قضية تمكن من حلها بالاعتماد على جهوده وحدها؟ لكـــل ذلك ثمنه، وعليه أن يدفعه.

شد الأغطية بإحكام حول عنقه، وتنشـــق رائحـــة اللحـــاف المنعشة، وتمنى أن يعانق شخصاً ما ويشعر بدفئه بين ذراعيه.

حاول **تيرهو** أن يتصل مرة أخرى. فرن الهاتف مراراً، ولكن لم يرد أحد. فشعر بخوف غامض يحكم قبضته على مكان ما في شـــبكة أعصابه ويشدها. وأدرك أن كل شيء من تلك الليلة فصاعداً سيغدو مختلفاً.

7

في سالف الأزمان، خيم على العالم ليل أبدي لا ينتهي، والتهم بظلامه الشمس، وطمس كل نورها، ونشر يديه الباردتين السوداوين على الأرض. لقد أغلق ذلك الليل عيون البشر إلى الأبـد، وجعـل أحلامهم تصبح أعمق وأغرب، وجعل النسـاء والرجـال ينسـون أنفسهم ويمشون متأبطين أذرع بعضهم بعضاً إلى جـوار مخلوقـات خيالية غامضة، كما جعلهم يفقدون ذكرياتهم وأحلامهـم. وعلـى جدران الأبنية، رسم الليل صوراً مرعبة هربت منها كل ألوان الحياة. وعلى وجوه العامة، بث الليل هواء بارداً وخانقاً ملأ رئات النـاس النيام محولاً إياها للون أسود حالك في أعماقها.

فتحت **لوميكي** عينيها لاهثة ومقطوعة الأنفـاس، ووجـدت نفسها غارقة في العرق، وشعرت بوزن لحافها يثقل علـى صـدرها ويكاد يخنق حنجرتها، فأزاحته جانباً وجلست علـى سـريرها، ثم انتعلت خفها وتوجهت نحو النافذة لتتأمل المتنـزه؛ لأنها فكرت أنه مشهد مألوف قد يساعدها في تلطيف حدة الخوف الـذي سـيطر عليها في كابوسها، ويحوله إلى مجرد قلق بسيط لا معـنى لـه. رأت ضوء القمر منعكساً على سطح الثلج المتساقط والأراجـيح ولعبـة القضبان الحديدية في ملعب الأطفال وأسطح المباني؛ مغلفاً كل شيء

بملاءة تشبه ورق التغليف الفضي. وبدت الظلال ثابتة في مكانها وكأنها شخوص مرسومة باللون الأسود على الثلج الأبيض.

لاحظت ضوءاً يشع من نافذتي شقتين مختلفتين. فتساءلت عمن قد يظل ساهراً حتى الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة؛ فهذا وقت غريب لكي يستيقظ فيه المرء، ومخالف للطبيعة البشرية. إن أشباح الكوابيس هي وحدها التي تخرج من أماكنها في مثل تلك الساعة المتأخرة لتتجول في الأنحاء من دون أن تميزها العين البشرية عن الظلال الأخرى. كانت الحافة السفلية للنافذة مزينة بالزهور المكسوة بالصقيع، فبدت وكأنها قماش مخرم. لامست **لوميكي** الزجاج البارد بأصابعها بحركة عفوية؛ رغم علمها أن البلورات الجليدية في الجهة الأخرى، وأن دفء يدها لن يذيبها. هب هواء بارد على أصابعها من شق صغير في إطار النافذة. فسحبت **لوميكي** يدها بسرعة وهي ترتعش.

في الماضي، اعتادت أن تستيقظ على أمل ألا ينتهي الليل ولا يأتي الصباح، وأن تحلم بليالٍ طويلة لا نهاية لها، ولكن تلك الأحلام بعثت في نفسها الأمل والطمأنينة. أما الآن، فقد تحولت أحلامها إلى كوابيس مرعبة؛ فقد تغيرت أشياء كثيرة. في ذلك الوقت، كانت **لوميكي** تستيقظ في الصباح وهي مفعمة بخيبة الأمل لأنه سيتوجب عليها أن تنهض من سريرها وتعيش يوماً آخر من أيامها الكئيبة من دون أي أمل في حدوث أي تغيير إيجابي. لطالما أحست أن بانتظارها قدراً أكبر من الشرور؛ مما يمكن لشخص طبيعي أن يتحمل، ولكنها تحملت وتحملت لسنوات طويلة. ربما لم تكن طبيعية فعلاً كما اتهموها.

عادت **لوميكي** إلى سريرها الدافئ، واندست تحت أغطيتها. أجبر الإرهاق جفني عينيها على الإغماض. ولم تراودها الآن أي أحلام على الإطلاق، أو على الأقل لم تتذكر شيئاً منها في صباح اليوم التالي.

استيقظت **لوميكي** في الصباح ووجدت أشعة الشمس ساطعة. وكانت الساعة تتجاوز العاشرة. شعرت بكامل جسدها مستريحاً ومنتعشاً بشكل غريب. لا بد أن هذا هو الشعور الذي يفترض أن يشعر به الناس في الصباح؛ لا أن يشعروا أنهم جثة هامدة تُبعث من الموت للمرة المليون. لم تفكر مطولاً بفكرة التغيب عن الدوام المدرسي ذلك اليوم، ولكنها وجدتها على الأرجح فكرة حسنة. فهي لم تشعر برغبة في رؤية تعابير وجه **توكا** المغرور مرة أخرى بهذه السرعة.

مدت **لوميكي** ذراعيها وساقيها في السرير وتمطّت، وفكرت بما ستفعله طوال اليوم. خطر ببالها أن تذهب إلى الصالة الرياضية. فقد اشترت لها خالتها **كايسا** بطاقة عضوية لمدة سنة في مركز رياضي وقدمتها لها هدية بمناسبة الكريسمس. لم تشعر **لوميكي** بالراحة بين كل أولئك الفتيات الرياضيات المغرورات، ولكنها وجدت التعرق مفيداً لها، وشعرت أنها بحاجة إلى اكتساب المزيد من القوة. لقد نجح **توكا** في مباغتتها وفرض سيطرته عليها بشكل مؤقت. ولكن، لو كانت **لوميكي** تثق بقوتها الجسدية، لوجدت التخلص من قبضته وإذاقته طعم تهشيم خده على الجدار البارد مهمة سهلة.

لا تسعي وراء القوة من أجل الانتقام. اسعي وراء القوة من أجل تجنب المواقف التي ترغمك في ما بعد على الانتقام. وجدت

ذلك أسلوباً نبيلاً، ولكن كل ما يعنيه هذا في الحقيقة هو أن **لوميكي** لا تريد أن تجد نفسها في وضع غير مناسب مرة أخرى على الإطلاق.

لم ترغب بالتفكير بما جرى في اليوم الفائت، بل أرادت وحسب أن تفكر بيومها الحالي.

لطالما ثرثرت أمها وخالتها في بعض الأحيان كيف أنه من المهم للنساء أن يحظين بوقت خاص بهنّ لتدليل أنفسهن. والتدليل من وجهة نظرهما هو المرادف للتسوق، وتناول الشوكولاتة، وأخذ حمام فقاعات، وتصفح المجلات النسائية، وطلاء أظافرهن. ارتعشت **لوميكي** لتلك الفكرة. فقضاء يوم من هذا النوع بالنسبة لها ليس تدليلاً، بل إنه مجرد تمثيلية سخيفة خرقاء.

أما بالنسبة لها، فيوم من التدليل يعني قراءة الكتب الهزلية، والتحلية بالسوس الأسود، وممارسة التمارين الشاقة، وتناول وجبة الكاري بالخضار، وفوق كل شيء العزلة التامة. تساءلت أمها كيف تستطيع أن تمضي في حياتها وحيدة بهذا الشكل. ألم تشعر بالملل قط؟ لم تزعج **لوميكي** نفسها بالشرح أنه من المرجح لها أن تشعر بالملل أكثر بوجود الآخرين ولدى الاستماع إلى ثرثرتهم التافهة. فالوحدة من وجهة نظرها أفضل من الصحبة السيئة. فعندما تكون وحدها، يمكنها أن تتصرف على طبيعتها؛ أي بحرية تامة. فلا أحد يطالبها بأي شيء، ولا أحد يتكلم عندما تريد الصمت، ولا أحد يلمسها عندما لا تريد أن تلمس.

اعتادت **لوميكي** كذلك الاستمتاع بمشاهدة العروض الفنية. فقد كانت توفر بضع ساعات من وقتها، وتملأ هاتفها بما يكفي من

الموسيقى وخاصة لفرقة "مَاسِف أتاك" الموسيقية، وتتجنب إجراء أي دراسة أو تكوين أي آراء مسبقة عن الفنان أو موضوع المعرض. وبعد أن تدفع تعرفة الدخول، كانت تشغل الموسيقى في سماعتي الأذنين، وتغمض عينيها، وتفرغ رأسها من الأفكار وتلأه بالموسيقى، وتركز على التنفس بانتظام، وتسمح لضربات قلبها بأن تنخفض لدرجة الارتياح. وحالما تتمكن من جعل العالم المادي المحيط بها يتلاشى، كانت تفتح عينيها وتنظر إلى اللوحة المعروضة الأولى.

في بعض الأحيان، كانت تفقد إحساسها بالوقت بشكل كلي. فالصور والألوان والأمزجة والإحساس بالحركة على القماش أو الورق أو الصور الفوتوغرافية والإحساس بالعمق وعدم الانتظام ونسيج الأسطح؛ كل ذلك جرَّها إلى عالم لم تستطع تمييزه أو تفهمه، ولكنها اعتبرته عالمها الخاص. كانت للفنلنديين الآخرين بحيراتهم وغاباتهم، ولكن هذه الطبيعة ملك لروحها وحدها. فالفن يتحدث إليها بلغة تمتزج مع الموسيقى، ويشكل طرقاً تؤدي إلى الظلام أو النور. نادراً ما شكلت المواضيع أي أهمية بالنسبة لها. فالفكرة التي تعرضها الصورة - أو ما إذا كانت تعرض أي فكرة - لا تهمها، بل يهمها الإحساس الكامن وراء تلك الفكرة.

نادراً ما كانت **لوميكي** تخرج من أي معرض فني من دون أن تحصل على شيء منه. ولكن ذلك حدث بالفعل عدة مرات؛ غالباً بسبب عامل خارج عن إرادتها كالجوع أو التعب أو التوتر، وربما بسبب وجود بعض الناس المزعجين الذين يصدرون الكثير من الضوضاء لدرجة تعجز حتى موسيقاها عن التغطية عليها. بعض العروض أتت قوية كالأعاصير وجعلتها تخرج منها وهي تلهث طلباً

للهواء وتحاول أن تستعيد توازنها، والبعض الآخر شعرت بها كحرارة في صدرها استمرت لأيام متواصلة، وبعضها تردد صداها في رأسها بينما بقيت ألوانها على قزحيتي عينيها راسمة ألواناً جديدة في أحلامها؛ فلم يعد من الممكن لها أن تبقى الشخص نفسه بعد الآن.

لم يكن ذلك اليوم من أيام المعارض الفنية؛ لأن **لوميكي** سبق لها أن ذهبت لمشاهدة المعارض المتنقلة في متحف **تامبيري** للفنون ومتحف **سارة هيلدن** وباتت مجموعاتهم الدائمة شيئاً قديماً ومملاً بالنسبة إليها. اعتادت أن تحاول الحضور في كل عرض في وقت مبكر؛ ولكن ليس في الأسابيع الأولى؛ أي بعد أن تبتعد المجموعات الفنية عن الطريق وبينما لا يزال الكسالى في بيوتهم ممددين على الأرائك.

جعلت أشعة الشمس الصقيع على الأزهار يبرق كالألماس. فكرت **لوميكي** أن تذهب وتهرول لفترة قصيرة بعد تناول الفطور، ولكنها نظرت إلى ميزان الحرارة ووجدته يشير إلى حوالى خمس وعشرين درجة تحت الصفر. كلا، شكراً، فالتنفس في ذلك الطقس المتجمد شديد القسوة على رئتيها.

وفجأة، رن هاتفها المحمول، فنظرت إليه **لوميكي**، ولكنها لم تميز الرقم.

عدم الرد على الأرقام غير المعروفة على الإطلاق. كان ذلك مبدأها من قبل؛ ولكن ليس بعد الآن. ففي هذه الأيام، بات عليها أن تتحلى بالشجاعة الكافية للرد على هذه المكالمات أيضاً؛ لأنها تعيش وحدها وتتولى كل شؤونها بنفسها.

قالت بنبرة رسمية: "**لوميكي أندرسون** تتحدث".

"مرحباً، **إليزا** معك".

إليزا! لماذا قد تتصل بها **إليزا**؟

تنهدت **لوميكي**. لن يتوجب عليها أن تطمئن **إليزا** أيضاً إلى أنها لن تشي بهم لأحد، أليس كذلك؟

"لم أعرف بمن أتصل غيرك. لا يريد الشابان أن يناقشا الأمر معي. إنني أكاد أفقد أعصابي بالكامل. يجب عليك أن تأتي إلى هنا. لا أستطيع تحمل البقاء بمفردي. إنني خائفة. أرجوك ساعديني".

وجدت صوت **إليزا** عصبياً ومرتفع النبرة. فمن الواضح أن حالة هلع شديد استولت عليها.

قالت **لوميكي**: "حسناً، لست أدري...". ولكنها لم تتمكن من إكمال كلامها قبل أن تنهار **إليزا** منتحبة.

حدقت **لوميكي** بالزهور المتجمدة. ماذا إن ضغطت على زر إنهاء المكالمة ثم أطفأت الهاتف؟ لا تتورطي. لا تتدخلي. اهتمي فقط بشؤونك الخاصة. لماذا أصبح الالتزام بقراراتها صعباً الآن؟ ربما لأن **إليزا** أجهشت بالبكاء، وربما لأن أحداً لم يطلب منها المساعدة بشكل مباشر من قبل.

سمعت نفسها تقول عبر الهاتف: "حسناً، سأحضر حالاً". وها قد أمضت ما يكفي من اليوم لنفسها!

كانت **إليزا** تعيش في حي **بينيكي** الذي يقع في الطرف المقابل من النهر، عند سفح تلة كبيرة مستطيلة الشكل تطل على مدينة **تامبيري** والبحيرات المحيطة بها، وهو أكثر الأحياء ترفاً في المدينة. شعرت **لوميكي** أنها غريبة وهي واقفة بمعطفها الشتوي الرث عند

بوابة المنـــزل. كان هناك جدار حجري يحد الحديقة الأمامية الكبيرة من جانب الشارع. أما في الجزء الخلفي من الملكيـــة، فكـــان يبـــدأ منحدر التلة الذي اشتهر بممرات المشاة التي تحيط بها الغابات. بـــدا المنـــزل فخماً وأبيض اللون وضخم الحجم بشكل يـــثير الصـــدمة. فلطالما تخيلت **لوميكي** أن عائلتين على الأقل تعيشان في كل مبنى من تلك المباني، ولكن ذلك لم يكن صحيحاً على ما يبدو، أو لـــيس في هذا البيت على الأقل. لم تتمكن من العثور على أي أسماء مكتوبـــة بوضوح في أي مكان. فلا بد أن سكان هذه البيوت لم يرغبوا بـــأن تفصح صناديق بريدهم أو لوحات بيوتهم عن الكثير من المعلومـــات عن عائلاتهم.

تفقدت الرسالة النصية مرة أخرى. نعم، العنوان صحيح.

كان هناك أسدان برونـــزيان موضوعان على جانبـــي البوابة، وكلاهما ينشب براثنه بالسياج المعدني. احذر من الأسود!

ضغطت **لوميكي** على زر الجرس. وفي غضون ثوانٍ، فتحـــت **إليزا** الباب الأمامي، وهرعت نحو البوابة مسرعة مرتديـــة ملابـــس زهرية اللون. ربما ارتدت **لوميكي** ملابس قديمة ورثة اشـــترتها مـــن متجر للبضائع المستعملة، ولكنها على الأقل لم تبد مثلها أشبه بهاربة من مستشفى للأمراض العقلية. فتحت **إليزا** البوابة وألقت ذراعيهـــا حول **لوميكي** قبل أن تتمكن هذه الأخيرة من تفاديها.

تمتمت **إليزا** متلعثمة: "شكراً جزيلاً لحضورك! لم أكن واثقة من طريقة تجاوبك مع دعوتي لأننا لا نعرف بعضنا حق المعرفة".

فاحت منها رائحة الورود والبذخ. لم تكن **لوميكي** تضـــع أي عطر، ولكنها دربت أنفها بشكل جيد على التمييـــز بـــين أنـــواع

العطور، وأصبحت بارعة في ذلك. ففي وقت ما في الماضي، كان تمييز شخص ما من مسافة بعيدة بالاعتماد على رائحة عطره يمنحها ثواني حاسمة قليلة تحتاج إليها للهرب.

قالت وهي تنأى بنفسها بسرعة عن عناق الفتاة: "هذا عطر **جوي** من **جين باتو**". وجدت هذه الطريقة الاجتماعية الدارجة في الآونة الأخيرة في **فنلندا** والمتمثلة في معانقة الغرباء أشبه بزكام عنيد يتطلب علاجاً سريعاً.

نظرت **إليزا** إلى **لوميكي** بدهشة، وقالت: "لم أكن أعرف أنك خبيرة بالعطور. لقد أهداني والدي هذا العطر في مناسبة الكريسمس الماضية. يقولون إنه أغلى عطر في العالم".

"نعم".

لم تكن لدى **لوميكي** بالتأكيد أية رغبة في أن تنهمك بمحادثة سخيفة لا طائل منها عن العطور وهدايا الكريسمس. فهي لا تحب الثرثرة، ولكنها حضرت لأن **إليزا** اتصلت بها وبدت باكية وفزعة. وإن اكتشفت أنها دعتها للحضور لتثرثر معها وتسليها، فستعود أدراجها إلى البيت في الحال. فقد ظل بوسعها أن تلحق بصف تعليم الرياضة القتالية.

راحت **إليزا** تقفز في الأنحاء وكأنها أرنب زهري مرح. ولم يكن يبدو عليها حتى تلك اللحظة أنها انتبهت لشدة برودة الطقس في الخارج.

فقالت: "هيا لندخل".

أومأت **لوميكي** برأسها.

في الداخل، بدا البيت أكثر جمالاً من الخارج. فقد تميز بسقف

عالٍ، ونوافذ بارزة، وخشب فاتح اللون، وأثاث بدا من الواضح أنه كلفهم أكثر مما تدفعه **لوميكي** كأجرة بيت لسنة كاملة، والكثير من أشعة الشمس الشتوية التي تتدفق على الأرضيات والأسطح الأخرى من دون أن تكشف عن ذرة واحدة من الغبار. فلا بد أن عاملة التنظيف التي ذكرتها **إليزا** في المقهى في اليوم الفائت قد أنجزت عملاً ممتازاً مقابل قبض أجرها مضاعفة.

قالت **إليزا**: "في الطابق السفلي، توجد منطقة بركة السباحة وحمام الساونا". فقد وجدت أنه من المناسب أن تقول هذا بينما أخذت **لوميكي** تخلع جزمتها السوداء ومعطفها وتلقي بقفازيها الصوفيين ووشاحها وقبعتها على الرف فوق مشجب تعليق المعاطف.

أجابت **لوميكي** باقتضاب: "لم أحضر إلى هنا للسباحة".

أصيبت **إليزا** بالارتباك، وقالت: "بالطبع لا. إنني آسفة. هل تريدين أن تشربي أي شيء؟ كابوتشينو أو موكاتشينو أو لاتيه؟".

"مجرد قهوة سوداء عادية".

"حسناً، سأحضرها. يمكنك الصعود والانتظار في غرفتي".

بدأت **لوميكي** تصعد الدرج. وعندما وصلت إلى الفسحة، وجدت مرآة لمحت فيها تلك الفتاة التي تبدو خارج مكانها المألوف. ما الذي تفعله هنا!؟ لا بد أنها ارتكبت خطأ بحضورها إلى هنا. شعرت رغماً عنها أنها تغرق أعمق فأعمق في مستنقع تفوح منه رائحة تزداد سوءاً بمرور كل لحظة.

بدت غرفة **إليزا** أشبه بمكان انفجرت فيه قنبلة طلاء زهري وأسود. فقد هيمن هذان اللونان على كل شيء؛ من السجاد إلى الجدران، ومن الستائر حتى الكمبيوتر المحمول. ترى، هل تعمدت

تصميمها على هيئة قصور الأميرات ثم رشت عليه نكهة شبيهة بنكهة موسيقى الشوارع لتعطيها مسحة شبابية؟ بلغت مساحة تلك الغرفة ضعف مساحة شقة **لوميكي** بأكملها. وكان فيها أيضاً باب يؤدي إلى شرفة صغيرة.

لاحظت أن **إليزا** تملك تشكيلة لا حصر لها من المجوهرات ومساحيق التجميل. ووجدت رف الأفلام مليئاً بأفلام الرعب والكوميديا الرومانسية.

بحثت **لوميكي** عن عيب في الغرفة. فغرفة كل شخص فيها عيب ما، أو شيء غير مناسب للصورة، أو يتناقض مع كل المفاهيم المسبقة.

على الرف السفلي من المكتبة، وجدت صفاً من الكتب التي تتحدث عن علم الفلك. وشعرت أن موقعها يوحي بأن من وضعها هناك يريد أن يبقيها بعيدة عن الأنظار. ولكن، كان هناك عدد وافر منها؛ حيث لا يمكن أن تكون مجرد بقية من هدية فاشلة أو مصادفة. والآن، تذكرت **لوميكي** أن **إليزا** تحرز علامات متقدمة في مادتي الفيزياء والرياضيات.

أما العيب الثاني، فقد اكتشفت أنه كرة صوفية منفوخة وسنانير حياكة عليها بداية كنزة أو شيء من هذا القبيل. إذاً، **إليزا** لم تكن تحب أن تشتري كل ملابسها جاهزة من السوق.

هذا مثير للاهتمام! جعلت هذه الأشياء **لوميكي** تشعر بالرغبة بالتعرف أكثر إلى **إليزا**. والآن، قامت بمجرد تسجيل ذهني لهذه الأشياء غير المنتظمة ودستها في مكان ما في رأسها.

أعلنت **إليزا** عند الباب: "القهوة السوداء!". وقدمت **للوميكي** فنجاناً.

كانت سوداء فعلاً. وكان فنجان **إليزا** زهري اللون. فلفت هذا الشيء نظر **لوميكي** على الفور، ولكنها قررت أن تكف عن العمل التحليلي في تلك اللحظة.

سألتها قائلة: "لماذا طلبت مني الحضور إلى هنا؟".

جلست **إليزا** على سريرها وتنهدت.

"إنني خائفة كثيراً، ولا أعرف ما ينبغي عليّ فعله".

"ماذا تتذكرين عن يوم الحفلة؟".

"ليس الكثير. أو بالأحرى، إنني أتذكر الكثير، ولكنني أعاني من صعوبة في الربط بين الأحداث".

اقترحت عليها **لوميكي** قائلة: "أخبريني كل شيء منذ البداية بالتفصيل قدر المستطاع. ما الذي تتذكرينه عمّا حدث في الحفلة؟ وكيف انتهى المطاف بالنقود في حوزتكم؟ وعندئذ، يمكننا أن نقرر ما هو أفضل سير للأحداث".

لطالما كرهت نبرة صوتها التعليمية الرتيبة، ولكنها في تلك اللحظة توجب عليها أن تتحدث مع **إليزا** وكأنها طفلة. فقد راحت يدا الفتاة ترتعشان رغم أنها حاولت جهدها أن تمسك فنجانها بإحكام.

بدأت **إليزا** ببطء تروي قصتها التي بدت غير مترابطة ومليئة بالاستطراد الذي لا معنى له. فبعد أن عرفت أن والديها سيخرجان من البيت يوم الأحد، قررت أن تقيم حفلة مفاجئة. إذ كانت والدها ستغادر يوم السبت في رحلة عمل تدوم طوال الأسبوع، بينما سيمضي والدها طوال ليلته في العمل. استرسلت **إليزا** لبعض الوقت في الحديث عن الاستعدادات التي قامت بها، والأشخاص الذين أرادت أن تدعوهم للحفل، والمأكولات والمشروبات. ففكرت

لوميكي في سرّها: *ادخلي في صلب الموضوع. فليس هذا بالضبط ما قصدته بالتحدث بالتفصيل*. فلو أرادت **إليزا** أن تثرثر، فحريٌ بها البحث عن مستمعة أخرى.

"أردت أن أضيف المزيد من المتعة إلى حفلتي، لذا طلبت من **كاسبر** أن يحضر بعض الحبوب لي و**لتوكا**. فقد تناولناها من قبل في بعض الأوقات، وهي تمنح متعة أكبر من تناول الشراب. إذ إن الإفراط في الشرب يجعل المرء يود التقيؤ".

وجدت **لوميكي** تعبير وجه **إليزا** المتجهم مسلياً. فمن لا يتقيأ بعد الإفراط في الشرب؟ أليس هذا من السمات الأساسية لاحتساء الشراب؟

سألتها قائلة: "من أين أتى بها **كاسبر**؟".

"لا أعرف. ولا أريد أن أعرف. أحياناً يتسكع مع شلة محتالة من الأفضل تجنبها".

نبرة فاضلة مفاجئة. فلا بد أن **إليزا** قد تذكرت فجأة أنها ابنة ضابط شرطة.

"هل تناولها أحد آخر غيركم؟".

"كلا، على حد علمي. **فكاسبر** يتوخى الحذر الشديد حول الأشخاص الذين يتعامل معهم؛ لأنه لا يريد أن يتم القبض عليه".

بالطبع لا، ولكن كان من الممكن **للوميكي** أن تخبرها أن مافيا العطور على الأقل يبدو عليها أنها تعرف حق المعرفة أنهم لم يكتفوا باحتساء المشروبات.

ضحكت **إليزا** وقالت: "بدأ معظم الناس بالعودة إلى بيوتهم بعد منتصف الليل بقليل. فالأولاد الصغار الطيبون لا يريدون أن يعانوا من آثار السهر في المدرسة في اليوم التالي".

لم تنضم **لوميكي** إليها في الضحك، فاستعادت **إليزا** حديثها مرة أخرى.

"حسناً. الآن عندما أفكر بما حدث، أظن أنها كانت ربما فكرة حسنة حتى بالنسبة لي أنا. فقد أصبح الجميع ثملين بحلول ذلك الوقت. أدرك أنني كنت بحالة ذهول. وفي ذلك الوقت، تبدأ ذاكرتي بأن تصبح ضبابية. أتذكر أنني رأيت بعض الناس يتقيأون في الزوايا. وكسر أحدهم زهرية من الكريستال وجرح نفسه بالزجاج. وبات البيت كله في حالة فوضى عارمة، فطلبت من **توكا** أن يطرد بعض الثملين الحمقى من البيت".

أخفضت **إليزا** فنجان قهوتها ووضعته على مكتبها، وبدأت تعبث بالبشرة الميتة على أظافرها. وكان طلاء أظافرها الزهري الفاقع متقشراً عند الأطراف. ارتعشت يداها قليلاً، فلم تقل **لوميكي** أي شيء. فمن الأفضل أن تدع **إليزا** تروي قصتها من دون أن تطرح عليها أي أسئلة تقودها في اتجاهات أخرى. فالذكريات يمكن الاعتماد عليها بشكل أفضل إن لم يحرضها أحد باتجاه متعمد.

"بحلول الساعة الثانية بعد منتصف الليل، كان الجميع قد غادروا باستثناء **توكا وكاسبر**. أمضينا معظم الوقت هنا في غرفتي ونحن نتسكع ونعبث في الأنحاء. ولم يعد يتوجب علينا التظاهر بأننا نشرب فقط... وحانت الساعة الثالثة".

فجأة، صمتت **إليزا** وابتلعت ريقها وعبست.

تابعت كلامها قائلة: "أظن أنني خرجت إلى الشرفة لأدخن. نعم، هذا ما حدث. وعندئذ رأيت ذلك الكيس الغريب هناك في

الحديقة. لا بد أنه لم يمض عليه هناك أكثر من نصف ساعة؛ لأنني كنت أخرج لأدخن بين الحين والآخر. لا أفعل هذا كثيراً، ولكنني عادة في الحفلات أشعر برغبة في التدخين".

مجدداً النبرة الفاضلة نفسها، وقناع تمثيل الأدوار نفسه. ربما كانت **لوميكي** ستعبّر عن إعجابها بذلك الأداء لو أنه لم يزعجها إلى هذا الحد في هذا الموقف.

فسألت وهي غير قادرة على كبح نفسها: "ماذا فعلت عندئذ؟".

بدأت **إليزا** تعبث بالقلب الذهبي المعلق من سحاب بذلتها الرياضية الزهرية. فسحبته إلى الأسفل بضعة سنتمترات ثم رفعته للأعلى بسرعة ثانية. فتحته وأغلقته ثم فتحته وأغلقته. أخذت **لوميكي** رشفة من قهوتها ووجدتها خفيفة وعديمة النكهة.

"لسبب ما، بدأت أضحك بشكل هستيري لأنه بدا غريباً جداً هناك وهو مرمي على الثلج. لا يسعني أن أشرح أكثر من ذلك. أظن أنني كنت فاقدة صوابي بشكل كامل. تركت الشابين في الأعلى، ونزلت لأحضر الكيس. وعندما دخلت، فتحته ووضعته هناك في الصالة".

ابتلعت **إليزا** لعابها مرة أخرى.

"في البداية، لم أتبين محتويات الكيس بوضوح، وظننت أنها مجرد قمامة. وبعد ذلك، أخرجت قطعة ورقية وأدركت أنها نقود ملطخة بالدم. لقد كان الكيس كله مليئاً بأوراق نقدية من فئة خمسمائة يورو وكلها ملطخة بالدم. تلطخت يداي بالدم، ولكن كل ما فعلته هو الضحك. فقد وجدت الموقف برمته مضحكاً".

حدقت **إليزا** بالسجادة الزهرية على الأرضية السوداء. وتراوحت المشاعر التي ارتسمت على ملامح وجهها بين الغثيان والاشمئزاز والخزي والخوف.

"لم يخطر ببالي التفكير قط بالسبب الذي جعل النقود ملوثة بالدم. ناديت الشابين كي يأتيا وينظرا إلى ما لدي. فبدآ يضحكان بدورهما ويكرران مرة تلو الأخرى أننا أصبحنا أثرياء الآن. لم نعد المال في تلك اللحظة، ولكن الكيس كان يحتوي على ثلاثين ألف يورو. لم نفكر بأي شيء على الإطلاق. نعم، باستثناء أنه يجب علينا تنظيف النقود بطريقة ما".

أدركوا أنه لا يمكنهم غسل المال في بيت أي شخص لأنهم لن يتمكنوا من تجفيفه بدون أن يلاحظ أحد ذلك. وبعد ذلك، أتى **توكا** بفكرة تجفيفه في غرفة التحميض في المدرسة، حيث يدرس التصوير الفوتوغرافي. وكانت لديه نسخة من مفتاح والده الخاص بالمدرسة صنعه منذ وقت طويل، كما كان يعرف الرقم السري الخاص بمنبه اللصوص.

قالت **إليزا** وهي تنظر إلى **لوميكي** بعينين متوسلتين: "بدت لنا تلك الفكرة أذكى فكرة في العالم في ذلك الوقت. هل يمكنك أن تفهمي هذا؟".

ففكرت **لوميكي** في سرّها في أنها لا تفهم، ولكنها لم تعبر عن رأيها هذا بصراحة.

وقالت بدلاً من ذلك: "وفي الصباح، توجب على **توكا** أن يسرع ليخرج المال من هناك".

"إن سألتني، فأنا أفضل لو تركناه هناك؛ لأنني لم أرغب بلمسه مرة أخرى. لا أستطيع الكف عن التفكير بالدم ومصدره. أهو دم

شخص ما؟ لماذا وجدت الكيس في حديقتنا؟ من وضعه هناك؟ لن أتعاطى أية حبوب مخدرة بعد الآن. لو أنني كنت صاحية في تلك الليلة لاستطعت أن أرى من أحضر الكيس".

نهضت **إليزا** على قدميها، وبدأت تذرع المكان جيئة وذهاباً بتوتر.

فنهضت **لوميكي** على حد سواء، وذهبت إلى باب الشرفة وفتحته. باغتتها الهواء البارد على الفور، ولكنها لم تأبه لذلك. فخرجت إلى الشرفة، ونظرت إلى الحديقة، وسألت قائلة: "هل كانت تلك البوابة مقفلة تلك الليلة؟".

أجابت **إليزا**: "نعم. فقد تفقدتها في حوالى الساعة الثانية صباحاً".

قدرت **لوميكي** المسافة بين الطريق والحديقة، فوجدت أن من السهولة الإلقاء بكيس قمامة من فوق السياج الحجري برمية قوية.

"هل توجد كاميرا مراقبة في الشارع؟".

فهزت **إليزا** رأسها.

وقالت: "هناك كاميرا عند البوابة الخارجية وعند الباب ولكن ليس في الشارع".

فكرت **لوميكي** في الموضوع ملياً، وتركت الهواء البارد يقضم أصابعها. فقد ساعدها هذا على إبقاء ذهنها متيقظاً.

شخصٌ يلقي بكيس مليء بالأوراق النقدية الملطخة بالدم من فوق السياج في منتصف الليل! لا بد أن النقود تشير إلى تسديد حساب، كما يدل الدم على تحذير ما. إذاً، هل المال تهديد أم شكر؟ ولمن؟ وهل أُلقي الكيس في الحديقة الصحيحة؟

بالنظر إليه من الشارع، بدا المنـزل الواقع إلى اليمين مختلفاً، وحديقته تمتد إلى الأمام أكثر. وكان الطريق منعطفاً قليلاً عند بيت **إليزا** الذي بدا متراجعاً إلى الخلف مسافة قصيرة.

أشارت **لوميكي** إلى البيت وقالت: "من يعيش هناك؟".

"عائلتان لديهما أطفال صغار. أظن أن الزوجتين كلتيهما تعملان بالمحاماة أو شيء من هذا القبيل. أما أحد الوالدين فيعمل فناناً من نوع ما، بينما يعمل الآخر في البلدية. لم يدخل أطفالهم المدرسة بعد".

قيّمت **لوميكي** مظهر الشقة المزدوجة والحديقة. ووجدت أن الخلط بينها وبين منـزل **إليزا** احتمال غير وارد. ومع ذلك، فالمنـزل الواقع إلى اليسار بدا مشابهاً من حيث الحجم والشكل واللون، ولكن طرازه أحدث قليلاً. وحتى إنّ الجدار المحيط به شكّل استمراراً مطابقاً لجدار بيت **إليزا**، لذا من السهل لشخص ما أن يخلط بينهما.

"وماذا عن ذلك البيت؟".

وقفت **إليزا** إلى جانبها في الشرفة وهي ترتعش.

"آه، هناك؟ إنه رجل غريب الأطوار يبلغ الأربعين أو نحو ذلك، ولكنه يحاول أن يبدو أصغر سناً. لطالما شعرت أنه يعيش حالة شبيهة بحالة بطل فيلم **الشفق** (توايلايت) لأنه يرتدي تلك المعاطف الجلدية الطويلة. لا بد أنه يظن نفسه شبيهاً بأمير مصاصي الدماء أو شيء من هذا القبيل، ولكنه في الواقع يبدو مثيراً للشفقة وحسب. ليست لدي أية فكرة عما يفعله. ومع ذلك، فمن المؤكد أنه يعمل في مكان ما؛ لأنه يذهب كل صباح إلى مكان ما ثم يعود في الليل. وهو يعيش

وحده في ذلك البيت الكبير. ولم أر أي أحد يزوره. حتى إنه لا يلقي التحية على الآخرين في الطريق".

نظرت **لوميكي** إلى **إليزا** التي بدت عيناها مفتوحتين على وسعهما.

فقالت **إليزا**: "لا بد أنه كان من المقرر رمي النقود له، فانتهى بها المطاف في الحديقة الخطأ! نعم، فهو بالضبط من النوع الذي يمكنه التورط في صفقات لصوص أو تضحيات حيوانات أو أعمال من هذا القبيل".

بدت **إليزا** مسرورة من استنتاجها.

قالت **لوميكي**: "هذا مجرّد احتمال واحد، ولكنه ليس الفرضية الوحيدة الممكنة".

فلو تم رمي النقود في الحديقة الصحيحة، فالمتلقي المقصود هو **إليزا** أو أبوها أو أمها.

ألقت **لوميكي** نظرة خاطفة نحو **إليزا** التي كادت أسنانها تصطك من شدّة البرد. فبدت لها وهي ترتعش أشبه بدمية محشوة بالقطن تساقطت معظم حشوتها. وأدركت أنه من غير الوارد أن تتورط في شيء قد تنتج عنه دفعة قيمتها 30000 يورو. ورغم ذلك، لا أحد يمكنه أن يعرف بشكل مؤكد. لطالما اعتبرت **لوميكي** نفسها أفضل من يكشف الكاذبين. فلم تبدُ لها **إليزا** كاذبة، أو على الأقل ليست كاذبة جيدة حيث تستطيع خداعها. فقد تعرضت **لوميكي** لأكاذيب الناس مرات عديدة في حياتها، حيث باتت تستطيع أن تكشف التغييرات في نبرة الصوت وتعابير الوجه التي تفضح الكاذبين.

همست **إليزا** قائلة: "ولكن، أياً يكن السبب، هنـــاك شـــعور يتملكني بأن هناك شخصاً ما يريد استعادة تلك النقود في الحال".

لم يكن لدى **لوميكي** أي كلام مطمئن لتقوله لها.

فاتفقت معها كلياً.

8

ارتجف **فيفو تام**. لم يتذكر متى كانت آخر مرة شعر فيها بمثل هذا البرد. حاول أن يقفز في مكانه ليبث الدفء في جسمه، ولكن عضلات ساقيه المتيبسة لم تتجاوب معه.

لم يمض عليه سوى ساعة واحدة وهو واقف للحراسة على طول طريق الجري في تلة **بينيكي**، ولكنه بدأ يشعر أن قدرته على التحمل وصلت إلى أقصى حدٍّ لها. كان يرتدي سترة سميكة من الفراء، وتحتها كنزة صوفية محبوكة بإحكام، ويعتمر قبعة تغطي أذنيه، ولكن البرد ظل يجد طريقه إلى جسده مخترقاً هذه الطبقات كلها. فقد هاجمه حتى من أصغر ثقب إبرة، وراح ينهش بلا رحمة جسده الذي راح يكابد بلهفة للحفاظ على درجة حرارته. وأخيراً، قرر **فيفو** أن يتصل.

أخذت أصابعه المتيبسة تضغط أزرار الهاتف الخليوي اليابسة أيضاً. ولم يستطع حتى أن يفكر مجرد تفكير بنزع قفازيه الجلديين المبطنين. فاستغرق البحث عن الاسم الصحيح من لائحة الأسماء والضغط على الزر الأخضر خمس دقائق كاملة.

ثم أتى الرد المتوقع: "حسناً؟".

"لا توجد أية إشارة. لا يمكنني البقاء في الخارج أكثر من ذلك. سأتجمد حتى الموت".

فقال **بوريس سوكولوف**: "تحمّل". وأنهى الاتصال في وجهه.

حدق **فيفو** بالهاتف للحظة وهو يطبق أسنانه بغضب. جلس كل من **سوكولوف ولينارت كاسك** في شاحنة التوصيل في ركن قصي من الشارع. ولا بد أنهما يشعران براحة تامة وهما يصدران الأوامر أثناء جلوسهما هناك في ذلك المكان الدافئ والمريح.

ماذا سيفعل إن لم تخرج الفتاة من البيت طوال اليوم؟ أو حتى تأخرت في الخروج؟ أدرك الثلاثة أنه ليس بوسعهم الاستمرار في المراقبة لساعات. فقد يلاحظ أحد وجود شاحنة الفان، ويثير هذا الأمر الشكوك في نفسه. وقد يكتشف أن لا أحد في هذه الأنحاء يحتاج إلى سمكري في هذه اللحظة. كما أن تغيير رقم لوحة السيارة وشعارها تطلب منهم الكثير من الوقت والمال، وهذا ما لا يريد أحد منهم أن يقوم به من دون الحاجة لذلك.

يا الله! لقد كانوا واثقين من أن رؤية الدم ستشكل أكثر من تهديد كاف، ولكن ذلك الرجل أثبت أنه يتمتع بأعصاب أكثر برودة من توقعاتهم. والآن، حاول أن يراهن مراهنة تفوق قدرته على التحمل. في الواقع، لم يكن يستطيع أن يتحمل أي شيء. لا أحد منهم يستطيع ذلك، ولا حتى **سوكولوف**. فرغم سعادته بلعب دور رئيس العصابة، إلا أنه ظل موثقاً بوثاق متين كبقيتهم. والمشنقة المحيطة بعنقه تبقى مشنقة؛ حتى لو كانت مرصعة بالألماس.

ربما لم يكن الفنلندي يأبه لأمر تلك الفتاة كما ظنوا على أية حال. وربما كان يخدعها. ولكن، لا بد أن اختطاف ابنته سيجعله يفوق من أوهام عظمته الكاذبة.

حدقت **لوميكي** بطبقها الذي يحتوي على معكرونة مسلوقة يتراوح لونها بين الرمادي واللون القشدي. لقد كانت **إليزا** صادقة عندما قالت إنها لا تجيد الطهي. وعلى ما يبدو، كانت المجمدة تحوي مؤونة من الوجبات التي أعدتها لها أمها مسبقاً، ولكن **إليزا** وجدت أن تسخينها مهمة مزعجة، وفضلت تناول وجبة المعكرونة الجاهزة. تناولت **لوميكي** شيئاً من المعكرونة الطويلة النحيلة التي تطفو في المرق المالح وقررت أن تتحمل طعمها. أو في الواقع، اتخذت عصافير بطنها الجائعة القرار نيابة عنها.

شعرت أنها تكاد تتضور جوعاً، فقد انقضى الصباح وحلت فترة العصر. ولم يعد يشغل بال **لوميكي** سوى موعد عودتها إلى البيت. فكلما همت بالمغادرة، اختلقت **إليزا** عذراً ما لتجبرها من أجله على البقاء. فلا بد أنها فعلاً كانت تخشى البقاء وحدها.

وصلت المحادثة بينهما إلى طريق مسدود. فقد ناقشتا كل شيء يتعلق بالنقود. وفكرتا في ما إذا كان المقصود إيصال ذلك المبلغ للرجل الذي يرتدي المعطف الجلدي في المنزل المجاور. وبدت **إليزا** مقتنعة بتلك الفكرة.

"لا يمكن لأمي وأبي أن يتورطا بعمل غريب من هذا النوع. فهما مواطنان صالحان وشريفان".

لم يخطر ببال **لوميكي** أن تستثني إمكانية أن يكون المال موجَّهاً إلى والدَي **إليزا**، لذا سألت **إليزا** عن الوظيفة التي تعمل بها والدتها. وعلى ما يبدو، كانت تعمل لصالح شركة مستحضرات تجميلية؛ في الفريق الذي يتولى أعمالها الدولية. لم تكن مديرة كبيرة أو ما شابه، ولكن **إليزا** قالت إنها تكسب مبلغاً محترماً من المال.

قالت **إليزا** وهي تتأمل المنظر من النافذة: "إنها تقضي نصف وقتها مسافرة خارج البلاد".

ولاحظت **لوميكي** مزيجاً من الانزعاج والكآبة في ملامح الفتاة.

تابعت **إليزا** كلامها مبتسمة: "من حسن الحظ أن والدي يقضي معظم وقته في البيت؛ باستثناء العطلة الأسبوعية الماضية بالطبع".

والد **إليزا** ضابط في الشرطة.

سألت **لوميكي** قائلة: "أي نوع من رجال الشرطة والدك؟".

فنكست **إليزا** رأسها شاعرة بالخزي.

وأجابت قائلة: "مكافحة المخدرات".

فكرت **لوميكي** بذلك المثل الشعبي الذي يتحدث عن الإسكافي الحافي وما إلى هنالك. كانت ستبتسم ساخرة لو أنها لم تنزعج من غباء **إليزا** إلى هذا الحد. ابنة ضابط في مكافحة المخدرات تتعاطى الممنوعات! قد يظن المرء أن **إليزا** ليست مضطرة للإقدام على هذا العمل المتهور. لم تتفوه **لوميكي** بأي تعليق، ولكن **إليزا** فسرت صمتها بشكل صحيح.

فقالت بنبرة دفاع عن النفس: "هيا، إنه مجرد استخدام ترفيهي عرضي. لست مدمنة أو ما شابه، فأنا أعرف حدودي. سبق لي أن قلت إنني لن أتناول أبداً تلك الحبوب مرة أخرى. من الآن وصاعداً، لن أفعل أي شيء من هذا القبيل".

"يمكنك على الأرجح أن تسألي والدك في وقت ما عن عدد المستخدمين الترفيهيين في هذه المدينة الذين دمروا حياتهم كلياً بسبب

هذا الاستخدام. ولكنني لم آت إلى هنا لألقي عليك محاضرة حول عادتك السيئة، بل أتيت إلى هنا لمجرد الحديث عن النقود".

قالت **إليزا** وهي تتنهد للمرة العاشرة: "لا أستطيع التحدث إلى والدي بهذا الشأن إن كان متورطاً بعمل مريب ما. وهذا بالطبع ما لا أصدقه على أية حال. ولكن، إن كان هذا صحيحاً فعندئذ لا يسعني الوثوق به. إذ يمكنه أن يكذب عليّ بسهولة كأي شخص آخر. ولا يمكنني الذهاب إلى أي شرطي آخر لأسأله عنه لأنه والدي. وحتى لو كان متورطاً في عمل ما، فلا يمكنني أن أخونه. ماذا إن كان يقوم بعملية متخفية ما؟ يا إلهي! إن رأسي يكاد ينشق إلى نصفين!".

سألتها **لوميكي** قائلة: "متى يعود والدك إلى البيت اليوم؟".

"في غضون بضع ساعات".

"هل كان يتصرف بشكل طبيعي بالأمس؟".

"أظن ذلك. ولكنني كنت أبذل جهدي لإخفاء آثار الحفلة التي أقمتها بالأمس، والسر الضخم الذي أخفيه في مؤخر خزانتي؛ حيث إنني على الأرجح لم أكن لألاحظ أيّ شيء؛ حتى لو راح والدي يرقص رقصة "البولكا" واضعاً أذني شخصية **ميكي ماوس** الكرتونية".

فقالت **لوميكي**: "انتبهي لتصرفاته. تحدثي إليه. لا تطرحي عليه أسئلة مباشرة، ولكن لاحظي ما تكشف عنه تعابير وجهه وإيماءاته. إن الناس يفصحون عن الكثير من دون حتى فتح أفواههم. وراقبي جاركم. إن كان المال له، فمن المؤكد أنه سيبدأ بالتصرف بشكل غير مألوف لأنه لم يحصل عليه".

نظرت **إليزا** إليها، ثم نهضت ومشت نحوها.

وقالت وهي تعانقها بسرعة: "شكراً".

دُهِشت **لوميكي**، فهي لم تشعر هذه المرة أن تصرف الفتاة بغيض إلى هذا الحد. عادت **إليزا** إلى كرسيها، وتابعت تناول وجبة المعكرونة المسلوقة وهي تشفط خديها وتأكلها ثم تشرب المرق من الوعاء مباشرة. بدت فجأة أشبه بفتاة صغيرة.

قالت **إليزا** وهي تبتسم: "سأتحدث إلى والدي وأتجسس على ذلك الجار. ربما سأعثر على تفسير منطقي تماماً لكل ما يجري. وعندئذ، يمكنني أن أفكر بما سأفعله بالمال. لن يوافق **توكا** و**كاسبر** على فكرة التخلي عن حصتهما من المال، ولكنني أستطيع أن أجعلهما يطيعانني إن أردت ذلك".

بدت ثقتها بنفسها مؤثرة.

سألت **لوميكي**: "هل أنت خائفة؟".

"ليس كثيراً".

"حسناً. إذاً، أنا ذاهبة إلى البيت".

جربت **إليزا** أن ترسم على وجهها تعبيراً يشبه تعبير وجه كلب خائب الأمل، ولكن **لوميكي** صمدت أمامها؛ فقد اكتفت من لعب دور الصديقة لهذه الفتاة طوال اليوم. وقد أدت دورها على أكمل وجه.

أخذت **لوميكي** معطفها من على المشجب، وشدت رباط جزمتها العسكرية بإحكام، ثم لفت وشاحها حول عنقها. مدت يدها لتأخذ قفازيها من على رف القبعات، ثم تحسست الرفّ بحثاً عن القبعة التي انزلقت إلى الوراء قليلاً، فتوجب عليها أن تقف

على أطراف أصابع قدميها لتتمكن من القبض على طرفها. وبينما هي تشدها، سمعت صوتاً منذراً بالشؤم.

صاحت **إليزا** عندما سحبت **لوميكي** قبعتها التي نسل صوفها: "آه، كلا. لا تزال هناك بعض الخطافات التي لم نثبّتها بعد. لقد مزقت بضعة أشياء عليها أيضاً".

قالت **لوميكي**: "حسناً، أظن أنني سألف وشاحي على أذني بطريقة ما".

فقالت **إليزا** بعد أن أخرجت بسرعة قبعة صوفية حمراء ودستها بسرعة على رأس **لوميكي**: "كلا، يمكنك أن تستعيري إحدى قبعاتي. لدي الكثير منها. سأصلح قبعتك أو أصنع لك واحدة جديدة".

"رائع. حسناً. شكراً لك".

وقفت **لوميكي** في الصالة لبضع ثوان إضافية. وشعرت أن هناك شيئاً أكثر تشجيعاً يفترض بها قوله.

فقالت أخيراً عندما لم تتوصل إلى أيّ شيء آخر تقوله: "اعتني بنفسك".

لم تكن بارعة في تأدية دور الصديقة العطوفة.

فقالت **إليزا**: "نعم. إن أردت يمكنك أن تنزلي من الخلف. فالدرجات الأمامية قد تكون زلقة".

عضت على شفتها وكأنها تريد أن تقول شيئاً آخر. لم تسألها **لوميكي** عما سيفعلونه لاحقاً، ولكن تملكها شعور بغيض بأن هذه الزيارة لن تكون الأخيرة إلى بيت **إليزا**.

لقد كان حضورها إلى هنا خطأً.

9

رد **بوريس سوكولوف** على هاتفه الخليوي قبل أن يصل المقطع الأول من أغنية "أنت تعيش مرتين فقط". إلى نهايته.

"حسناً؟".

قال **فيفو تام**: "لقد غادرت لتوها من الخلف. وصعدت التلة".

أومأ **سوكولوف** بسرعة إلى الرجل الإيستوني الجالس بجانبه، فقام هذا الأخير بتشغيل محرك الفان.

سأل **بوريس سوكولوف** قائلاً: "هل أنت واثق من أنها الفتاة المطلوبة؟".

فقال **فيفو**: "نعم، تعتمر القبعة الحمراء نفسها".

قال **بوريس سوكولوف** قبل أن ينهي الاتصال: "عندما ترانا نقترب مسافة كافية، اقبض عليها. لا تقل أي شيء. يجب علينا أن نقبض عليها عند المحاولة الأولى".

فرك بوريس يديه المتجمدتين ليبعث فيهما الدفء. وفكر أنه يجب عليهم القبض على الفتاة وحبسها في الجزء الخلفي من الفان في الحال. لم يكن أحد سيراهم. وكلما كان ما تراه الفتاة أقل، كان ذلك أفضل. ومع ذلك، فقد قرر الامتناع عن اللجوء للقسوة معها،

وعدم إلحاق أي سوء بها. ولكن بضع كدمات لن تؤذيها. إذ يجب عليها أن تعرف أنهم يتصرفون بجدية تامة.

نعم، لقد تصرفوا بمنتهى الجدية؛ ربما بطريقة مختلفة عمّا قد تظن، ولكنهم كانوا جادين في كل الأحوال.

حالما يضعون أيديهم عليها، فلا بدّ أنه سيرسل تسجيل فيديو إلى هاتف والدها العزيز. ولا بدّ أنّ هذا سيعيده إلى صوابه، ويجعله يندم على العبث مع الكبار؛ وهذا ما تمناه **بوريس**. وهكذا، سيعدهم الرجل بأن يتصرف بلطف منذ ذلك الوقت فصاعداً، وأن يوافق على نسيان دفعته التالية كبادرة حسن نية، ويقسم على أن ينفذ كل ما يطلبونه منه.

وهذا ما وجده **بوريس** كافياً تماماً.

وإن وصلت الأمور لنتيجتها المرجوة، فسيصبح بوسعهم أن ينزلوا الفتاة من الشاحنة وينطلقوا لتغيير لوحة السيارة مرة أخرى. ورغم أنهم استثمروا مبلغاً كبيراً لمجرد تنفيذ إجراء يهدف للتخويف لا أكثر، إلاّ أنهم وجدوا الأمر في هذه الحالة يستحق الكلفة. تلقى **بوريس سوكولوف** التعليمات من فوق، ووعدوه بأن يسددوا له كل النفقات بالإضافة إلى مبلغ إضافي. فلم يكن بوسعهم التخلي عن رجلهم الذي يأتيهم بالمعلومات. والأهمّ من ذلك أنه هو نفسه لم يكن يتحمل خسارتهم.

وبكل تأكيد، كانت الفتاة ستهرع إلى البيت لتخبر والدها بأن بعض الرجال الأوغاد قد اختطفوها، وسيتظاهر والدها بأنه مندهش ومصدوم، وسيطلب منها معلومات وأوصافاً ويعدها بأن يكتب تقريراً بهم ويلقي القبض على أولئك الأوغاد.

كلا، لم يكن سيتوجب عليها أن تقدم أية إفادة للشرطة. فإبلاغ والدها بكل شيء أكثر من كافٍ. فوالدها يدرك أن تجربة كتلك مؤلمة لها، ولا يريد لابنته أن تتعرض لعناء الاستجواب على أيدي الغرباء.

كاد **بوريس** أن يضحك حين تخيّل الرجل وهو يحاول أن يكبح غضبه لأنه غير قادر على إخبار أحد.

ولكنه أعد سريره بنفسه الآن، وتوجب عليه أن يستلقي عليه.

قررت **لوميكي** أن تسلك الطريق الطويل أثناء عودتها إلى البيت متسلقة التلة. فقد أرادت أن تتخلص من الصداع الذي تسبب لها به عطر **إليزا** وطرح الكثير من الأسئلة عليها. والقبعة الحمراء المحبوكة التي بدا عليها أنها نقعت بالعطر نفسه لم تشكل أي مساعدة لها على الإطلاق. ومع ذلك، فمن المؤكد أن المشي بدون قبعة سيجعل الصقيع ينهش أذنيها.

تذكرت الفترة التي انتقلت فيها إلى **تامبيري** قبل سنة ونصف السنة، وحضرت للركض في تلة **بينيكي** للمرة الأولى. في ذلك الوقت، غمرها الشعور بالابتهاج لحصولها على حرّيتها فركضت كل الطريق الطويل المنحدر المرهق حتى برج المراقبة بأقصى سرعة استطاعت فيها ساقاها أن تحملاها. وعند وصولها إلى القمة، شعرت بساقيها ترتجفان من شدة الإرهاق. وحالما شمت رائحة الكعك المحلى الطازج الذي يُباع في البرج، فكرت أن عليها أن تتوقف لذلك اليوم. وخطر ببالها أن تجلس وتتناول بعض القهوة والحلوى المغطاة بالسكر. ومع ذلك، واصلت **لوميكي** الركض متجاوزة البرج، وتاركة

حذاءها الرياضي يقفز بخفة على الطريق؛ فخف ارتجافها وعادت إليها بهجة الركض.

أعادت إليها رؤية الطريق ذكريات الماضي. وفجأة، ظهر إلى يسارها منظر مدهش لبحيرة **بيجارفي**. ولاحت من بعيد خلف مباني معمل القرميد الأحمر القديم شمس شهر آب المائلة إلى الغروب وهي تعانق المياه باتجاه الجنوب. وعندما قطعت ممر الجري متجهة إلى الجروف الصخرية لتتأمل مشهد البحيرة، عبقت في أنفها روائح أواخر الصيف الخضراء. وبينما هي تتأمل البحيرة وجزيرة **جالكساري** والضواحي الخشبية في **تامبيري** المرئية من بعيد، تذكرت شعورها بسعادة غامرة للمرة الأولى منذ وقت طويل. فحينها، بدأت حياتها بعد طول انتظار، وبدأت حريتها في تلك اللحظة.

والآن، تحولت الحرية والسعادة إلى مجرد ذكرى بعيدة. حاولت **لوميكي** ألا تفكر بأي شيء. فقد راحت أفكارها تدور في حلقات مفرغة؛ فلم يعد ثمة حل أمامها، ولا طريق للخروج متاح لها.

في الواقع، كان هناك حل وحيد، أي الحل البسيط والواضح؛ وهو أن تذهب إلى الشرطة وتخبرهم كل شيء بغض النظر عن المشكلة التي قد تتورط بها **إليزا** وعائلتها. لم تكن تلك مشكلتها، ولكن **إليزا** وضعت ثقتها بها. وأدركت **لوميكي** أنها لا تستطيع أن تخون تلك الثقة. نقطة انتهى.

بدأت **لوميكي** تحث الخطى في الطريق المؤدي إلى برج المراقبة. حجبت الغيوم الشمس فخفتت أشعتها، وبدت أغصان الأشجار المكسوة بالصقيع متشابكة في كل الاتجاهات، وبدا سفح التلة المتجمد هذا أشبه بصورة في صفحات قصة خيالية، ولكن تلك

الظلال خبأت ربما أكثر المخلوقات المرعبة من تلك القصص نفسها؛ تلك المخلوقات الشريرة التي تغذت على الخوف، والتي تباغت الإنسان من الخلف وتشده نحو الثلج والموت البارد الصامت، والأسوأ من ذلك أن تحوله إلى تمثال حي من الجليد غير قادر على الحركة أو الكلام، وتجعله يعيش إلى الأبد حياته كالأموات.

تصاعد البخار من أنفاس **لوميكي** وهي تحاول أن تتخلص من تلك الأفكار المظلمة، وتحقق حالة من الصفاء الذهني تساعدها على تشكيل أفكار جديدة. وبينما هي تغير مسارها، أدركت في تلك اللحظة أن هناك من يتعقبها. نعم، مرة أخرى! لم يتوجب عليها حتى أن تلقي نظرة خاطفة خلفها لتدرك أنها محقة في حدسها.

ومع ذلك، فقد نظرت ووجدت أن الرجل الذي يمشي خلفها أنزل قبعته على عينيه، ولف وشاحه حول رأسه ليغطي فمه وأنفه. ولاحظت خلف الرجل شاحنة لتوصيل البضائع تتحرك ببطء متماشية معه.

لم تضيّع **لوميكي** أي وقت بالتفكير، بل ركضت مسرعة، وسمعت الرجل خلفها يغير سرعته، ثم انطلقت الشاحنة في أعقابها.

شعرت بالهواء البارد يكاد يشق رئتيها، بينما انزلق أخمص جزمتها العسكرية على الطريق المكسو بالجليد. تمكنت **لوميكي** من أن تنظر نظرة خاطفة إلى الخلف؛ لمدة كافية فقط لكي تلمح وجود رجلين جالسين في الفان. فلاحظت أنهما يخفيان وجهيهما كاشفين عن عينيهما فقط. إنهم جميعاً ينتمون إلى العصابة نفسها!

لم تر أحداً أمامها ولا إلى الجانبين. فلو صرخت، لما سمع أي مخلوق صوتها.

ركضت **لوميكي** بأقصى سرعة ركضتها في حياتها على الإطلاق. فسبقت الرجل الذي يلاحقها، ولكن السيارة أدركتها في غضون ثوانٍ. فُتِحَ الباب، ومد أحد الجالسين في الداخل يده إلى **لوميكي** محاولاً الإمساك بشيء ما. فسمعت صوت تمزق عندما انتزع الرجل أحد أزرار معطفها وتمزقت معه قطعة من القماش. ألقت **لوميكي** بنفسها إلى جانب الطريق، ثم انعطفت بسرعة وتوغلت داخل الغابة.

ركضت في مسار متعرج بين الأشجار، وقفزت فوق الصخور وأكوام الثلج المتراكم متجاهلة الأغصان التي راحت تخدش وجهها. سمعت صوت ضجيج مكابح الفان، ثم صوت الرجال الثلاثة وهم ينطلقون خلفها، ثم سمعت صيحات خمنت أنها باللغة الروسية. أدركت أن الارتباك الذي أصابتهم به التفاتتها المفاجئة لن يدوم لوقت طويل، وأنهم إن تمكنوا من محاصرتها فلن تبقى لديها أية فرصة للنجاة. إذ إنها لم تسبقهم إلا بلحظات معدودة.

لذا، توجّب عليها أن تستغل تلك اللحظات بشكل صحيح. إذ لم تكن ستسنح لها فرصة أخرى.

راح **فيفو تام** يطلق الشتائم عندما غاصت ساقه في الثلج مرة أخرى. فقد بدا على الفتاة أنها تعرف تماماً كيف تتجنب أعمق أماكن الثلج. لحسن الحظ، دلت آثار أقدامها على الأماكن التي اتجهت إليها؛ حتى لو توارت عن أنظاره بين الحين والآخر.

صاح **بوريس** من خلفه: "اقبض عليها!".

فتمنى **فيفو** لو كان يستطيع أن يقول له: *اقبض عليها بنفسك أيها البدين*. ولكنه زاد من سرعة جريه، فبدأ الدفء يعود تدريجياً إلى

عضلاته، وتحسنت قدرتها على تنفيذ الأوامر بعد كل خطوة يخطوها. وصمم أن يلقي القبض على تلك الماكرة الصغيرة، وهو يقول لنفسه: *يمكنك الركض، ولكن لا يمكنك الاختباء مني. وسيبدأ الركض في الثلج بإنهاك قواك*. قد لا يكون **فيفو** الأسرع ولكنه يتحلى بالإرادة.

في تلك اللحظة بالذات، لم يعد يرى أي دليل على وجود الفتاة. فقد وصلت الآثار إلى خارج الأجمة حيث يوجد ممر مضاء للسير. كانت تأمل على الأرجح أن يصادف مرور شخص ما يهرول على طول الطريق وينقذها، ولكن لا فرصة لذلك. فلا يوجد أحد يتمتع ببذرة عقل يمكن أن يخرج للهرولة في هذا البرد القارس. ألقى **فيفو** نظرة خاطفة إلى اليمين واليسار.

لقد اختفت الفتاة. يا لسوء الحظ!

وعندئذ، لاحظ وجود شيء أحمر اللون على بعد بضعة أمتار في آخر الطريق، وعرف أنها قبعة الفتاة.

لقد سقطت عن رأسها وبقيت هناك كمعلم يدل على الطريق التي سلكتها. يا للفتاة ذات الرداء الأحمر المسكينة! ليست فكرة حسنة أن تترك علامات واضحة كتلك للذئب الشرير الكبير. وبينما راح **بوريس ولينارت** يتذمران خارجين من الغابة، بدأ **فيفو** يجري بالاتجاه الذي تشير إليه القبعة وهو يصيح ويطلب منهما أن يتوقفا. فقد وجد أنه لا يمكن للفتاة أن تكون بعيدة.

راقبت **لوميكي** من مكمنها الرجال الثلاثة وهم يركضون بالاتجاه الخطأ؛ بعد أن أسرعت وقفزت خلف إحدى الأشجار تاركة أقل آثار ممكنة على الثلج، واختبأت، ثم ألقت بالقبعة إلى أبعد مسافة ممكنة في آخر الطريق.

نجحت خطتها، ولكنها أيقنت أنها لن تخدعهم لوقت طويل.

تجاهلت الألم الذي أصاب أخمصي قدميها وهي تقفز على الأرض، وانطلقت راكضة من جديد. والآن، أخذ الهواء المتجمد يشق أذنيها إلى جانب رئتيها، ولكنها بالكاد شعرت به هذه المرة.

هربت عائدة إلى الطريق، حيث وجدت الفان المعدة لتوصيل البضائع مركونة جانباً. وقد كُتب على جانب السيارة اسم **ماكينين هـ ف أ س**. كانت **لوميكي** واثقة أن أياً من الرجال الثلاثة ليس اسمه **ماكينين**. فحفظت رقم لوحة السيارة؛ رغم اعتقادها أن ذلك لن يعود عليها بأي نفع.

سمعت دقات قلبها تنبض بعنف في أذنيها.

ابتعدت عن التلة، وعادت أدراجها إلى طريق **بينيكي**. والآن، بدأت ترى السيارات والناس. لاحظت أضواء حافلة تقترب منها، فكانت في تلك اللحظة أجمل ما شاهدته في حياتها. أشارت **لوميكي** إلى الحافلة من بعيد. فأشفق السائق عليها وهي تجري في البرد، وتوقف قبل أن يصل إلى الموقف النظامي. فصعدت **لوميكي** وهي تلهث، ودفعت التعرفة، وتوجهت إلى أقرب مقعد شاغر.

شعرت بركبتيها تصطكان تحتها، وبأنفاسها تؤلمها. وعندما تدفق هواء دافئ إلى رئتيها المعاقبتين بالبرد، هزت نوبة سعال عنيفة جسدها.

رمقتها السيدة العجوز الجالسة مقابلها بنظرة تعاطف واستهجان في آن معاً.

وقالت لها ناصحة: "ينبغي أن تفكري بارتداء قبعة في طقس من هذا النوع أيتها الشابة. وإلا فستمرضين".

استمرت **لوميكي** بالسعال، ولكن الإحساس بدأ يعود إلى أذنيها كوخز الإبر. ضغطت براحتي يديها على أذنيها لتبث فيهما الدفء. ما الذي حدث لها للتو؟ لماذا حاول هؤلاء الناس اختطافها؟ لو أنها مجرد محاولة اغتصاب، أليس من الغرابة أن يستمر الرجال بملاحقتها بذلك الإصرار الجنوني؟ لا بد أنّ لهم علاقة بموضوع النقود. ولكن، ما الذي دفعهم لاستهداف **لوميكي** وهي مجرد متفرجة عفوية ليس لها في الأمر برمته ناقة ولا جمل؟

قالت السيدة العجوز مواصلة موعظتها: "إن ارتداء قبعة صوفية أفضل".

القبعة! نعم، القبعة الصوفية الحمراء. في تلك اللحظة، أدركت **لوميكي** أن الرجال لم يتعمّدوا مطاردتها هي بالذات، بل مطاردة فتاة تعتمر قبعة حمراء. ومن هي صاحبة القبعة الحمراء؟ بالضبط. لقد أرادوا القبض على **إليزا** بكل تأكيد. لقد وجدت هذا التفسير أكثر منطقية. ولكن لسوء الحظ، هذا لا يدع أي مجال للشك في أن النقود تم إلقاؤها في الحديقة الصحيحة. ومطاردة الرجال لها ظناً منهم أنها **إليزا** هي ما أكد صحة هذا الاعتقاد.

فكرت **لوميكي** بما كان من الممكن أن يحدث لو أن **إليزا** غادرت المنزل معتمرة القبعة الحمراء بدلاً منها. صدمتها الفكرة التي خطرت لها... **فإليزا** لم تكن لتنجو، بل كانت ستصبح سجينة الفان، وتلك تحت رحمة أولئك الخاطفين. أخرجت **لوميكي** هاتفها الخليوي بسرعة، وأرسلت رسالة نصية **لإليزا** مفادها:

مهما حدث، فلا تغادري البيت، وأبقي الأبواب مغلقة، ولا تسمحي لأي شخص لا تعرفينه بالدخول.

الأربعاء 2 آذار

في سالف الأزمان، عاشت فتاة لا تخشى شيئاً.

ركضت تلك الفتاة كما يركض الناس الذين لا يهابون السقوط، وقفزت قدماها الصغيرتان القويتان الرشيقتان من فوق الصخور وجذوع الأشجار، وشعرت بالطحالب الناعمة والرمل الدافئ من الشمس وإبر الصنوبر الشوكية والعشب النضر تلامس أخمص قدميها. وأدركت أن ساقيها ستحملانها إلى حيث يحلو لها أن تذهب.

ضحكت تلك الفتاة كما يضحك أولئك الذين لم يلقوا إذلالاً في حياتهم؛ فانفجرت ضحكتها من أعماقها، وملأت صدرها، وقهقهت في حنجرتها، وبقبقت على لسانها، ثم تسللت أخيراً من فمها مخترقة الهواء، وأزهرت كبراعم التفاح على الأشجار. بثت ضحكتها العذبة الدفء والنور في كل ما يحيط بها. ورغم أن الضحك غالباً ما أصابها بالحازوقة، إلا أنها لم تلقِ بالاً لذلك؛ لأن الحازوقة جعلتها تضحك أكثر من ذي قبل.

حملت تلك الفتاة في قلبها إيماناً راسخاً؛ كأولئك الذين لم تخذلهم الحياة ولم ينخدعوا فيها من قبل. فأطرقت برأسها، وأيقنت أنها لن تسقط أبداً، وأنها حتى لو سقطت فهناك شخص ما سيمسك بها قبل أن ترتطم بالأرض.

في سالف الأزمان، عاشت فتاة تعلمت الخوف.

ولكن القصص الخيالية لا تبدأ بهذه المقدمة، بل إن قصصاً أخرى أكثر ظلمة وسوداوية هي التي تبدأ بها.

10

عادت **لوميكي** لتصبح طفلة في التاسعة من عمرها أو ربما في العاشرة أو الثانية عشرة. ففي ذلك الجحيم، تجري السنوات مع بعضها، وتنزلق متشابكة وكأنها قطعة واحدة أو كتلة غير محددة المعالم. وجدت **لوميكي** أنه من المستحيل أن تتذكر تلك الأحداث بكل تفاصيلها، وأن تميز بين ما فيها من حقيقة أو كوابيس.

ولكنها عرفت شيئاً واحداً بشكل مؤكد؛ وهو أنها لم تكن تخاف بدون سبب.

تقوقعت **لوميكي** على نفسها إلى أصغر حجم ممكن وأرهفت السمع. باتت بارعة في حشر نفسها في أماكن متناهية الصغر؛ في الخزائن والزوايا المظلمة المزدحمة التي لا يمكن لأحد حتى أن يفكر بالبحث فيها. وتعلمت كيف تلتزم الهدوء؛ حيث يمكن للتنفس العادي أن يبدو أشبه بصوت المطرقة مقارنة بصوتها.

سال أنفها، فتملكتها رغبة ملحة في التنشق أو مسح أنفها بأحد كمّيها، ولكنها كبحتها. وهكذا، سال مخاط رقيق أشبه بالماء على شفتيها، فلم تلعقه، وتابع طريقه نحو فكها، ثم تقاطر على شكل قطرات صغيرة على ركبتها. لم يشكل ذلك أية أهمية في نظرها. فقد كان بنطالها الجينز متسخاً أصلاً في كل الأحوال. وكانت والدتها

ستسألها عن ذلك حالما تعود إلى البيت. أما هي، فقد قررت أن تبقي فمها مغلقاً بإحكام.

هناك أشياء من الأفضل عدم التحدث عنها.

هناك أشياء تزداد سوءاً فقط إن تحدثنا عنها بصوت مرتفع.

أرهفت **لوميكي** السمع. فقد سمعت وقع خطواتهما تدنو منها، وركزت عليها لتحافظ على هدوئها. فإن استسلمت لخوفها، فسيصبح الحفاظ على هدوئها ضرباً من المحال. أغمضت عينيها، وتخيلت طبقة من الثلج المتساقط حديثاً التي لم يمسسها أحد، ثم تخيلت شفقاً أزرق اللون. ورسمت في ذهنها أرنباً يقفز على الثلج مخلفاً آثاراً منتظمة جميلة؛ دائرتين صغيرتين إحداهما مقابل الأخرى، ثم علامتين مستطيلتين؛ جنباً إلى جنب. فهدّأت تلك الآثار أعصابها الثائرة.

لا يمكن لمكروه أن يقع حالما يقفز الأرنب بأمان عبر الثلج.

لا يمكن لمكروه أن يقع مع ظهور أول نجوم في السماء.

لا يمكن لمكروه أن يقع بوجود كوخ صغير على بعد بضع خطوات، ومصباح شرفته يسطع في الظلام. سمعت **لوميكي** الخطوات تتراجع مبتعدة، وتنفست بحرية أكبر بقليل.

لقد نجحت في أن تبقى مختبئة. ولم يكتشف أحد أمرها.

كيف سيكون شعورها الآن إن توجب عليها أن تخاف كل يوم؟

لم تستيقظ **لوميكي** فزعة، بل انتقلت بالتدريج من عالم النوم إلى اليقظة، وشعرت بساقيها وذراعيها تنمو، وبجسدها يتغير من

جسد طفلة إلى جسد شابة. وتقبلت حقيقة أن هناك سنوات تفصلها عن **لوميكي** التي شاهدتها في أحلامها. لم تعد صغيرة بعد الآن. فقد باتت في السابعة عشرة من عمرها، ولم يعد يتوجب عليها أن تكون خائفة كل يوم.

ولكنّ هذا تغير الآن. فقد دفعتها جرأتها للتدخل في شؤون الآخرين.

أمضت **إليزا** الليل بطوله تتصل بها وهي في حالة هيستيرية، وتقفز هلعاً لدى سماعها أيّ صوت أو جلبة صغيرة تحدثها الرياح؛ رغبة منها في سماع كلمات **لوميكي** المشجعة. فقد أصابها الفزع عندما لم يعد والدها إلى البيت في الموعد الذي قال إنه سيعود فيه. وأثناء أحد الاتصالات، صاحت **إليزا** فجأة. وبعد ذلك، سمعت **لوميكي** صوت **إليزا** وهي تركض إلى مكان ما، ثم تخبط الباب وراءها وتقفل القفل بسرعة.

قالت **إليزا** بصوت منخفض عندما عادت إلى الهاتف: "لقد دخل أحدهم للتو من الباب الأمامي".

"حسناً. أين أنت الآن؟".

"لقد حبست نفسي في الحمام".

ولكن **لوميكي** كانت قد خمنت ذلك بنفسها من الأصوات. فعلى ما يبدو، لم تكن **إليزا** تعرف كيف تتحرك بصمت. إذ لم يتوجب عليها أن تتعلم ذلك من قبل. ولو اقتحم قاتل محترف بيتها، لقادته الضجة التي أحدثتها إلى مكان اختبائها في الحال. وبالإضافة إلى ذلك، فحمام مقفل هو على الأرجح أسوأ مكان ممكن للاختباء فيه؛ لأنه يحوّلها على الفور إلى لقمة سائغة لمهاجمها. فكل ما على

المجرم فعله هو أن يستخدم قدراً كافياً من القوة ليكسر الباب وينقض عليها، وليس عليه أن يفعل أكثر من ذلك.

سألت **لوميكي** قائلة: "هل قام من اقتحم البيت أياً يكن بكسر الباب؟".

"كلا. بل استخدم مفتاحاً".

شعرت **لوميكي** بالرغبة في إنهاء الاتصال في تلك اللحظة بدلاً من أن تنتظر سماع جملة **إليزا** التالية التي كانت أكثر من متوقعة قبل حتى أن تفتح هذه الأخيرة فمها.

همست **إليزا** قائلة: "آه، نعم، إنه والدي ربما. ها هو يناديني من الطابق السفلي".

فقالت **لوميكي** بحزم: "هذا حسن. إذاً، سأنهي الاتصال الآن".

"كلا، لا تفعلي! أعني، لا تفعلي هذا قبل أن تعديني بالحضور إلى هنا مجدداً غداً. لا أطيق البقاء هنا وحدي، ولا يمكنني الذهاب إلى أي مكان".

بدا صوت **إليزا** متسماً بقوة مفاجئة.

ودت **لوميكي** أن ترفض طلبها؛ فقد أرادت أن تنتهي من كل تلك الفوضى بينما لا يزال التخلص منها أمراً ممكناً. لم يحالف مطارديها الحظ في القبض عليها، لذا ظل باستطاعتها أن تغسل يديها من الموضوع برمته؛ لأنهما أصلاً لم تتسخا بعد. فليست هي من أقحمت يديها في كيس مليء بنقود ملطخة بالدم.

شعرت **لوميكي** أنها تريد خبط رأسها في الجدار بعد أن أنهت المكالمة. فقد تورطت ووعدت **إليزا** بالذهاب إلى بيتها مرة أخرى.

أخذ **بوريس سوكولوف** ينقر بأصابعه على كوب شرابه. وجد الشراب تافهاً وعديم النكهة، وهذا شكّل مطابقة ممتازة لمزاجه الحالي. تسلل أول مدمني الشراب خارج أوكارهم، وجلسوا في الغرفة ذات الإضاءة الخافتة حول طاولاتهم المعتادة. أما **بوريس**، فقد حجز حجرة خاصة لنفسه وللإيستونيين. على ما يبدو، لم يزعج أحد نفسه بمسح الطاولة في نهاية المناوبة الليلية. ولماذا يزعجون أنفسهم بمسحها؟! وجد **بوريس** هذا التصرف مناسباً لمزاجه على حد سواء.

لقد قام الروس بعمل غير متقن. هذا ما أدرك **بوريس** أن الفنلنديين الجالسين إلى طاولاتهم المعتادة يقولونه فيما بينهم. ولكن **بوريس** لم يكن هذه المرة يقوى على مجادلتهم بالحجة والبرهان. وهكذا، توجب عليهم التخلي عن خطة الخطف. فقد سنحت لهم فرصة واحدة للمحاولة، والآن أفلتت من بين أيديهم. تلقى **بوريس** من قبل رسالة نصية قصيرة مفادها أنه يجب عليه أن يتولى المهمة بنفسه، وأنه يتحمل شخصياً المسؤولية عن نجاحها أو فشلها.

توجب عليه التوصل إلى طريقة ما أخرى ليخيف ذلك الرجل ويجبره على العودة إلى مساره الصحيح.

اقترح **فيفو تام** قائلاً: "ماذا إن لم يدرك أن **ناتاليا** قد ماتت؟". وأتبع السؤال باحتساء جرعة كبيرة من كأسه.

فأجاب **بوريس**: "لا بد أنه يعرف. فدماء من تلطخ النقود إذاً؟".

هز **فيفو** كتفيه، ولم يتفوه **لينارت كاسك** بكلمة. في كثير من الأحيان، ظن **بويس** أن **لينارت** أكثر سذاجة مما يحاول أن يُبدي.

فكّر **بوريس** ملياً بكلمات **فيفو**. أيعقل أن يكون قد حدث ما لم يكن بالحسبان؟ أيعقل أن الشرطي الم يدرك فعلاً أن محبوبته **ناتاليا** قد

أصبحت جثة هامدة؟ ربما لم تطلعه **ناتاليا** على خطتها للهرب بالنقود، فانـــزعج الشرطي لأنه توجب عليه التعامل مع كومة مـــن النقـــود الملطخة بالدم، ولهذا السبب، ربما ادعى أنه لم يستلمها على الإطلاق.

لطالما ظن **بوريس** أن الشرطي و**ناتاليا** يهتمان فعلاً ببعضـــهما؛ حتى بات واثقاً من أهما رسما خطة هربها معاً. ولكنه ربما اســـتخف بقدرة **ناتاليا** على اتخاذ قراراها الخاصة بشكل مستقل، وربما أدركت **ناتاليا** أخيراً أنه من غير المجدي أن تضع ثقتها الكاملة بأحـــد؛ لأنّ لا أحد قادر على إنقاذها. وفي وقت ما، فهم **بوريس** قرار **ناتاليا**.

لم يقل ذلك **لناتاليا** قط، ولكنه في بعض الأحيان اعتبرها الابنة التي لم ينجبها في حياته. أراد **بوريس** في قرارة نفسه أن يسمح **لناتاليا** بالهرب، ولكن عقله فهم حجم المتاعب التي سيسببها لنفسه إن فعل ذلك. وربما لهذا السبب اضطر إلى أن يتخلى عن مشاعره، ويعتـــبر **ناتاليا** مجرد أرنب يعبر الثلج أو مجرد حشرة مزعجة. وعندئذ فقـــط استطاع أن يجبر نفسه على الضغط على الزناد.

ولكن، حتى لو لم يعرف الشرطي بخطة **ناتاليا**، فذلك لا يشكل حلاً لمشكلتهم الحالية. فقد حاول أن يتخلص منهم، لـــذا يتوجـــب عليهم أن يضعوا له حداً في الحال.

لطالما ساهم تصفح التقويم على هاتفه في تهدئة أعصابه، ولكنـــه الآن منحه فكرة عبقرية.

فقال مبتسماً: "أظن أن **ناتاليا** سترسل لشرطينا دعوة لحضـــور إحدى الحفلات عما قريب".

نظر الإيستونيان إليه بدهشة. يا لهما من غبيين! شعر **بـــوريس** أنه الوحيد الذي يملك دماغاً في مجموعتهم. لحسن الحظ، كان دماغاً

جيداً أيضاً. تخلى عن الجرعة الباقية في كأس شـــرابه، وذهـــب إلى المشرب ليطلب كأساً أخرى؛ فقد شعر أنه يستحق ذلك.

كادت **لوميكي** تستدير وتعود أدراجها عندما ميزت زوجـــين من الأحذية الرجالية في المدخل بقياس 41 و43. فهي لم تتذكر أنهـــا وافقت على الحضور لمقابلة صديقي **إليزا** التافهين **توكا** و**كاسبر**.

قالت **لوميكي لإليزا**: "لنعد ونتذكر مرة أخرى سبب حضوري إلى هنا؛ باعتبار أن **توكا** و**كاسبر** هنا على حد سواء". فحدقت **إليزا** بقدميها بإحراج.

وكانت قدماها بكل تأكيد مكسوتين بجوربين زهريين مخطّطين باللون الأسود.

قالت **إليزا**: "حسناً، كما تدركين... أنت الوحيدة التي تعرف كيف تحلّ هذه المشكلة بما أنك ذكية جداً".

استاءت **لوميكي** من صوت إليزا المتملق والمداهن، وابتســامتها العذبة الواهنة، فبدأت تنتعل جزمتها العسكرية مرة أخرى.

"ظننت أنني أتيت لأنك خائفة وتشعرين بالوحدة، أو بالأحرى لأنك أمرتني بالحضور لأنك لا تطيقين البقاء وحدك. حســناً، مـــن الواضح أنك لم تعودي وحدك بعد الآن. أُغلقـــت القضـــية. والآن، يمكنني الذهاب".

تسللت **إليزا** بين **لوميكي** والباب، وتوسلت إليها قائلـــة: "لا يمكنك الذهاب الآن. لقد دخل **توكا** و**كاسبر** إلى هنا بالقوة بعد أن عرفا أنني لست في المدرسة. ولم يصدقا أنني أعاني من الصـــداع. لا يمكنني أن أتخطى هذه المشكلة من دون مساعدتك".

تلكأت أصابع **لوميكي** على أربطة حذائها لبضع ثوان.

لطالما عاهدت نفسها أنها لن تدع مجالاً للخوف في حياتها بعد الآن، ولكنها حتى هذه اللحظة لم تفكر سوى بنفسها، ولم يخطر ببالها أنها من الممكن أن تخاف نيابة عن شخص آخر. فلو غادرت الآن وأغلقت الباب خلفها، لاستطاعت ربما أن تنأى بنفسها عن كل تلك المتاعب. ومع ذلك، أدركت أنها لن تنجو من الخوف. فحتى لو تجاهلت مكالمات **إليزا** ورسائلها النصية، أو غيرت رقم هاتفها، أو حتى تجنبت مقابلة **إليزا** في المدرسة وتظاهرت أنها غير موجودة على الإطلاق، فلن تتمكن من منع نفسها من التفكير، ومن تخيل ما يمكن أن يحدث **لإليزا** لو تمكن الرجال الذين طاردوها من إلقاء القبض عليها في نهاية المطاف. لقد أدركت أن هذا سيجعلها تخاف نيابة عن **إليزا**، وهو ما لا تريده.

أدركت **لوميكي** الآن أنها باتت متورطة في هذه المشكلة حتى أذنيها، وأنه لم يعد بوسعها التخلص منها مهما فعلت.

تملكها شعور بأنها لم تعد تملك حريتها؛ وهو شعور وجدته بغيضاً، ولكن لم تعد بيدها حيلة لتغير هذا الوضع.

تنهدت بعمق، ثم بدأت تنزع جزمتها مرة أخرى.

"سأبقى، ولكن يجب أن تعرفي أنني لن أتحمل أن يمارس **توكا** أساليبه الفظة معي مرة أخرى. وإن فعل ذلك، فسوف أتصل بالشرطة في اللحظة نفسها وأرمي بكم جميعاً في السجن".

صفقت **إليزا** بيديها بحماسة، بينما شعرت **لوميكي** أنها سمعت نعيها بأذنيها.

11

سأل **توكا إليزا** بعد أن أحضرت لهم كؤوساً كبيرة من الكولا إلى غرفة المعيشة: "هل اكتشفت أي معلومات من أبيــك في الليلــة الماضية؟".

كان **كاسبر** قد طلب كأسه مع إضافة "خاصة"، ولكن التعــبير على وجه **إليزا** مسح الابتسامة العريضة عن وجهه.

ألقت **لوميكي** نظرة خاطفة نحو **توكا**. لا بــد أن **إليــزا** قــد أخبرت الشابين بكلّ ما دار بينهما من حــديث بــالأمس. تلــك الثرثارة! ولكن الوضع ربما أفضل بهذه الطريقة. فقــد وجــدت أن التحدث يصبح أسهل عندما ينظرون جميعاً إلى الهدف نفسه.

"كدت أفقد صوابــي من شدة القلق. وشعرت أنــني بحالــة هستيرية بسبب الرجال الذين طاردوا **لوميكي**. لقد طاردوها ظنــاً منهم أنها أنا. وهكذا، من حسن الحظ أنني استطعت أن أغلق فمي، ناهيك عن أن أنجح في إجراء استجواب سري ما مع والدي".

وضعت **إليزا** صينية التقديم وعليها كؤوس الكولا على طاولــة غرفة المعيشة، فاصطدمت مكعبات الثلج ببعضها في الكؤوس محدثــة صوت رنين. وجدت **لوميكي إليزا** مرهقة حتى أكثــر مــن اليــوم الفائت. فالهالتان حول عينيها بدتا داكنتين، وشعرها متسخ، ولم تضع

أي مساحيق تجميلية على وجهها. فكانت أشبه ببقعة سوداء على قماش قطني نقي في تلك الغرفة الحديثة العصرية، أو لطخة تشوه ذلك الأثاث الفخم. لفت نظر **لوميكي** مصباح كبير مكون من قطع رفيعة من الخشب يتدلّى من السقف. فأدهشتها تلك الخطوط الاسكندنافية الراقية والديكورات الفخمة؛ ولكن لا بد لكل ذلك من ثمن.

وجدت **لوميكي** نفسها تتساءل مرة أخرى: من أين لهم أن يدفعوا ثمن كل هذه الفخامة براتبي ضابط شرطة ووكيلة مستحضرات تجميلية؟! لا يتقاضى أحد في قوة الشرطة راتباً مرتفعاً إلى هذا الحد. ولا يمكن لراتب أم **إليزا** أن يكون ضخماً على حد سواء. أهو ميراث؟ هذا احتمال وارد.

أم إن مصدر ذلك كله له علاقة بكيس مليء بنقود ملطخة بالدماء؟

قال **كاسبر** بثقة تتناسب مع عضو في عصابة حديثة النشوء: "حسناً، دعونا نتفقد جهاز الكمبيوتر الخاص بكل من والد **إليزا** ووالدها".

"لقد أخذت أمي جهازها المحمول معها في رحلتها. ولكن كمبيوتر والدي موجود في مكتبه هناك، ولكنني لا أعرف...".

لم تكمل **إليزا** جملتها لأن **كاسبر** نهض بسرعة وشق طريقه نحو باب المكتب قائلاً: "سأتفقد الكمبيوتر. وأنتم تفقدوا الملفات والأشياء الأخرى".

فتبعه كل من **لوميكي** و**توكا** و**إليزا** إلى المكتب.

سألت **إليزا** وهي تبحث في أدراج مكتب أبيها: "أليس هذا غير قانوني نوعاً ما؟".

قال **توكا** وهو يضحك: "لا أتذكر أن القانون شكل عقبة كبيرة في طريقك من قبل".

فقالت **إليزا** وهي تتأوه: "أظن أنه كان ينبغي عليه ذلك".

اتفقت معها **لوميكي**، ولكنها لم تقل شيئاً. وبدلاً من ذلك، عبرت عن قلق من نوع آخر، فقالت: "لن نعثر على أي شيء يتعلق بعمل والدك هنا. فلا بد أن لديه قوانين صارمة للغاية تتعلق بالأوراق التي يسمح له بإحضارها إلى البيت. لذا، إنه على الأرجح لا يحضر أي أوراق. والكمبيوتر هذا جهاز منزلي. إن كل عمله موجود بلا شك على كمبيوتر عمله".

"صحيح. كيف لم أتذكر هذا؟".

فأصر **توكا** قائلاً: "لنبحث على أية حال. من المستحيل أن يخزن أي شيء يتعلق بالجرائم التي يرتكبها في العمل. فالمكان هناك يعج بالوشاة".

جعلت تقطيبة وجه **إليزا** ابتسامة **توكا** تتحول إلى مجرد التواء بسيط في زاوية فمه. بحثوا معاً بصمت من دون التوصل إلى أية نتيجة. فلم يكشف المكتب عن أي شيء؛ إلا عن والد منظم في حسابات ضرائبه وبوليصات تأمينه وفواتيره. والمجلدات في جهاز الكمبيوتر الخاص به كلها نظيفة".

تذمر **كاسبر** بنفاد صبر: "حتى إنه لا يتصفح بعض المواقع غير المهذبة".

ارتعشت **إليزا** قائلة: "يا للقرف! بالطبع هو لا يفعل ذلك".

فضحك **توكا** ضحكة مكبوتة وقال: "ولكنك تفعلين. فقد قمت بما يكفي من التطفل على كمبيوترك الخاص لأعرف ذلك".

اعترضت **إليزا** قائلة: "مرة واحدة؛ عندما أرسلت لي إحدى الصديقات رابطاً فضغطت عليه من دون تفكير".

لم تعد **لوميكي** تحتمل الإصغاء إلى ثرثرة ذلك الثلاثي التافهة. وما أزعجها أكثر من كل شيء آخر هو صوت **إليزا** الذي أصبح بحضور الصبيين حاد النبرة، وتعليقاتها التي تحولت إلى تعليقات لا تخلو من الغباء والسخف. كانت **لوميكي** على دراية بهذه الظاهرة الغريبة. فطوال فترة المدرسة الإعدادية، راقبتها بحيرة وهي تحدث للفتيات من حولها. إذ بعد انقضاء العطلة الصيفية بين الصف السادس والسابع، عادت بعض الفتيات إلى المدرسة وهن يتصرفن تصرفات توحي بأنهن فقدن قدراً كبيراً من صوابهن. فالفتيات اللواتي لطالما عهدت فيهن الذكاء والفطنة لم يعدن قادرات حتى على حل أبسط مسائل الرياضيات، أو الركض مائة متر من دون التذمر من أنهن "على وشك الموت".

وكنّ يصرخن مرة تلو أخرى: "حقاً سأموت!" عدة مرات خلال اليوم؛ بغنج في بعض الأحيان، وبعجز في أحيان أخرى. وأصبحن يحدّدن عيونهن بالكحل، ويطقطقن بالعلكة. استغرقت **لوميكي** فترة من الزمن لتكتشف أن أفعال الفتيات تلك مقصودة لجذب انتباه الصبية. فقد أدركت أن تصرفاتهن دلالة منهن على أنهن صغيرات ومحببات وغير مؤذيات وجذابات بطريقة خاصة؛ بهدف لفت نظر صبية معينين.

وهكذا، اعتدن التقليل من شأن أنفسهن، والتظاهر بالغباء لكي يشعر الصبية الأكثر وسامة في الصف بأنهم أذكى وأقوى. لطالما تساءلت **لوميكي** عن سبب عدم استطاعة الصبية أن يروا ما يكمن

وراء ذلك التصرف. ألم يجدوا أنه من المهين للفتيات أن يجدن أنفسهن مجبرات على التظاهر والتمثيل لكي يشعر الصبية بأنهم متفوقون عليهن؟ لقد رأى بعضهم بالفعل ما وراء ذلك القناع، ولكن العرض لم يكن في الأصل موجهاً لهم. فهؤلاء هم الشبان الأذكياء العقلاء الذين لا يثيرون اهتمام الفتيات.

لسبب ما، لم يعتبر أحد الذكاء صفة جذابة في المدرسة الإعدادية. فإن أراد الطالب أن يصبح جذاباً فعليه أن يتجنب الذكاء وكأنه وباء قاتل. فالذكاء في قاموس الطلاب مرادف لمعنى الملل والإزعاج؛ إن لم يكن يعني البشاعة، أو على الأقل شيئاً لا يمكن الحديث عنه.

ظنت **لوميكي** أن الأحوال ستتغير بعد المدرسة الإعدادية. تغيرت الأحوال فعلاً بشكلٍ جزئي، ولكنها من نواحٍ أخرى ظلت كما هي؛ بل ازدادت سوءاً. فقد باتت الآن تلاحظ أن بعض السيدات الناضجات اللواتي يتحلين بالبراعة والموهبة لا يزلن يتظاهرن بالغباء في صحبة الرجال، ووجدت ذلك تصرفاً محرجاً ومهيناً. تمنت لو أن **إليزا** لا تزال متأثرة بأساليب المدرسة الإعدادية، وأن يكون سلوكها نابعاً من ذلك وحسب لا من صفة أعمق أو نمط متأصل وراسخ في شخصيتها.

قالت **لوميكي لكاسبر**: "دعني ألقي نظرة على الكمبيوتر للحظة".

نظر **كاسبر** إليها بريبة، وقال: "لا يوجد أي شيء فيه".

فأصرت **لوميكي** بهدوء قائلة: "دعني ألقي نظرة وحسب. أحياناً تحوي الآلات أكثر بكثير مما يبدو عليها".

قال **توكا** بسخرية: "آه، إذاً تحريتنا الخارقة تتمتع أيضاً بعبقرية في الكمبيوتر".

ردت **لوميكي** من دون أي تغيير في تعبير وجهها: "نعم. فأنا الطفلة السرية التي أنجبها عبقريا الكمبيوتر **هيروكل بويروت وليزبيث سلاندير**". وجلست أمام الكمبيوتر في المكان الذي أخلاه **كاسبر** قبل قليل بحركة مفتعلة.

وقف الثلاثي خلفها مراقبين، فكرهت **لوميكي** هذا التصرف منهم.

سأل **كاسبر** محاولاً أن يواصل مزاحه: "إذاً، أنت **لوميكي بويساندر**؟".

فلم يضحك أحد.

"**لوميكي لوميكي**".

وبدا عليه أنه يستمتع بلفظ الاسم وهو ينطق كل مقطع فيه.

ثم قال أخيراً: "لا بد أن لديك اسم تدليل".

فأجابت **لوميكي** من دون أن تلتفت: "كلا، ليس لدي".

"**لومي**؟".

"كلا".

"**ميكي** إذاً؟".

"هل تظن ذلك؟".

"حسناً، ربما لا. ماذا عن بياض الثلج؟".

أرجعت **لوميكي** كرسي المكتب إلى الوراء بسرعة؛ لدرجة أن المسند الخلفي اصطدم **بكاسبر**، ثم التفتت إلى الوراء.

فقال وهو يدلك ركبته بانزعاج: "آه! انتبهي".

قالت **لوميكي** وهي ترمق **إليزا** بنظرة ذات مغـــزى: "هـــدئوا أعصابكم. إن هذا قد يستغرق وقتاً".

ولحسن الحظ، كانت تلك الفتاة **إليزا** تستخدم عقلها في بعض الأحيان.

فقد قالت: "دعونا ننهي تناول الكولا في غرفة المعيشة. نـــادي علينا إن عثرت على أي شيء".

أومأت **لوميكي** برأسها، ثم التفتت إلى الشاشة. وبعد لحظـــة، سمعت صوت إغلاق الباب خلفها. وأخيراً، هدوء وسكينة.

ولكن، توجب عليها أن تنجز عملها بسرعة. فمحالٌ أن يستمر الهدوء لوقت طويل.

12

رفع **تيرهو فيسانين** ياقته، وشد الوشاح الصوفي الأخضر الذي نسجته له ابنته وقربه من فمه. فقد نشب البرد القارس مخالبه الحادة في كل رقعة جلد مكشوفة من جسده حالما خطا إلى الخارج. فكر بأن يسرع بالتوجه إلى بيته في حي **بينيكي** بالسيارة، ولكنه آثر أن يمشي بدلاً من ذلك. فربما حفز البرد دماغه الذي أصبح كسولاً بشكل لا يقوى على احتماله.

هناك سؤالان لم يكفا عن الإلحاح على **تيرهو**.

أين ذهبت نقوده؟

أين اختفت **ناتاليا**؟

ولكن، هل ترتيب السؤالين مهمّاً؟ بالطبع لا. ولكن **ناتاليا** اعتادت الاختفاء لبضعة أيام وربما حتى لأسابيع بطولها. إذ لم تكن دائماً تملك متسعاً من الوقت للرد على مكالماته ورسائله النصية والإلكترونية، لذا اعتاد على تصرفها ذلك، ولم يثر في نفسه أية مخاوف حتى تلك اللحظة. ومع ذلك، أدرك أن **بوريس سوكولوف** سيمتطي موجات الهاتف الخليوي ويفرض وجوده خلال الأثير ليخمد أنفاس **تيرهو** كلما اتصل ليسأله عن النقود. فقد أصر **سوكولوف** على أن النقود قد تم تسليمها بالكامل.

ولكن هذا لم يحدث.

وهكذا، لا بد أن **سوكولوف** قد كذب عليه، أو أن الإيستونيين قد كذبا على **سوكولوف**، ولكنه وجد أن الخيار الأخير هو المرجح. ففي الواقع، لقد فوجئ **تيرهو** حين مضى كل ذلك الوقت من دون أن يحاول أحدهم أن يفرض نفسه ويستولي على بعض الربح السريع. أرجع سبب هذا الانضباط إلى أن الإيستونيين لاحظا كيفية تعامل **سوكولوف** مع الخونة. فلم يرغب أحد منهما في أن يجرب انتقام **سوكولوف**. وكان **سوكولوف** كغيره يتلقى أوامره من مصدر أعلى منه على حد سواء. فأسبقية القوة والخوف هي التي تبقي الجميع في أماكنهم وتلزمهم الانضباط.

ولكن استثناء حدث لهذه القاعدة الآن. فقد قرر أحدهم أن يستولي على المزيد من المال لنفسه.

استاء **تيرهو** من فكرة تعرض نظام نجح معهم بشكل جيد حتى تلك اللحظة لبداية انهيار. فقد نفّذ هو دوره بدون أي تردد، وانهمك في هذا العمل منذ بدايته في سبيل الحصول على المال الذي ما زالت حاجته إليه ملحة. فإن توقف المال عن الوصول إليه، أصبحت خياراته في الحياة محدودة. فهو لم يبنِ لنفسه حاجزاً للحماية من أجل المستقبل؛ رغم علمه أنه ينبغي عليه ذلك. وكان المبلغ الذي يدخره جديراً بالازدراء. وبكل تأكيد، كان بوسعه أن يحرق **سوكولوف** وشركته انتقاماً لذلك، لكنه أدرك أنه من المستحيل عليه تنفيذ انتقامه من دون أن يوقع نفسه في ورطة؛ لأن كل ما سيبقى بعد ذلك حطام يتصاعد منه الدخان.

لقد توجب عليه ألا يسمح لشيء من هذا القبيل بالحدوث.

بعد أن أيقن أن المفاوضات مع **سوكولوف** لن تصل به إلى أية نتيجة، خطر بباله أن يعقد اتفاقية مباشرة مع الدب القطبي؛ رغم علمه أن ذلك ليس من السهولة بمكان. فقد اعتاد الدب القطبي أن يضع قواعده الخاصة، وإن لم يعجبه اللاعبون الآخرون، فهو يقوم بمجرد رميهم عن رقعة اللعب.

مشى **تيرهو** على طول طريق **تامبيري** العام وهو يلعن نفسه لأنه تورط مع أولئك الناس. لم يكن تصرفه عملاً إجرامياً وحسب، بل كان خطأً أخلاقياً على حد سواء؛ مهما أمضى من أوقات في فترات الصباح المبكر أثناء نوم زوجته وابنته وهو يحدق من النافذة ويتذرع لنفسه بالجوانب الإيجابية التي أسفر عنها الاتفاق؛ أي الفوائد التي عاد بها على قوة الشرطة والمجتمع. فقد تلقى **تيرهو** معلومات من **سوكولوف** ساعدت الشرطة في إلقاء القبض على عدد كبير من تجار المخدرات. فعملت الشرطة على تنظيف منطقة **تامبيري** من المجرمين بشكل كامل، حتى إن وحدة **تيرهو** تلقت إطراء من مستويات عليا في الحكومة. لطالما ذكّر **تيرهو** نفسه بذلك وهو يتأمل بيوت الجوار التي تستيقظ من سباتها الصباحي. ومع ذلك، شعر أن الشمس التي بدأت تشرق ببطء راحت تسخر من خداعه لنفسه، فاضطر أن يشيح بوجهه عن الشمس ويصب المزيد من الحليب في قهوته ويواصل الكذب على نفسه.

في ذلك الوقت من الماضي، بدا قبول العرض الخيار الوحيد المتاح له. فهناك الميسر والقروض غير المسددة، وكلها أحكمت قبضتها المميتة حول عنقه. فقد انجرف **تيرهو** في دوامة الميسر من دون أن يعي ما يجري له. في البداية، وجد فيه وسيلة سهلة تساعده

على الاسترخاء وتصفية ذهنه بعد يوم شاق في العمل، ولكنه شيئاً فشيئاً تحول إلى إدمان حقيقي. ووجد اللعب على الإنترنت بشكل خاص من أسهل ما يمكن، ولكنه لعب مقابل المال لكي يشعر بالمغامرة ويحصل على الإثارة التي يحتاج إليها. وكانت لديه زوجة تتمتع بذوق رفيع ومتطلب. وحتى تلك اللحظة، ظل **تيرهو** راغباً بأن يقدم لها أفضل ما يمكن للعالم أن يقدمه. وهناك ابنته التي يحبها أكثر مما يحبّ أيّ أحد آخر في حياته.

لقد فعل كل ذلك من أجل **إليزا**، وكي لا تضطر إلى أن تشعر بالخزي من بيتهم أو من ثيابها أو حتى أن تتساءل إن كانوا يملكون ما يكفي ليحصلوا على ما يريدونه. ففي مرحلة طفولته ومراهقته، أجبرته الظروف على الكذب والقول إن بنطال الجينز الذي اشتراه من سوق الملابس المستعملة جديد، أو إن المعطف القديم الذي حصل عليه من ابن عمه اشتراه في رحلة ذهب فيها مع أهله إلى الخارج. فقد أُنفِق معظم دخلهم المتواضع على الشراب الذي أدمن عليه والده. وكان **تيرهو** يخجل من هذا الأمر أكثر من أيّ شيء آخر؛ مما جعله يحجم عن تناول الشراب وحفزه للانضمام إلى فرقة مكافحة المخدرات لأنه ليس هناك ما يمكن فعله حيال ذلك العقار المهلك المسمى شراباً.

ومع ذلك، فالميل للإدمان على ما يبدو قد تم توارثه من الأب إلى الابن، وكذلك الحاجة للإثارة من شيء سريع بدون الكثير من التفكير. ولكن، لطالما حرص **تيرهو** على ألا تتعارض هوايته مع عائلته. فقد اعتبرها رذيلة خاصة وسرية يمارسها في الخفاء. حتى إنه نجح في الحدّ من مقدار لعبه مقارنة بالأيام التي كان فيها في أسوأ

فترات إدمانه. ولكن هذا لا يعني أنه استطاع أن يمضي بدون الحصول على جرعة منتظمة من الإثارة.

طوال العام الفائت، شكلت **ناتاليا** أحد أسباب استمرار **تيرهو** في التعاون مع **سوكولوف**. فعلى الرغم من صغر سنها، فقد جعلته يقع في غرامها رغماً عن إرادته، ويغرق فيه حتى أذنيه وكأنه مراهق صغير. ورغم أنه أدرك في البداية أنها علاقة جنونية وميؤوس منها، إلا أنه عجز عن مقاومة ابتسامة **ناتاليا** وعينيها الكبيرتين البريئتين اللتين لا يمكن لأحد أن يخمن أنهما شاهدتا الكثير. ومع ذلك، فقد أخذ منذ البداية يندب حظه لأنه سيصبح في وقت ما مجبراً على التخلي عن رفقة **ناتاليا**، وعن بشرتها الحريرية الناعمة، والغمازتين على خديها؛ لأنه أدرك أن ذلك سيحدث لا محالة. فلم تكن تلك العلاقة ستستمر ما لم يبدِ **تيرهو** استعداده للتضحية بزواجه وعائلته ومهنته حتماً في نهاية المطاف، ولكنه لم يكن مستعداً لذلك؛ رغم أنه قال لها في لحظات سعادتهما إنه سيتخلى عن زوجته ويبدأ حياة جديدة معها. إنه أحد الوعود التي يقطعها العشاق ولا يفون بها أبداً. وفهمت **ناتاليا** الحقيقة كما هي لأنها كانت امرأة ذكية؛ أذكى بكثير مما يبدو عليها.

ولكن **تيرهو** أراد أن يرتب لها مستقبلاً كريماً. فقد شعر أنه مدين لها بذلك على الأقل. وأراد **لناتاليا** أن تحظى بحياة أفضل، وألا يتوجب عليها العمل لصالح **سوكولوف** بعد الآن. لم يعرف **تيرهو** كيف يدبر ذلك الأمر، ولكنه أيقن أنه يستطيع التوصل إلى شيء ما. وذلك سبب آخر جعله يسعى لأن يمنع الأمور من الانهيار في تلك اللحظة؛ لمجرد أن الإيستونيين رفضا أن يبقيا الأمور على حالها.

في المتنزه، هبت رياح ضارية شديدة البرودة من جهة البحيرة، مما جعل **تيرهو** يبدأ بالشعور بالندم لأنه لم يستقل السيارة. فمعطفه السميك المبطن عجز عن حمايته من برودة هذا الطقس الجنوني.

سمح له إلغاء أحد الاجتماعات بالحصول على ساعة إضافية من وقت الفراغ، فقرر أن يستغل الفرصة للذهاب إلى البيت، وإعداد طعام الغداء لنفسه و**لإليزا** التي تعاني من صداع الشقيقة أو مشكلة نسائية ما أو مجرد حالة من الكسل المعتاد، وهذا ما وجد **تيرهو** نفسه مجبراً على الاعتراف به. فقد كانت ابنته عذبة ومحبوبة وأعز إنسان على قلبه في العالم. ولكنه أدرك في قرارة نفسه أنها ليست أذكى وأبرع فتاة من بين فتيات جيلها. فربما لم تكن المدرسة الثانوية هي المكان المناسب لها على أية حال.

فكر **تيرهو** بخطته.

فقد عقد العزم على الاتصال بالدب القطبي بنفسه، وقرر أن الوسيلة الفضلى للقيام بذلك هي البريد الإلكتروني. ولكن، لم يكن بإمكانه إرسال الرسالة إلا من كمبيوتر البيت؛ لأنه لم يكن يجرؤ على الإقدام على تلك المخاطرة في العمل أو من خلال متصفح هاتفه.

وفي الوقت نفسه، فكر في أن يرسل رسالة أخرى إلى **ناتاليا** ويسألها عن سبب عدم سماعه أي خبر منها. فقد افتقد إليها بجنون، وجمد اشتياقه إليها عظامه؛ ربما حتى أكثر من هبوب الرياح الجليدية القاسية.

عينان بنيتان، وشعر مصبوغ عليه مسحة داكنة عند الجذور وتنتشر فيه هنا وهناك خصلات أفتح من بقية الشعر؛ لا بد أنها خصلات شعر مزيفة، وحاجبان مرتبان ورفيعان، وشفتان ربما تكونان منفوختين بعملية تجميلية أو ممتلئتين بشكل طبيعي.

العمر: بين السابعة عشرة والخامسة والعشرين.

في معظم صورها، اتخذت وضعية جدّية، وشفتاها منفرجتان بعض الشيء. وفي إحدى الصور، ارتسمت على وجهها ابتسامة تظهر غمازتيها العميقتين. جعلتها الابتسامة تبدو أصغر سناً وأكثر حيوية. وفي الصورة نفسها، وقف إلى جانبها رجل في منتصف العمر له أنف **إليزا** نفسه. كانت المرأة ترتدي ملابس باهظة الثمن يدل مظهرها على فخامتها. كما عثرت **لوميكي** على صورة قريبة للرجل والمرأة أخذاها لنفسيهما على الأرجح بواسطة الهاتف الخليوي، وتظهرهما وهما متعانقان وضاحكان وعلى وجهيهما سيماء سعادة فاضحة.

شعرت **لوميكي** أنها متطفلة وهي تنظر إلى تلك الصور بعد أن وجدتها مخفية بشكل بدائي نسبياً على الكمبيوتر. قبل أن تعثر عليها، عثرت على اسم مستخدم وكلمة مرور لحساب بريد إلكتروني مجهول، ولكنها وجدت مجلدات البريد فارغة. فإما أن والد **إليزا** لم يستخدمه، أو أنه - على الأرجح - اعتاد أن يمسح كل الرسائل بعد قراءتها.

نادت **لوميكي** قائلة: "**إليزا**".

فحضرت **إليزا** فوراً. ومن لطف الأقدار أن **توكا** و**كاسبر** قررا أن يسليا نفسيهما باللعب بألعاب الفيديو في غرفة المعيشة.

قالت **لوميكي**: "هلا تغلقين الباب من فضلك؟". فاســـتجابت **إليزا** لطلبها.

فتابعت **لوميكي** قائلة: "أظن أن المرأة التي تظهر في هذه الصور ليست أمك".

13

أحاطت **إليزا** نفسها بذراعيها وكأنها شعرت بموجة برد مباغتة. وتمنت أن تغمض عينيها لئلا ترى الصور، ولكن حتى ذلك لم يكن سيساعدها. فقد سبق لتلك الصور أن حُفرت في عقلها لتظل تتعاقب في مخيلتها واحدة تلو الأخرى - كفيلم سينمائي - كلما أغمضت عينيها محاولة الاستغراق في النوم.

كيف طاوعه ضميره ليفعل هذا بها وبأمها؟

لم تكن **إليزا** غبية. فقد أدركت منذ مدة طويلة أن علاقة والديها تفتقر للسعادة من الناحية العاطفية، وأنهما باقيان معاً بفعل العادة أو الراحة، وليس لأي سبب آخر. ومع ذلك، فقد عجزت عن تقبّل فكرة خيانة والدها لوالدتها؛ لأنه ليس رجلاً خائناً، بل إنّه شريف وصادق وجدير بالثقة. ولطالما تصورت والدها من نوع الرجال الذين يحصلون على الطلاق قبل أن يفكروا ببدء أي علاقة جديدة مع امرأة أخرى. في الواقع، لم تكن **إليزا** واثقة كل الثقة من تصرفات والدتها. وما كانت الدهشة لتعتريها ربما إن علمت أن أمها لا تقضي لياليها وحدها عندما تسافر في رحلات عمل؛ فقد ظنت أن ذلك هو المرجح.

والدها على علاقة مع امرأة أصغر منه سناً، ولا تكبرها هي ابنته

سوى ببضع سنوات! لقد جعلتها الفكرة برمتها تصاب بـالاشمئزاز، ولكنها وجدت السرية والكذب وقلة الثقة أسوأ من العلاقة نفسها. ليته أقام مع تلك المرأة علاقة حقيقية، فهي بالتأكيد مجـرد علاقـة عابرة. ولكن، لماذا احتفظ والدها بالصور على جهاز الكمبيوتر إذاً؟ لا بد أنها باتت تعني له الكثير لأنه أراد النظر إلى صورها مرة أخرى.

"ربما...".

سمعت **إليزا** صوت **لوميكي** وكأنها في حلم. ماذا إن كان كـل ما مر بها مجرد حلم توشك أن تصحو منه... الآن حالاً!؟

فجأة، انفتح الباب ودخل كل من **توكا** و**كاسبر** متـدافعين بصخب.

"أهو حديث فتيات سري؟ أم إن خبيرة الكمبيوتر عثرت على شيء مهم؟ هوو هوو!".

شعرت **لوميكي** بالحرج عندما راح كل من **إليـزا** و**كاسـبر** و**توكا** يحدقون من فوق كتفها نحو الصور. وكان أسوأ ما شعرت به هو قدرتها على الإحساس بإحراج **إليزا**؛ من دون حـتى أن تلتفـت إليها.

قالت **إليزا** محاولة صياغة تفسير مناسب: "إنها ربما مجـرد... أو أعني ربما... إن والدي...".

فقال **كاسبر**: "لنواجه الحقيقة. إن والدك يستمتع بوقته مع فتاة جميلة صغيرة في السن".

عبرت كلماته عن كل أفكارهم بوضوح. ربما لـيس حرفيـاً، ولكن بالمضمون نفسه.

فقالت **إليزا** بضعف: "ربما يوجد تفسير آخر لهذه الصور".

استطاعت **لوميكي** أن تشعر من صوت **إليزا** أنها تـدرك أن **كاسبر** محق في كلامه.

قال **توكا**: "أراهن بأي شيء أن لهذا علاقة بالنقود. فاكتشافنا سرّين دفعة واحدة، لا يمكن أن يكون محض مصادفة".

سألت **إليزا** قائلة: "ولكن، كيف؟".

فقال **كاسبر**: "ألا تبدو روسية قليلاً؟ إنها ربما ساقطة. أرجو المعذرة، أقصد فتاة ليل رخيصة. فربما تورط والدك في عمل غير أخلاقي من هذا النوع".

هزت **إليزا** رأسها، وأدركت **لوميكي** وهي تنظر إليها الآن أنها على وشك أن تجهش بالبكاء.

فقال **توكا** مجرباً حظه في العثور على تفسير: "أو ربما...".

في تلك اللحظة، أطلق الكمبيوتر إشارة وصول رسالة جديدة بالبريد الإلكتروني. فقد تركت **لوميكي** حساب البريد المجهول مفتوحاً في المتصفح تحسباً لحصول أي شيء مثير للاهتمام.

رسالة من "عين الثور".

لقد استخدم المرسل حساباً مجهولاً أيضاً. ولم يكن عنوان "وردة جميلة" يدل على الفحوى. فقرأت **لوميكي** الرسالة بصوت مرتفع. وكانت مكتوبة باللغة الإنكليزية.

حبيبي،

اضطررت أن أنشئ حساب بريد إلكتروني جديداً توخياً للحذر. سيقيم الدب القطبي حفلة يوم الجمعة ويريد منك الحضور، وكذلك أنا. ستأتي سيارة سوداء لتقلّك عند الساعة الثامنة.

إن عنوان الحفلة هو القصص الخرافية. ولأنني أعرف ما تحبه فسوف أذهب بشخصية ملكة الثلج. لدي شيء منهم أريد أن أقوله لك.

قبلاتي وأشواقي

المرسلة: ن

ملاحظة: احذف هذه الرسالة بعد قراءتها كالمعتاد. إذ يجب علينا أن نتوخى أقصى درجات الحيطة والحذر.

نظر كل من **توكا** و**كاسبر** و**إليزا** إلى بعضهم بعضاً.

سألت **إليزا** قائلة: "ما الذي يعنيه هذا؟!".

كرر **كاسبر** قائلاً: "الدب القطبي، الدب القطبي. يا إلهي! الدب القطبي. لقد تلقى والدك لتوه دعوة لإحدى حفلات الدب القطبي".

"أين؟ أي حفلة؟".

كاد **كاسبر** يصيح وهو يقول: "حفلة الدب القطبي! إنه أسطورة. لا أعرف عنه أكثر من ذلك، ولكنه أشبه بزعيم خارق يحترمه الجميع. سمعت أنه يدير شتى أنواع الأعمال القانونية وغير القانونية في البلاد، ولكن لم يره أحد شخصياً قط. تقول الإشاعات إن حفلاته صاخبة وضخمة. على ما يبدو، لديه قصر أو قلعة غامضة من نوع ما يُقيم فيها كل أنواع الحفلات الراقية، والجميع يحضرونها، أعني الأشخاص الأثرياء والمهمين فقط".

سألت **لوميكي** قائلة: "ما اسم الدب القطبي الحقيقي؟".

رمقها **كاسبر** بنظرة سخرية، وقال: "من أين لي أن أعرف؟ يجب أن أكون أحد المقربين إليه وإلى جماعته لأعرف معلومة من هذا القبيل".

فقالت **إليزا** مخفضة صوتها بشكل فطري: "أهو رئيس عصابة أو شيء من هذا القبيل؟".

فرد **كاسبر** ذراعيه وقال: "حسناً، أشك في أنه يريد لرجال الشرطة أن يعرفوا كل أعماله، أو هذا ما أعرفه. ولكنه فاحش الثراء وخارق الذكاء، وحيث لا يمكن القبض عليه. فهو لا يسمح ليديه بأن تتلوثا أبداً".

سأل **توكا** قائلاً: "كيف تعرف كل هذه المعلومات؟".

ارتسمت ابتسامة شعور بالرضا على شفتي **كاسبر**، فلاحظت **لوميكي** أن **كاسبر** يظن أنه يتفوق على بقيتهم.

قال **كاسبر**: "لدي مصادري الخاصة. عندما يقضي المرء وقته في الشوارع، فإنه يسمع بما يجري. ولا تتعبوا أنفسكم بطرح المزيد من الأسئلة. فأنا من يحضر لكم الحبوب والمعلومات يا جماعة، وهذا كل ما تحتاجون إلى معرفته".

بينما واصل الآخرون حديثهم، نسخت **لوميكي** رسالة الإيميل كلمة كلمة على قطعة من الورق، ثم دستها في جيب بنطالها وقالت: "مهما تكن النتيجة، فسيتوجب علينا حذف هذه الرسالة. فلسوء الحظ، سوف يظهر أن الرسالة تم فتحها من قبل، لذا سيعرف والدك أن شخصاً ما فتح حسابه".

وهكذا، همّت **لوميكي** بحذف الرسالة.

شعر **تيرهو فيسانين** بيديه تكادان تتجمدان رغم قفازيه اللذين من المفترض أنهما مصنوعان من قماش مقاوم للبرد ومصنوع من عدة طبقات عازلة. حاول أن يلين مفاصله بما يكفي ليتمكن من إدخال المفتاح في قفل الباب الأمامي.

عادت به الذاكرة إلى يوم من أيام كانون الأول من العام الفائت انخفضت فيه درجة الحرارة بضع درجات تحت الصفر، وتساقط الثلج بلطف؛ لدرجة تجعل المرء لا يكاد يشعر به. في ذلك اليوم، كان يقف مع **ناتاليا** بجانب المنحوتة الضوئية في **تامبيلا**. وكانت المنحوتة تشع ضوءاً أزرق اللون جعل وجه **ناتاليا** يبدو خيالياً.

في ذلك اليوم، خرجا معاً لتناول القهوة. ففكر **تيرهو** أن الحي السكني الحديث القريب من ضفة النهر مكان آمن نوعاً ما؛ إذ لا يعرف أحد أنه يعيش فيه. ولم يكن لدى زوجته أو **إليزا** أي سبب يدفعهما للزيارة. والناس الذين يقطنون في الحي هم وحدهم الذين كانوا يأتون إليه؛ لأنه لا يؤدي إلى أي مكان آخر. ولم تنتشر في الحي أي محلات أو مطاعم من الممكن أن تجذب أي زوار غرباء. فكان المقهى يتدبر أمره بالكاد بالنقود القليلة التي يدفعها السكان المحليون. وهكذا، فقد تجرآ في **تامبيلا** على الخروج معاً علناً، ولكن هذا لم يحل دون وجود بعض المخاطر التي تنطوي عليها مغامرتهما.

في بعض الأحيان، لا بد من الإقدام على بعض المخاطرات. وبالإضافة لذلك، فالخوف من أن يلقي أحدهم القبض عليهما زاد الإثارة التي شعر بها. لقد حضّر **تيرهو** بالطبع حجة يمكنه التذرع بها في حال صادف أن رآهما أحد الأصدقاء أو أصدقاء الأصدقاء معاً؛

كأن يقول إنه يجمع بعض المعلومات الاستخباراتية متحججاً بأهمية السرية التامة. وفكر بأن يدفع الآخرين للظن أن **ناتاليا** تعطيه بعض المعلومات، ولكن لا يسعه أن يكشف عن المزيد. سري للغاية! شعر **تيرهو** بالراحة لأنه لم يوضع في موقف يجبره على استخدام تلك الحجة مع أحد بعد.

في ذلك اليوم، نسيت **ناتاليا** أن تحضر قفازيها، لذا راحت تنفخ على يديها لتبعث فيهما الدفء. فأمسك بهما **تيرهو** بين يديه ليدفئهما، وابتسمت **ناتاليا**. علقت حبات الثلج الناعمة على شعرها، وعكست الضوء الأزرق المنبعث من التمثال. كانت **ناتاليا** ترتدي معطفاً أبيض اللون وتنتعل جزمة بيضاء. فبدت في تلك اللحظة أجمل مما بدت عليه طيلة فترة تعارفهما.

همس **تيرهو** في أذنها قائلاً: "أنت ملكة الثلج".

وفجأة، انتابته رغبة ملحة في أن يمنح **ناتاليا** كل الدفء الذي تحتاج إليه، وأن يضغط براحتي يديه الملتهبتين على بشرتها الباردة ويذيب عنها كل حبات الثلج.

فقال لها بصوت أجش: "هيا بنا نذهب". ثم شدها من يدها وحث الخطى. وفي غضون خمس دقائق، وصلا إلى غرفة الاستقبال في فندق **تامر**، واستأجرا غرفة. وبعد ذلك، أجرى اتصالاً سريعاً بزوجته ليعلمها أنه سيعمل وقتاً إضافياً؛ حتى وقت متأخر من تلك الليلة، ثم التفت إلى **ناتاليا** التي لم تعد تبدو أشبه بشخصية خرافية الآن في ضوء غرفة الفندق الأصفر الشاحب. ومع ذلك، لم يشكل هذا أية أهمية من وجهة نظره. فالصورة الذهنية التي ارتسمت في ذهنه كانت كافية لتشعل حواسه. فقرب **ناتاليا** منه وأغمض عينيه.

عاد **تيرهو** إلى الحاضر، وأمسك بأصابعه الباردة الخرقاء المفتاح بصعوبة وهو يطلق سلسلة من الشتائم.

سمعت **لوميكي** الأصوات أولاً، فتمتمت بصوت منخفض: "هناك شخص قادم".

قفزت **إليزا** من مكانها، وصاحت: "الرجال الذين طاردوك! القتلة!".

كبحت **لوميكي** رغبتها في صفع فم **إليزا** بيدها. هل تعاني هذه الفتاة فعلاً من إحساس متأخر بالتحكم بالذات؟ هل العيش في غرفة مطلية بالزهري والأسود يضعف الدماغ ويحول أفكار الإنسان إلى أفكار هلامية سخيفة؟

"دعونا نلتزم الهدوء والصمت. من الواضح أن الداخل إلينا يملك مفتاحاً. أظن أنه والدك، ولكن الشيء الأهم هو ألا ندعه يكتشف وجودنا هنا بإحداث الكثير من الجلبة".

بينما كانت تتكلم، حذفت **لوميكي** الرسالة الإلكترونية، وسجلت خروجها من الحساب، وأغلقت مجلد الصور السرية ونافذة المتصفح، ثم أطفأت جهاز الكمبيوتر. استغرقت كل خطوة قامت بها وقتاً طويلاً ومؤلماً لمن ينتظرها، ولكنها أدركت أنها تتخيل ذلك ليس إلا. ففي الواقع، حدث ذلك كله في غضون ثوانٍ معدودة.

من ناحية أخرى، استغرق الأمر عدة ثوانٍ فقط بالنسبة للشخص الواقف عند الباب ليدخل المفتاح في القفل ويفتحه.

"اصعدوا إلى الطابق العلوي".

أصدرت **لوميكي** أمرها بهدوء قدر المستطاع، ولكنه بدا كافياً لإقناع **إليزا وتوكا وكاسبر** بالتسلل خارجين من غرفة المكتب، ثم التوجه مسرعين إلى الدرج. لقد ظنوا على الأرجح أن خروجهم لم يصدر أي ضجة، ولكن صوت خروجهم بدا بالنسبة **للوميكي** أشبه بضجيج هرب قطيع من الثيران البرية سمع لتوه زئير أحد الأسود.

انطفئ أيها الكمبيوتر! هيا انطفئ الآن!

بقي الكمبيوتر عالقاً عند شاشة الإغلاق لوقت طويل جداً، فظنت **لوميكي** أن الجهاز يعاني من المشكلة نفسها التي يعاني منها كمبيوتر والدها المحمول الذي رفض عدة مرات أن ينطفئ من دون أي سبب محدد.

سمعت صوت الباب وهو ينفتح. ولحسن الحظ، لم يكن الباب الأمامي يطل مباشرة على المكتب. ودخل شخص ضخم إلى البيت، رجل.

تحكمت **لوميكي** بتنفسها، مركزة جهدها على الحفاظ على سرعة ضربات قلبها. وبعد ذلك، ضغطت بإحكام على زر إطفاء الكمبيوتر، وواصلت الضغط لعدة لحظات. ورغم علمها أن الكمبيوتر سيشتكي في المرة التالية التي يتم تشغيله فيها من أنه لم يتم إغلاقه بصورة ملائمة - مما قد يثير شكوك والد **إليزا** - إلا أنها أدركت أن خيارها الوحيد الآن هو الإقدام على تلك المخاطرة. فقد كان على الأرجح سيبدي رد فعل طبيعياً كأي شخص آخر، ويتساءل لبعض الوقت عن سبب تعطل الكمبيوتر، ثم سيهزّ كتفيه ويبدأ بالتفكير بشراء واحد جديد.

هيا انطفئ!

وأصبحت الشاشة سوداء.

صاح الرجل من الطابق السفلي إلى ابنته في الأعلى: "**إليزا**، لقد قررت أن آتي إلى البيت لبعض الوقت، وسأعد بعض الطعام".

حسنٌ! لقد اتضح أن **لوميكي** على حق.

تحركت بهدوء، ووقفت خلف باب غرفة المكتب وهي تأمل بلهفة ألا يدخل والد **إليزا** إلى هناك أولاً.

واستطاعت أن تسمعه وهو يخلع حذاءه ومعطفه، ثم سمعت صوت اقتراب خطواته من المكتب.

هيا، تخطَّ المكتب!

همّ بأن يتابع سيره نحو المطبخ، ولكنه عندئذ غير رأيه ودخل الغرفة، فحبست **لوميكي** نفسها حتى أصبحت ساكنة وعديمة الرائحة وكأنها غير موجودة.

لا تجلس! تذكرت **لوميكي** أن الكرسي لا يزال دافئاً من أثر جلوسها عليه.

لم يجلس والد **إليزا**، بل وقف أمام طاولة المكتب وراح يفرز البريد، فيما واصلت **لوميكي** حبس أنفاسها. كانت تعرف أنها قادرة على المحافظة على هدوئها وكبت نفسها لدقيقتين على الأقل. ألقى والد **إليزا** ببضعة مغلفات - هي فواتير على الأرجح - نحو الزاوية الخلفية للمكتب، ثم تابع سيره نحو المطبخ.

"ماذا تريدين؟ هل أعد بعض المعكرونة؟ أو ربما حساء الدجاج بالكاري الذي تحبينه؟ يجب أن أتناول شيئاً ساخناً لأنني كدت أتجمد من شدة البرد في الخارج".

سمعته **لوميكي** وهو يفتح باب البراد.

والآن، خطت خارجة من الباب، ومشت خطوتين واسعتين لتزيد من سرعتها، ثم انزلقت بصمت على الأرضية الملساء المكسوة بألواح الخشب نحو الدرج المؤدي إلى الأعلى. وبعد ذلك، أسرعت بهدوء قدر المستطاع؛ وكأنها ذلك الأسد الذي يطارد قطيع الثيران البري، ثم دخلت غرفة **إليزا** متسللة بهدوء؛ لدرجة أنها نجحت في إفزاع الثلاثي المنتظرين بالداخل.

همست **إليزا** قائلة: "يا إلهي! كدت تصيبيني بنوبة قلبية. والآن، ادخلي الخزانة".

"لماذا؟".

لم تفهم **لوميكي** ما يدور في ذهن **إليزا**. فقد لاحظت أن **توكا وكاسبر** ممددان بسعادة على الأريكة، من دون أي نية واضحة لديهما في الاختباء.

اقتربت خطوات ثقيلة صاعدة الدرج.

فهمست **إليزا**: "سأشرح لك لاحقاً". ثم دفعت **بلوميكي** داخل الخزانة الكبيرة بسرعة وأغلقت الباب.

سأل والد **إليزا** عندما وصل إلى قمة الدرج: "هل يوجد أحد معك؟".

أجابت **إليزا** بنبرة ابتهاج مفتعلة يمكن لأي شخص أن يلاحظ أنها تمثيل من على بعد ميل: "نعم. لقد حضر **توكا وكاسبر** لزيارتي".

سأل الوالد بريبة: "أليس من المفترض أنك مصابة بالصداع؟ ألا يفترض بكما أيها الشابان أن تكونا في المدرسة؟".

فقالت **إليزا**: "لقد شفيت من الصداع".

وأجاب **توكا** على الفور: "وألغيت حصة الرياضيات لأن الأستاذ مريض".

تأملت **لوميكي** من خلال صدع في الباب والد **إليزا** وهو ينظر إلى الثلاثي. كان شعره أشقر قصيراً، بينما عبّر شكل القسم العلوي من جسده عن الوقت الذي قضاه بممارسة تمارين رفع الأثقال. وجدت الخزانة مظلمة، ولكنها فسيحة كالغرفة. وفاحت منها رائحة تشبه رائحة الفتيات. لم تكن خزانة **لوميكي** لتفوح منها رائحة كهذه قط.

ها هي مرة أخرى تختبئ محاولة ألا تدع أحداً يراها.

أغمضت **لوميكي** عينيها.

لن تستطيعي الهرب. فنحن سنعثر عليك دائماً. وعندما نعثر عليك، سنقتلك.

نعم، سنقتلك.

14

احتفال عمود منتصف الصيف. بالونات بالونات والمزيد من البالونات، بعضها يطير هارباً إلى السماء الزرقاء. تلك أجمل أمسية في العام في جزر **آلاند**؛ حيث يميل الوقت إلى المساء، ولكنه يظل ساطعاً كالنهار. كل عائلة والدها ذهبت إلى هناك. عطور الصيف فواحة، وأصوات صياح النوارس وزقزقة العصافير بعيدة. ارتدت **لوميكي** ثوباً أبيض اللون، ووضعت إكليلاً من زهور الهندباء البرية صنعته لها أمها. وراحت تترنم بأغنية **أستريد ليندغرين** الشهيرة "أغنية **آيدا** الصيفية". لم يكن صوتها جميلاً، ولم تكن معتادة على التحدث باللغة السويدية أمام الناس، ولكنها لم تعر أهمية لأي من ذلك.

ظهرت أمامها فجأة ابنة عمها **إيما** التي تكبرها بعام واحد فقط. حاولت **لوميكي** أن تتخطاها. فقد أرادت أن تذهب وتتفرج على عمود منتصف الصيف، وأن تأخذ بالوناً من تلك البالونات التي راح عمها **إريك** ينفخها بالهيليوم ويعطيها للأولاد؛ بالوناً أحمر أو ربما أزرق ولكن ليس أصفر بأي حال من الأحوال. ربما يكون اللون الأحمر هو الأفضل.

قالت ابنة العم **إيما** بالسويدية: "هل تريدين أن تلعبي؟".

فهزت **لوميكي** كتفيها.

"ما رأيك أن نتظاهر أنك جاريتي؟ ويجب عليك أن تفعلي كل ما أطلبه منك".

فهزت **لوميكي** رأسها.

"حسناً. إذاً، يمكنني أن أمثل أنني الملكة وأنك حصاني".

فقالت **لوميكي**: "كلا".

"يجب عليك ذلك. فأنا التي ستختار اللعبة لأنني أعيش هنا وأنا الأكبر سناً".

بدأت **لوميكي** تبكي، وكررت مرة أخرى: "كلا".

وعندئذ فقط، حضرت الخالة **آنا** والدة **إيما** مع والدة **لوميكي**.

انتحبت **إيما** حين رأت أمها قائلة: "إن **لوميكي** لا تريد أن تلعب معي. فهي ترفض كل شيء أقترحه عليها. إنها ليست ممتعة حتى مثل...".

فقالت الخالة **آنا** وهي تربت على شعر **إيما** الأشقر: "صه... ربما **لوميكي** تشعر ببعض الخجل. هيا، لنذهب ونحضر لك بالوناً".

أمسكت الخالة **آنا إيما** من يدها. وبعد أن مشتا بضع خطوات، التفتت **إيما** نحوها، ومدت لها لسانها لتغيظها. فلم تلاحظ الخالة **آنا** ولا أم **لوميكي** ذلك. فقد كانت أمها تنظر إلى البحر، وجعل الهواء المالح عينيها تدمعان على ما يبدو، فمسحتهما بظاهر يدها وهي تتنهد، ثم قالت **للوميكي** باللغة الفنلندية: "ليس من التهذيب أن تعتادي الرفض الدائم. إن عودت نفسك على الموافقة أكثر بقليل، أصبح بوسعك أن تكسبي المزيد من الصداقات".

أصدقاء! هل شعرت **لوميكي** فعلاً أنها بحاجة إلى أصدقاء؟ ترى، هل يعني هذا أن عليها أن توافق على أي شيء يريده الناس منها؟

"كلا".

حاولت **لوميكي** أن تقولها بصوت يحول دون المزيد من النقاش في الموضوع.

فنظرت إليها **إليزا** بعينين مفتوحتين على وسعهما، ولكن تلك النظرة البريئة التي تشبه نظرة غزال فقد أمه لم تعد تحدث أي تأثير في **لوميكي**.

حاول **توكا** أن يجادلها قائلاً: "ولكن، لا يمكن لأحد آخر منا نحن البقية أن ينفذ هذه المهمة. فأنت الوحيدة التي لم يقابلها والد **إليزا** من قبل".

"إن لعب لعبة التحري ربما كان ممتعاً في المدرسة الابتدائية، ولكن هذه ليست لعبة للتسلية".

فتحت **لوميكي** باب الشرفة، وسمحت للهواء البارد أن يتدفق إلى غرفة **إليزا**؛ فقد ظلت مجبرة على قضاء حوالى نصف ساعة في الخزانة، وتحمّل تلك الرائحة المسكرة داخلها، بينما استمتعت **إليزا** والشابان بوقتهم في الطابق السفلي وتناولوا حساء الدجاج الذي أعده والدها. وأخيراً، غادر الوالد مرة أخرى عائداً إلى العمل.

استنشقت **لوميكي** الهواء المنعش، وسمحت له بالدخول إلى رئتيها من دون أن تكترث للسعته الباردة.

فقال **كاسبر** منضماً إلى صديقيه في محاولة إقناع **لوميكي**: "ولكن، قد تكون هذه هي الطريقة الوحيدة التي سنتمكن بواسطتها من اكتشاف ما يجري".

أجابت **لوميكي**: "أو ربما يمكننا أن نكف عن كل هذا العبث ونذهب لإبلاغ الشرطة".

كلا، كلا، كلا. بسبب الحفلة، وبسبب الحبوب المخدرة، وبسبب اقتحام المدرسة، وبسبب النقود، وبسبب وظيفة والد **إليزا** كشرطي، ولأن لا أحد سيصدقهم ما لم يتوفر لديهم المزيد من المعلومات، أي أكثر من مجرد صور ورسالة بريد إلكتروني محذوفة.

ثم تابعت كلامها قائلة: "قد لا يكون التغيب عن المدرسة يوماً بعد يوم مهماً بالنسبة لكم أنتم، ولكنني لا أعتزم الرسوب في صفي".

انطلقت **لوميكي** نازلة الدرج بإصرار، فتبعها كل من **إليزا** و**توكا** و**كاسبر** كالجراء الصغيرة، ولكن من دون أن تتدلى ألسنتهم من أفواههم.

قالت **إليزا**: "كل ما لديك غداً هو ساعتان في الفيزياء، وساعتان من الأنشطة الرياضية. إنك لم تتغيبي عن حصص كثيرة في أي من هاتين المادتين".

ألقت **لوميكي** نظرة خاطفة على **إليزا**. هل تفقدت جدولها الدراسي وعدد مرات تغيبها؟ يا لها من حركة ذكية بالفعل!

قالت **إليزا** بنبرة صادقة: "إن نفذت هذه المهمة فقط، فإنني أقسم إنني لن أزعجك بعد الآن؛ أبداً".

لم تُظهر **لوميكي** ما يدل على أنها وجدت الفكرة مغرية لها؛ سواء أكان وعدهم لها بعدم إزعاجها في المستقبل أو المهمة الفعلية. ومع ذلك، فقد أيقنت أنها ستبرع فيها لأنها ماهرة في التخفي.

"حسناً، ولكنني الآن ذاهبة إلى المدرسة. فلا يزال بوسعي أن ألحق بصفّ الفنون".

أشرقت ملامح **إليزا** عندما تأكدت أن **لوميكي** قد وافقت، وعانقتها بعفوية، فشعرت **لوميكي** بعناقها كعناق أفعى عاصرة

التفت عليها. لقد تعيّن عليها أن تصد عناق **إليزا** المفاجئ الأوّل؛ فالآن بات من الواضح أنها علقت في دوامة من المعانقات، ولم يعد بوسعها أن تتجنبها وتتهرب منها.

"شكراً لك، شكراً لك، شكراً لك".

تملصت **لوميكي** من بين ذراعي **إليزا** وقالت: "لا تدعيني أغير رأيي الآن".

وقف **توكا** على الدرج متكئاً على السياج وهو يبتسم بسخرية. لا بد أنه ظن على الأرجح أن ابتسامته جذابة وساخرة، ولكنها في الواقع بدت غبية.

في الخارج، نظرت **لوميكي** إلى ساعة هاتفها الخليوي، فوجدتها تشير إلى 12:35. سيتوجب عليها العودة إلى بيت **إليزا** في غضون سبع عشرة ساعة.

باغت المهاجم **لوميكي** من اليمين، فسددت بسرعة لطمتين إلى أنفه، وأتبعتهما بلكمتين من الأسفل لذقنه. وكررت العملية على الفور: لطمتان ولكمتان من الأسفل، أي لطمة لطمة لكمة لكمة. وتسارعت نبضات قلب **لوميكي** بعنف حتى وصلت إلى 175 نبضة في الدقيقة.

ترنح خصمها، ولكنه ظل واقفاً بشكل مستقيم، وواصل محاولة القبض عليها، فسددت **لوميكي** مرفقها الأيمن إلى قفصه الصدري، ثم رفعت نفسها بسرعة البرق، وحرّكت قبضتها اليمنى مباشرة نحو خد خصمها، ثم أنهت المهمة بعد تسديد ركلة جانبية سريعة إليه.

تمدد مهاجمها على الأرض، بينما سال العرق على ظهر **لوميكي** وربلتي ساقيها ووجهها.

حاول خصمها أن ينهض، ولكن **لوميكي** دفعته بقوة إلى الوراء بيدها اليمنى وأعادته إلى الأرض.

لا تحاول القيام بأي شيء أيها الوغد الصغير.

بدأت تضربه بيدها اليمنى، وسمحت لقبضتها بأن تهوي بكل قوتها على أعلى جسد مهاجمها ووجهه. في البداية، كانت الضربات بطيئة ودقيقة وعديمة الرحمة. وشيئاً فشيئاً، تزايدت سرعتها، وتحولت إلى ضربات هائجة؛ وكأنها نوبة غاضبة من الكراهية.

لا طائل من التوسل طلباً للرحمة؛ فهذه ليست دار عبادة.

دخلت قطرات العرق المالحة عيني **لوميكي** ولسعتها، فحاولت أن ترمش بعينيها لتتخلص منها، ثم توجب عليها أخيراً أن تغمض عينيها بإحكام. فهي لم تعد مضطرة إلى رؤية أي شيء لأنها حفظت وجه خصمها عن ظهر قلب.

بقبضتي على وجهك ووجهك على الأرض،
أنت لن تنهض عن الأرض مرة أخرى أبداً.

"ممتاز! والآن افعلوا الشيء نفسه في الجهة اليسرى. هيا، أعيدوا التمرين من البداية".

خطت **لوميكي** خطوتين جانبيتين لتحضر منشفتها، ثم استخدمتها لتقوم بسرعة بتجفيف عينيها وجبهتها. وبعد ذلك، ملأت الموسيقى الصاخبة الصالة الرياضية مرة أخرى، بينما بدأ أربعون شابة وبضع نساء في منتصف العمر وثلاثة رجال بالتحرك حسب النمط المتزامن نفسه من الخطوات والضربات؛ وكأنهم أجزاء من آلة مضبوطة بإتقان. فهذه هي الرياضة القتالية!

تفقدت **لوميكي** نفسها في المرايا الكبيرة المعلقة على الجدران، ووجدت نفسها منحنية بشكل منخفض بما فيه الكفاية، ووجهها يبدو محمراً من الإجهاد. ألقت فتاة ترتدي قميصاً أخضر نظرة خاطفة عليها من الخلف لتقلد وضعيتها. هيا، انظري وخذي راحتك. لم يغب عن بال **لوميكي** أنها من بين أفضل اللاعبين في المجموعة. فقد كانت تجيد تنفيذ كل الحركات، وتتقن تقنية تلك الرياضة أحسن إتقان.

تنسيق رقصات؛ هذا هو في النهاية كل ما ينطوي عليه الأمر، أي سلسلة من الحركات التي يتم تنفيذها بشكل متزامن على أنغام موسيقى البوب المرحة، مضافة إليها بعض حركات الفنون القتالية. وتلك خطوات بسيطة بما يكفي لأي شخص لكي يتبعها وهو يذيب الشحوم المتراكمة في جسده، ويقاتل خصوماً خياليين، بينما يصيح المدرب بالتوجيهات والتشجيع. وهكذا، فهي لا تعتبر أكثر عدوانية بكثير من رياضة الأيروبكس.

كانت **لوميكي** تحب الرياضة القتالية في كل الأحوال؛ لأنها تعرّق الجسم وتشد العضلات، كما وجدت أن التوصل إلى الحالة الذهنية المطلوبة فيها أمر سهل. فهي تشعر بالرغبة في التدرب على رياضة قتالية حقيقية مثل الملاكمة. إذ جربت من قبل الشعور لدى إقحامها قبضة يدها في معدة شخص آخر، وتدفق الدماء من الأنف، وكم يبدو دافئاً بشكل غريب على البشرة، وكأنه هلام أو مربى طازجة. لم تكن تريد هدفاً حقيقياً وحياً لهجماتها. فقد ظلت تتذكر بكل وضوح شعورها عند ضرب شخص حقيقي؛ رغم مرور أكثر من عامين على تلك الحادثة. وظل ذلك الشفق الأزرق الشمالي

لعصر ذلك اليوم في باحة المدرسة راسخاً في ذاكرتها. وعندما خطرت تلك الذكرى ببالها، شعرت بطعم المرارة نفسه في فمها؛ وشمت رائحة العطر العذبة في أنفها، ذلك العطر الذي يجمع بين رائحة الورود والفانيليا والقليل من رائحة خشب الصندل.

تغيرت الأغنية، ولكن الإيقاع ظل مسعوراً.

"دع المطر يهطل عليّ. إنني أرتفع عالياً خارج عقلي. إذاً، دع المطر يمطر علي".

لم تشعر **لوميكي** بحاجة إلى المطر ليغمر كنزتها القطنية السوداء. فقد سبق لها أن أصبحت مبللة كلياً بالعرق.

بعد التمرين، جلست في غرفة تبديل الملابس، وسمحت لتنفسها بأن يهدأ؛ عائداً إلى مستواه الطبيعي، وهي تفك الأربطة عن يديها. فوجدتها مشبعة بعرقها.

"هذا البرنامج الجديد جيد، فهو أشد حدة من السابق".

ألقت **لوميكي** نظرة خاطفة نحو الشخص الذي وجه إليها الحديث. فوجدت فتاة تبدو أكبر منها ببضع سنوات جالسة في الجانب الآخر من المقعد وهي تفك أربطة معصميها. بدا شعرها أحمر طويلاً ومصففاً على تسريحة ذيل حصان مرتفع، ووجهها وذراعاها مرصّعة بالنمش. وكانت ترتدي سروالاً أسود فضفاضاً وكنزة سوداء ضيقة، وهو زي الرياضة القتالية نفسه الذي ارتدته **لوميكي**. لاحظت وجود الفتاة عدة مرات أثناء التمرين في الصالة الرياضية. وأدركت أن الفتاة لاحظت وجودها أيضاً على حد سواء. فقد رأتها **لوميكي** وهي تراقب حركاتها وانحناءات عضلاتها، وتوقعت أن تتحدث إليها الفتاة في وقت ما.

أجابت **لوميكي**: "نعم، إنه جيد".

انــزلقت ذات الشعر الأحمر بحركة مسترخية وطبيعية مقتربــة من **لوميكي**. فميزت رائحة كل من عطر **كالفن كلاين** الأول وجل استحمام برائحة الكريب فروت تخالطان رائحة عرقها. ولاحظــت عضلة ذراع الفتاة المستديرة المشدودة بينما كانت تواصــل نــزع أربطة معصميها. وعلى عضلة ذراعها نفسها رأت **لــوميكي** سبع نمشات تكاد تشكل برج الجوزاء.

عاودت الذكريات الظهور في مخيلة **لوميكي** بقوة. فقد لاح في ذاكرتها شخص آخر يضع عطر **كالفن كلاين** وعلى عنقــه يوجــد وشم برج الجوزاء...

ترى، هل حدث لقاؤهما في الصيف الماضي فقــط؟ خالجهــا شعور بأن تلك الذكرى باتت بعيدة كأن مائة عام قد مرت علــى حدوثها.

أخذت **لوميكي** زجاجة الماء وشربت جرعة كبيرة. من الواضح أن الفتاة راحت تنتظرها لتقول شيئاً ما وتعطيها إشارة تســمح لهــا بالتقرب منها أو القيام بمبادرة صغيرة. أدركت **لوميكي** كل الإدراك إلى أين سيؤدي كل هذا؛ أي إلى المزيد من المحادثات والابتســامات، ودعوة حذرة لشرب القهوة، ثم الوضع الذي لا مفر منــه والــذي سيتوجب عليها فيه أن تتصرف بقسوة.

لست أنت بل أنا.

ليس الآن. ليس بعد. وربما ليس إلى الأبد.

لنكن مجرد صديقتين، وهذا يعني فعل ما بوســعهما لتجنــب إحداهما الأخرى منذ ذلك الوقت فصاعداً.

لم تستطع **لوميكي** أن تكشف عن شعورها بأن عطر الفتاة يذكرها بعطر شخص آخر، وأن ذلك هو السبب الذي يمنعهما من الاستمرار. لم يكن بوسعها أن تتوخى الصدق، بل يجب أن تكذب منذ البداية. والكذب لا يؤدي في نهاية المطاف إلا إلى الإحراج والندم.

كم هذا عديم الفائدة! قررت **لوميكي** أن توفر عليهما ذلك الوقت، وأن تحافظ على مشاعر الفتاة وتواصل شرب الماء. وعندما تعدى الصمت حاجز الإحراج، تحركت الفتاة بارتباك، وأبعدت بعض الشعرات عن وجهها.

وقالت: "حسناً، أراك لاحقاً".

رفعت **لوميكي** إحدى يديها مودعة، فأخذت الفتاة حقيبتها الرياضية، وانتقلت إلى مكان آخر في غرفة الملابس لئلا تشاهدا بعضهما بعضاً، فتنفست **لوميكي** الصعداء. بعد أن زال عنها شعور الخفة والنشاط الذي تملكها بعد انتهاء تمرين الرياضة القتالية، شعرت بملابسها الرياضية الرقيقة ملتصقة ببرودة على جلدها.

ظلت الأغنية الأخيرة من الجلسة عالقة في ذهنها: "إني أستسلم أستسلم!". ولكن ذلك المقطع فقد صفته التحفيزية بدون إيقاعه الآلي. في بعض الأمور، اعتادت أن تفضل الاستسلام على المضي في المحاولة. فذلك يكون أحياناً في مصلحة الجميع.

خلافاً للعادة، حظيت **لوميكي** بغرفة الساونا لها وحدها. فبدلاً من أن تغسل وجهها بالماء، تركت الدفء يعود إلى بشرتها، حتى تكونت قطرات من العرق وسالت على عنقها وظهرها، وعادت إليها ذكريات من الصيف والخريف؛ رغم أنها حاولت أن تقنع

نفسها أن ذلك ليس وقتاً مناسباً للانغماس بالتفكير. فليس هناك أي وقت مناسب للندم والشوق. ومع ذلك، فقد تشبثت بها تلك الذكرى وأحكمت قبضتها عليها وأجبرتها على الاستسلام.

عينان زرقاوان فاتحتان تنظران مباشرة إلى عينيها، ثم سرعان ما تنظران بعيداً عنها إلى مكان آخر.

"من الأفضل ألا نقابل بعضنا بعد الآن".

"على الإطلاق؟".

"على الأقل لبعض الوقت فقط. هل تفهمين أنه يجب عليّ أن أحل هذه المشكلة وحدي؟ لا يمكنني أن أتواجد معك بعد الآن. وليس من الإنصاف أن أجبرك على تحمل ما لا تطيقين تحمله".

ودت **لوميكي** أن تصرخ في وجهه معترضة. فأي حق يملكه ليحدّد حدود تحملها، أو يقرر ما هو المنصف بالنسبة لها؟ لقد كانت **لوميكي** تعرف كيف تعتني بنفسها، ولكن ما أثار غضبها أكثر هو أنه تعمد أن يبعدها عنه ويستثنيها من حياته وتحدياتها وكأنها طفلة صغيرة ورقيقة تحتاج إلى حماية. تمنت **لوميكي** أن ترد عليه هامسة أنها مرت بمصاعب أسوأ من ذلك بكثير، وأنها ليست بحاجة إلى حماية من أحد.

أدركت أن الصراخ لن يفيدها في أي شيء؛ فقد اتخذ قراره. وبات دورها الوحيد أن تتقبله بإذعان؛ فهذا ما يقوله النص، وهذا دورها في المشهد.

"ماذا تعني ببعض الوقت؟ لا يزال بوسعي أن أتصل بك، صحيح؟".

كرهت **لوميكي** نبرة التوسل المرتفعة التي اكتسبها صوتها، وشعرت بكتلة من الدموع التي لم تذرفها تتورم وتكبر في حنجرتها

حتى عجزت عن التخلص منها. فقد مرت سنوات منذ أن فقدت قدرتها على البكاء. في الصيف الماضي، ظنت أنها ستستطيع أن تستعيدها مرة أخرى، ولكنها فهمت خلال تلك المحادثة أنه سيتوجب عليها أن تتعايش مع تلك الكتلة وتبتلعها، أو أن تأمل أن تختفي من تلقاء نفسها في وقت من الأوقات.

لا اتصالات، ولا إيميلات، ولا رسائل على الفيسبوك، ولا رسائل كتابية، ولا رسائل مشفرة بالضوء الكشاف خلال الساعات المظلمة من الليل، ولا إشارات دخانية تنبعث من أنفاسها في ليلة خريفية باردة، ولا أفكار ملتهبة توشك أن تخترق الضباب والجدران والأبواب. لا شيء. فقط صمت مطبق خيم عليهما؛ وكأن الشخص برمته تلاشى من على وجه الأرض. فقد اختفى على الأقل من حياة **لوميكي** بضربة سريعة واحدة وغير متوقعة كما ظهر في البداية.

تذكرت **لوميكي** ذلك اليوم من أيام شهر أيار، وضوء الشمس الساطع المدهش، ودرجات الحرارة التي تسللت كاللص متجاوزة عشرين درجة مئوية للمرة الأولى طوال فصل الربيع. ذهبت يومئذ لتتمشى في وسط المدينة مرتدية ملابس ثقيلة لا تناسب الطقس. وعندما وصلت إلى الشاطئ، خلعت سترتها وجلست على أحد الكراسي لتتأمل تدفق الأمواج وتشعر بدفء الشمس على وجهها. فخطر ببالها أنها اللحظة المثالية لتتناول أول كوز مثلجات لها في صيف ذلك العام. لحسن الحظ، وجدت كشك مثلجات بالقرب منها، لذا حملت **لوميكي** سترتها على كتفها وذهبت إلى الكشك، ووقفت في آخر طابور طويل من الناس الذين اشتهوا تناول المثلجات مثلها في ذلك الطقس الدافئ الممتع.

وبينما هي تنتظر في الصف، تساءلت **لوميكي** إن كانت ستشتري مثلجات بنكهة السوس أم الليمون. لطالما شكّل السوس خيارها الدائم، ولكنها وجدت الليمون أيضاً مثيراً للاهتمام؛ ربما بسبب ضوء شهر أيار والشمس التي تعد بصيف طويل من الحرارة الخانقة. وعندما وصل دورها، لم تكن قد قررت ما تريده بعد.

تفحصت العينان الزرقاوان الفاتحتان للشاب الواقف خلف الكشك **لوميكي** وهي تفتح فمها لتطلب ما تريده، ولكن الشاب كان أسرع منها.

"لا تقولي شيئاً بل دعيني أخمن. أنت لا تريدين الشوكولا أو الفراولة ولا الفانيليا بكل تأكيد، كما أنك لست مهتمة بالكراميل ولا بأي من تلك النكهات الجديدة التي تظنين على الأغلب أنها مجرد وسيلة لخداع الأغبياء والفضوليين. إنك فتاة من محبي السوس، وهذا يبدو واضحاً عليك من على بعد ميل".

ضاقت عينا الشاب الزرقاوان الفاتحتان ثم أعادتا التركيز مرة أخرى.

ثم استدرك قائلاً: "ولكنك في هذه اللحظة بالذات تريدين الليمون؛ لأن الطقس لم يعد ربيعياً، كما أن الصيف لم يحن تماماً بعد. لذا، أنت تريدين شيئاً حامضاً وأصفر اللون، أي مثلجات تليق بشمس أيار".

شعرت **لوميكي** أنها عاجزة عن الكلام.

"ستحصلين على كرة واحدة، ولكنك لا تريدين الكوز المصنوع من البسكويت لأنك تظنين أن طعمه أشبه بطعم الكرتون المُحلى، لذا سأضعها لك في كوب صغير".

التفت بائع المثلجات الشاب ليحضر لها طلبها. وفجأة، شعرت **لوميكي** بحرارة لا تحتمل تسري في جسمها. وربما كانت ستشعر بالحر حتى لو خلعت كل ملابسها السميكة في تلك اللحظة أمام الجميع. استغرق الشاب وقتاً طويلاً، وامتدت اللحظة المحرجة بلا نهاية، ولكن **لوميكي** لم تدرِ ما تقوله. وأخيراً، التفت الشاب وأعطى **لوميكي** منديلاً ورقياً وكوباً من المثلجات. وعندما بدأت **لوميكي** تنقب في جيبها بحثاً عن المال، لمعت ابتسامة في العينين الزرقاوين الفاتحتين، وقال:

"لا تقلقي بهذا الشأن. إنها على حسابي".

تمكنت **لوميكي** من تمتمة شيء يشبه كلمة شكراً، ثم التفتت وخداها يتوهجان من شدّة الخجل. فقد شعرت أن سريرتها باتت مكشوفة للعيان وكأنها صورت بأشعة إكس. وجدت ذلك الشعور غير مريح على الإطلاق، ولكنه لم يخلُ من دغدغة غريبة لمشاعرها. وعندما عادت إلى الكرسي الذي كانت تجلس عليه، لاحظت شيئاً مكتوباً على المنديل.

"اتصلي بي. تعرفين أنك تريدين ذلك". وكان هناك رقم هاتف عليه.

هزت **لوميكي** رأسها، وفكرت في سرّها أنه شاب وقح، وعلى الأرجح وغد. وفي تلك الليلة، طلبت الرقم بيدين متعرقتين.

إنه وغد وأناني وجبان مثير للشفقة ومتخاذل لا نفع منه! وعلى الرغم من عدد المرات التي كررت فيها **لوميكي** لنفسها هذه الكلمات، ورغم الساعات البطيئة والطويلة التي أمضتها مستيقظة في الليلة التي تلت انفصالهما، إلاّ أنها لم تتوصل إلى اقتناع بأن ما تفكر

فيه صحيح. فقد أحبت وغداً وجباناً ومتخاذلاً. تفهمت قراره بالانسحاب رغماً عن إرادتها، وظلت تنتظر وتتحلى بالأمل وتقفز في كل مرة يرن فيها الهاتف، وتجلس بجانب النافذة متخيلة أنها ترى تلك المشية المألوفة. واعتادت أن تعد لنفسها كوباً من القهوة الثقيلة السوداء في منتصف الليل لأنها تدرك أنها لن تنام على أية حال. فمنحتها رائحة القهوة اللاذعة شعوراً مريحاً؛ وكأنها تحيط بها كملاءة دافئة. تعمدت أن تشرب القهوة شديدة السخونة؛ محاولة أن تذيب تلك الغصة العالقة في حنجرتها.

بمرور عدة أسابيع وأشهر، تضاءلت الغصة، وتراجع الشوق متوارياً في أعماقها. وتخلت عن أملها عن سابق إصرار وتصميم. فلم تعد ثمة فائدة من انتظارها؛ لأنها أيقنت أنهما على الأرجح لن يلتقيا مرة أخرى.

أخذت **لوميكي** ترش الماء على الجمرات إلى أن توقف الموقد عن الاستجابة بصوت فحيح غاضب. وأحرق البخار الساخن أعلى ظهرها وعنقها. فعدلت **لوميكي** وقفتها، وشعرت بالانقباض في معدتها يخف. لسعتها عيناها فمسحتهما بيدها. لقد كان ذلك عرقاً. نعم، إنه مجرد عرق.

في تلك الأمسية، حدقت **لوميكي** بجدار شقتها الأبيض، وفكرت باللوحة التي ما زالت تعمل عليها في صف الفنون. لم تكن رسامة موهوبة أو ما شابه رغم حبها للفن، ولم تطمح في أن تصبح أكثر من مجرد هاوية عادية. فكانت تأخذ دروس الفنون لمجرد التسلية مستمتعة بالفرصة للعب والاسترخاء عن طريق رسم اللوحات. ولم

تتوقع أن يتسنى لها الوصول في وقت لاحق من حياتها إلى العمل بالرسم الحر والأقمشة والاستوديو الذي تزود به المدرسة.

أسود أسود أسود. كان سطح اللوحة موحداً من قبل، ولكن **لوميكي** أرادت المزيد من اللون الأسود، والكثير من القماش والصدوع والشقوق لكي لا تظل اللوحة ثنائية الأبعاد. وحالما حصلت على ما يكفي من الطبقات، فرشت القماش فوق أرض الغرفة على ورق جرائد، وصعدت فوق أحد الكراسي، وراحت تنقط قطرات من الدهان الأحمر عليها. فانتشرت القطرات الحمراء على اللون الأسود وكأنها قطرات من المطر أو قطرات من الدم.

كادت **لوميكي** أن تنهي لوحتها اليوم.

والآن، قررت العنوان الذي ستطلقه على اللوحة أيضاً: "الصديقات".

الخميس 30 آذار

15

في السماء غيوم بيضاء تتحرك ببطء وكسل وكأنها قماشٌ رقيق منتفخ ذو خيوط، وجبالٌ من الكريما المخفوقة تنساب من بعيد فوق بعضها.

لم يصبح طقس اليوم مائلاً للبرودة بعد؛ فذروة الحر انقضت لتوها فقط، وبدا الهواء خفيفاً. فقد راح يداعب أصابع قدميها وساقيها وذراعيها وكأنه ريشة كبيرة تمر على أطراف جسدها. لطالما تمددا على ذلك الرصيف لينظرا إلى السماء والغيوم وهما ينتظران بشوق، ويتلهف كلٌّ منهما للآخر؛ رغم أن خطوات قليلة فقط تفصل بينهما.

دفء ينبعث من الجو، ودفء يشع من الداخل. دفء يتخلص من الأفكار الكسولة والفاترة. سرعة زوال الصيف الحتمي. وتلك اللحظة التي يبدو فيها كل شيء جميلاً، ويكون التواجد معاً أفضل من الوحدة. والشعور بأن هذا الإحساس سيمتد إلى ما لا نهاية. نستطيع وحسب أن نبقى هنا. أستطيع أن أبقى مع هذا الشخص. وأستطيع أن أمسك بتلك اليد مئات وآلاف المرات، وأن ألتزم الصمت وأصغي لأنفاسنا التي تسعى وراء الإيقاع الهادئ نفسه الذي نستطيع أيضاً أن نزيد سرعته معاً بكل انسجام.

عندما انقضى الصيف وسُمِع صوت صفير الرياح الباردة وهي تبعثر الأوراق الصفراء الأولى من أشجار البتولا، بدت تلك الأفكار وكأنها مجرد حلم، بل حتى كحلم حلم به شخص آخر.

تنهدت **لوميكي** ونقلت بصرها من السماء نحو مخفر الشرطة. فقد منحتها النوافذ الكبيرة لمحطة الحافلات رؤية واضحة له، ولكن ثلاث ساعات مضت عليها وهي تنتظر حدوث شيء ما من دون جدوى.

لم تجد أي منطق في ما تفعله.

قبل ثلاث ساعات، تبعت والد **إليزا تيرهو فيسانين** من بيته في **بينيكي** في طقس بارد ينخر العظام حتى وصلا إلى الطريق الخارجي. فتوجه **فيسانين** إلى العمل بينما انتظرت **لوميكي** في محطة الحافلات لتراقب تحركاته. إذ لم يكن بوسعها أن تدخل وتنتظر في مخفر الشرطة. فعلى الرغم من أن دور معاملات جوازات السفر كان مشهوراً بتحركه البطيء، إلاّ أن وجود فتاة جالسة في غرفة الانتظار لساعات قد يثير الشكوك.

والآن، لم تلاحظ أحداً يحدق فيها، فقد بدت مهندمة؛ حيث لا يمكن أن يحسبها أحد مشردة، وحاولت أن تبقى غير واضحة قدر المستطاع كي لا يستطيع أحد أن يتذكر وجودها هنا في وقت لاحق.

ومع ذلك، فقضاؤها يومها بتلك الطريقة بدا أمراً مثيراً للسخرية. فالسيناريو المرجح حدوثه هو بقاء **فيسانين** في العمل حتى الساعة الرابعة أو أكثر، ثم عودته أدراجه إلى البيت على نفس الطريق الذي أتى منه. أي إن المراقبة السرية هذه لا طائل منها.

همّت **لوميكي** بشرب فنجانها الورقي الرابع من القهوة السادة. فقد توجب عليها أن تحافظ على يقظتها بطريقة ما.

نقود. رجال يطاردون **إليزا**. الشابة التي بدت في الصور. الدب القطبي.

ما القاسم المشترك الذي يجمع بين كل ذلك؟

لقد أيقنت أن **فيسانين** هو المفتاح لحل هذا اللغز، وكذلك فعلت **إليزا** رغم رفضها تصديق أي شيء سيئ عن والدها، ولكن توجب عليها ذلك. فبعد رؤيتها الصور، امتقع لون وجهها، وتلاشت منه كل حيويته. فلا بد أن هناك شيئاً ما انهار في داخلها. وفي تلك اللحظة، اختفى كل ما تبقى من براءة شبابها وتبعثر جزء من هويتها.

لقد جرّبت **لوميكي** هذا الشعور من قبل. فقد تذكرت كيف نظرت إلى نفسها في المرآة في وقت ما من خريف الصف الأول قبل الكريسمس بقليل ورأت فتاة خائفة ومصدومة. لم تكن لتصدق قط أن شيئاً من هذا القبيل قد يحدث لها، أو أنه موجود. إنني لم أعد الشخص نفسه؛ هذا ما فكرت به، وهو صحيح. فقد تحولت إلى شخص مختلف بل إلى نوع مختلف من الفتيات.

في سالف الأزمان، عاشت فتاة تعلمت أن تخاف.

سئمت **لوميكي** من مراقبة مخفر الشرطة، فأراحت عينيها بالنظر في أنحاء محطة الحافلات لبعض الوقت. بدا مبنى المحطة جميلاً وعملي الطراز؛ ولا سيما بعد أن تم تجديده قبل عام، وتدفق إليه ضوء الصباح من خلال النوافذ الكبيرة. إن تمكن المرء فقط من النظر إلى الضوء وليس إلى السطوع المبهر في الخارج، فقد يخيل إليه أن فصل الصيف قد حل أخيراً.

تمنت **لوميكي** لو كان بإمكانها أن تسند ظهرها على كرسي قاعة الانتظار وتغمض عينيها وتحلم مرة أخرى بالدفء والهجر، وأن تتقبل فرحة تلك الذكريات وحزنها. ما الذي تفعله هنا!

حاول **فيفو تام** أن يركّز نظره على مخفر الشرطة وهو يحل أحجية السودوكو في الصحيفة في الوقت نفسه. لقد بدأ يشك بسلامة عقل **بوريس سوكولوف**. فالانتظار في مكمن لشرطي مناوب لم يبدُ عملاً ذكياً على الإطلاق، ولكن **سوكولوف** كان متأكداً من أن شيئاً مريباً يحدث. فقد استغرب من عدم استجابة **فيسانين** لرسالة **ناتاليا** الإلكترونية. فعلى ما يبدو، قالت له **ناتاليا** ضاحكة ذات مرة إن **فيسانين** اعتاد أن يرد عليها حتى قبل أن تضغط على أيقونة الإرسال.

تملك هاجس **سوكولوف** من أن شيئاً ما سيحدث اليوم. وعندما ينتاب هاجس ما **سوكولوف**، لا يعود هناك أي طائل من الجدال معه.

سأل **فيفو سوكولوف** في وقت سابق عن سبب عدم قيامه بمجرد الذهاب والتحدث إلى **فيسانين** وإقناعه أن البدء بخداعهم ليس فكرة سديدة أبداً. كان **فيفو** بارعاً في إقناع الآخرين بتنفيذ الخطط والتزام الصمت. فبعض الناس آثروا الصمت الأبدي بعد أن قام بزيارة تهديدية لهم.

على ما يبدو، لم يكن هذا الخيار متاحاً هذه المرة. فلا يمكن لأي منهم أن يسمح بأن يراه أحد مع الشرطي إن رغبوا بالاستمرار بالتعاون معه. وهكذا، توجب عليه في تلك اللحظة أن يكتفي بمراقبته.

بات **سوكولوف** على قناعة تامة بأن **فيسانين** يلعب لعبته الخاصة، ولكنه أراد أن يعرف إن كان لديه شركاء.

هل يجب عليه أن يضع سبعة أو تسعة في ذلك المربع؟ شعر بالندم لأنه لم يختر أحجية ذات مستوى أبسط من هذه بكثير؛ فهو لم يكن يحاول أن يصبح بطلاً في حل السودوكو أو شيئاً من هذا القبيل، بل أن يقوم بمجرد قتل الوقت. ألقى **فيفو** نظرة خاطفة نحو مخفر الشرطة وهو يقضم طرف قلم الرصاص بغيظ.

لقد كانت هذه المهمة ستضيع يومه برمته.

بدأت **لوميكي** تبحث عن هاتفها الخليوي لتطلب رقم **إليزا** وتتراجع عن وعدها. فقد سبق لها أن ضيعت الكثير من وقتها الثمين في هذه المراقبة العقيمة.

فكر **تيرهو فيسانين** برسالة البريد الإلكتروني التي تلقاها في وقت متأخر من الليلة الفائتة. لم يتمكن بالطبع من مراسلة الدب القطبي بشكل مباشر، ولكنه تمكن من التواصل مع أحد "مساعديه" الذي يستخدم بدوره اسماً مستعاراً. وقد أرسل المساعد رسالة إلى **تيرهو** مفادها أن عليه زيارة مركز مؤتمرات **تامبيري**، والبحث عن هاتف خليوي مخبأ في ثالث حوض مرحاض في غرفة حمام الرجال، وأن يستخدمه للاتصال بأول رقم في لائحة الأسماء، ثم يتلقى المزيد من التعليمات. وكان الهاتف سيبقى في مكانه ليوم واحد فقط.

ترى، هل أوشك أن يتورط بعمل لا قدرة له على القيام به؟

فكر أنه لا يزال بوسعه أن يواصل العمل مع **بوريس سوكولوف** والإيستونيين؛ أي مع أشخاص واضحين ومجرمين من العيار المتوسط. فرغم أن **سوكولوف** احتل مكانة الزعيم على الإيستونيين، إلا أنه ظل مجرد تابع أو مرؤوس. أما الدب القطبي، فقد كان وضعه مختلفاً تماماً. وانتشرت إشاعات كثيرة حوله، ولكن من دون أي معلومات دقيقة عن شخصيته. ولم يكن **تيرهو** يعرف أي شخص قابله وجهاً لوجه على الإطلاق.

ولكن، إن أراد الحصول على المال، يتوجب عليه أن يفعل شيئاً ما. فقد بات بأمس الحاجة للحصول عليه. فهناك بضعة ديون أوشكت أن تصبح مستوجبة السداد.

شد **تيرهو** معطفه، وتجاهل صوت معدته المضطربة من شدّة الجوع، وقرر أن يمضي ساعة الغداء في غرفة حمام مركز المؤتمرات.

خرج رجل من مخفر الشرطة.

فانتبه **فيفو تام**.

وانتبهت **لوميكي**.

هب **فيفو** واقفاً أسرع منها بلحظات، وهذا ما كان من حسن حظّ **لوميكي** لأنه منحها الوقت الكافي لتنتبه إلى أن الرجل الذي تخلى عن أحجية السودوكو بشكل مفاجئ بدا مألوفاً لها. وعندما تحرك الرجل، ميزته **لوميكي** من طول خطواته وانحناء جسمه والطريقة التي راح يؤرجح بها ذراعيه.

إنه أحد الرجال الذين طاردوها!

هرع الرجل خارجاً من الباب. وفي لمح البصر، فهمت **لوميكي**

أنهما لم يكونا في المكان نفسه، و لم يسرعا بالخروج في اللحظة نفسها بسبب محض صدفة. فهناك قاسم مشترك جمع بينـــها وبـــين ذلـــك الرجل.

إنه الهدف نفسه!

تباً! فهذا سيزيد من صعوبة مهمتها. فقد توجب عليها الآن أن تبقى بعيدة عن أنظار الرجلين في آن معاً.

16

وقفت **لوميكي** في ردهة مركز المؤتمرات واستولت عليها الحيرة لبعض الوقت.

فحتى تلك اللحظة، مضى كل شيء على ما يرام. فقد بدا والد **إليزا** منهمكاً جداً بالتقدم نحو هدفه، وكذلك بدا مطارده منهمكاً بمطاردته؛ حيث إن أياً منهما لم ينتبه لوجود **لوميكي**. حاولت أن تبقى بعيدة قدر المستطاع، بينما تُبقي عينيها على كلا الرجلين. فقد كانت تجيد لعب لعبة الغميضة بشكل جيد جيداً.

وبعد أن عبروا سياج السكة الحديدية وتخطوا الجامعة، انعطفوا شمالاً نحو مركز المؤتمرات. وفي الداخل، واجهتها مشكلة.

فقد حث **تيرهو فيسانين** خطاه بتصميم على طول القاعة الرئيسة، متبعاً خطّاً من ألواح السيراميك الزرقاء الممتدة على طول الأرضية، والمرتفعة بين الحين والآخر نحو السقف. وبعد ذلك، انعطف متجهاً مباشرة نحو حمام الرجال. فتلكأ مطارده للحظات في الخارج، وراح يلقي نظرات خاطفة حوله، ثم تبعه على حد سواء.

فكرت **لوميكي** بالخيارات المتاحة لها. فقد خطر ببالها أن تنتظر في الردهة متوارية عن الأنظار. ومع ذلك، فقد ظنت أن شيئاً حاسماً قد يحدث في الحمام. نعم، لا بد أنه على الأرجح سيحدث في

الحمام. فمن المستحيل أن يقطع والد **إليزا** كل تلك المسافة لمجرد أن يقضي حاجته في حمام مختلف. لا بد أن هناك سبباً آخر **دفعه** لذلك. وتوجّب على **لوميكي** أن تعرف ذلك السبب. لم يكن بوسعها أن تدخل إلى هناك مثلما تبدو خشية أن تجذب الكثير من الانتباه غير المرغوب به، لذا قررت أن تدخل إلى هناك متنكرة بهيئة صبي.

نظرت **لوميكي** إلى نفسها في المرآة المجاورة لغرفة المعاطف. وكانت ترتدي ملابس سوداء وتعتمر قبعة رمادية، وهي محايدة الجنس بشكل ملائم. كما أن معطفها الشتوي السميك أخفى معالم جسمها. لذا، دسّت شعرها بسرعة تحت قبعتها، وغيرت وضعية وقفتها، وحولت مركز جاذبية جسدها، وغيرت تعبير وجهها.

وجدت التحول الذي طرأ عليها مدهشاً. ففي المرآة، أطل عليها شاب مراهق يرخي قبعته على وجهه بعفوية واسترخاء.

كانت المشية أكثر ما يهم في الموضوع. فقد توجب عليها أن تسترخي وتترهل في مشيتها. وبعد ذلك، توجهت نحو باب حمام الرجال، وأمسكت بالمقبض وفتحت الباب بكل ثقة.

انزلقت أصابع **تيرهو فيسانين** وهو يحاول أن يرفع غطاء حوض المرحاض. وفوجئ عندما وجده ثقيلاً ومحكم الإغلاق. فحاول أن يدخل أظافره في الحفرة الصغيرة، ولكن ذلك لم يجد نفعاً. فقد كان بحاجة إلى شيء طويل ومدبب. نقب **تيرهو** في جيوبه. ولحسن الحظ، عثر في جيب معطفه على مفتاح قفل دراجة قديم استطاع أن يقحمه تحت الغطاء. وبعد ذلك، بدأ يرفع الغطاء ليفتحه

بهدوء قدر المستطاع. وفجأة، سمع صوت شخص ما يدخل غرفة المرحاض المجاورة.

يا له من حظ! ألا يمكنه أن يحظى ببعض الخصوصية أبداً؟

أخذ المفتاح ينثني لدرجة خطرة. ولكن لحسن الحظ، بدأ الغطاء أيضاً يتحرك من مكانه، ولكنه أحدث صوت ضجيج مزعجاً على حواف الحوض. وبدا صوت الضجيج كالانفجار في تلك الغرفة الهادئة.

انفتح الباب مرة أخرى. عظيم! ها قد دخل شخص آخر ليتجسس عليه. اختار القادم الجديد المرحاض الشاغر الآخر، فشعر **تيرهو** أنه محاصر. الآن، توجب عليه أن يلتزم الهدوء ويتنفس بعمق ويحاول ألا يصاب بجنون الريبة. فقد كان مركز المؤتمرات مكاناً عاماً فيه مراحيض مجانية. لذا، من الطبيعي أن يتواجد أناس آخرون في المكان. ومع ذلك، اقتضى سوء الحظ أن يحتاج ثلاثة رجال في وقت واحد إلى استخدام المرحاض. حسناً، اثنان فقط.

خلع **تيرهو** معطفه، ورفع كمي قميصه، ثم أدخل يديه في حوض الماء وتلمّس الحوض بحثاً عن الهاتف. في البداية، لم تلمس يداه سوى الماء. فشعر بالقرف على الرغم من معرفته التامة أن الماء نظيف. ترى، هل تأكد من أنه المكان الصحيح؟ أيعقل أن يكونوا قد أخذوا الهاتف قبل أن يصل؟ وماذا إن تعرض لخدعة ما؟

وعندئذ، لامست يده شيئاً ما.

وأخيراً!

أخرج **تيرهو** حقيبة سوداء اللون تبدو مقاومة للماء، وفتحها بعناية، وعثر فيها على هاتف خليوي ملفوف بكيس من النايلون.

دس الهاتف في أحد جيوب معطفه، والحقيبة في الجيب الآخر، وأعاد وضع غطاء الحوض في مكانه. وشعر بقلبه يدق بعنف وكأنه عازف طبول مجنون. وأدرك أن يديه ترتجفان. وأصاب الوهن ركبتيه من شدّة الخوف، رغم عدم وجود سبب فعلي يدعوه لكي يخشى شيئاً.

ارتدى **تيرهو** معطفه، وفتح الباب، واتّجه مسرعاً نحو المغسلة، ثم فرك يديه بالصابون بخفة، وغسلهما بالماء بعناية، ثم كرر العملية. وقاوم رغبته بالعودة إلى المرحاض ومسح بصمات أصابعه عن الحوض. فقد وجد ذلك تصرفاً مبالغاً فيه.

لم يصدر صوت واحد من المرحاضين المجاورين. ربما كان الرجلان الآخران يعانيان من حالة مستعصية؛ هذا ما فكر به **تيرهو** وهو يجفف يديه ويسرع خارجاً من الحمام.

قبل أن تدخل **لوميكي** حجيرة المرحاض، تلكأت بضع ثوان. وبعد أن ألقت نظرة خاطفة إلى الأسفل، تأكدت من أنها دخلت الحجيرة المجاورة لمكان وجود **فيسانين**. لاحظت أنه أخذ يبذل مجهوداً مع شيء ما؛ بسبب الضجة التي صدرت من حوض المرحاض. وبعد أن أنهى ما يقوم به، غسل يديه وغادر.

سمعت المطارد يفتح دفق الماء في المرحاض؛ على ما يبدو بهدف التمويه ليس إلا. وبعد ذلك، ترك الحمام أيضاً من دون أن يغسل يديه. لطالما كرهت **لوميكي** فكرة امتناع الناس عن غسل أيديهم بعد استخدام الحمام. لم تكن مهووسة بالنظافة بأي حال من الأحوال، ولكن ذلك يتعلق بأساسيات الصحة العامة.

خمسة، ستة، سبعة، ثمانية...

عند الرقم عشرة، فتحت **لوميكي** باب حجـيرة المرحـاض، وغسلت يديها، وخرجت من الحمام. فسنحت لها فرصـة مؤاتيـة لرؤية **فيسانين** وهو يخرج من المبنى بينما يمشي الرجـل الآخـر في أعقابه. وهكذا، توجب على **لوميكي** أن تحث الخطى.

بدا المتنـزه وبركة البط في الخارج مكاناً ساحراً. فقد كان كل جذع وغصن شجرة إما مغطى بطبقة سميكة من الصقيع، أو الـثلج المتجمد على هيئة أشكال كريستالية رقيقة، وانعكست أشعة الشمس عن كل الأسطح، فراح كل شيء يومض ويتلألأ ويلمع. فقد ركبت ملكة الثلج مركبتها عبر المتنـزه، جارة شـعرها وثوبهـا وراءهـا، وتاركة كريستالات ثلجية متناهية الصغر معلقة في الجو. وجعلـت كل شيء أبيض وخلاباً.

أنفاس ملكة الثلج جليد ورياح.

أنفاس **لوميكي** بخار ماء سرعان ما شكل صقيعاً على وشاحها والزغب الرقيق النامي على وجنتيها.

توقفت عند بعض معدات التمارين الرياضية على طول طريـق الهرولة، وقامت ببعض تمارين الضغط مرهفة السمع بكل انتباه. فقد أخرج **تيرهو فيسانين** للتو هاتفاً خليوياً من جيبه، وراح يعبـث بـه لبضع ثوان، ثم مشى نحو البركة والهاتف على أذنه.

وقف مطارده في الجوار خلف شجرة متظـاهراً بأنـه يشـعل سيجارة. على ما يبدو، لم يلاحظ **تيرهو فيسانين** وجوده بعد. ومع ذلك، فقد لاحظ على الأرجح **لوميكي** وهي تقوم ببعض التمارين، غير أنه لم يخطر بباله أن شخصاً خرج لممارسة الرياضة قـد يهـتم بمحادثته الهاتفية. وظن على الأرجح أنه بعيد بما فيه الكفاية، حيث لا

يمكن لأحد أن يسمع. ولكن، في ذلك الهواء الشتوي الساكن، انتقلت موجات الصوت بشكل واضح للغاية.

ثلاثة، أربعة، خمسة.

واصلت **لوميكي** عدّة مرات تكرار التمرين وهي تنتظر والد **إليزا** ليبدأ مكالمته.

"مرحباً؟ أنا... حسناً، لا بد أنك تعرف المتكلم".

جعلت اللغة الإنكليزية فهم الكلام أكثر صعوبة. فقد تحدث **فيسانين** بصوت منخفض ووجهه نحو البركة، وهذا يعني أن بعض الكلمات تاهت في الطريق. وكان ملء الفراغات أسهل باللغة الفنلندية.

بدأت ذراعا **لوميكي** تتعبان من التمرين. فمن الواضح أنها لم تكن تتمرن بما فيه الكفاية على تمرين الضغط. ومع ذلك، لم تستسلم.

كان المطارد يرهف سمعه للمكالمة بشكل واضح.

اثنا عشر... ثلاثة عشر.

"الدب القطبي... في هذا الوقت المبكر؟ الثامنة مساء يوم غدٍ. حسناً. ملابس رسمية. إن كان بوسعكم فقط...".

تمت مقاطعته قبل أن يكمل الجملة الأخيرة. ومن الواضح أنه تمّ إنهاء الاتصال في وجهه. ومع ذلك، سمعت **لوميكي** ما يكفي. إذاً، قرر والد **إليزا** أن يذهب إلى حفلة الدب القطبي في اليوم التالي على أية حال.

شعرت **لوميكي** أن ذراعيها قد خذلتاها وتركتاها تسقط على الأرض منهكة وعضلاتها ترتجف من ألم الإجهاد.

تباً! هذا كثير من أجل التخفي.

التفت كل من **فيسانين** ومطارده باتجاهها، فلم يعد هناك أي مجال لاستمرارها بملاحقتهما. والآن، بات أهم شيء يتوجب عليها فعله هو أن تتقبل مصيرها، وتنهي تمثيل دور الرياضي البريء.

بدأت **لوميكي** تجري مهرولة حول بركة البط محاولة الحفاظ على وضعيتها الرجولية؛ فانزلقت جزمتها العسكرية على الطريق المكسو بالجليد، مما كسر الوهم بشكل واضح، فتوجب عليها أن تبقي ذقنها مرفوعة وتواصل الركض.

لا شيء يستحق المشاهدة يا جماعة، إنني مجرد فتاة خارجة للركض.

لو تمكنت فقط من أن تستدير حول البركة لأصبح بوسعها التوجه في خط مباشر إلى البيت، ولسنحت لها الفرصة لتناول مشروب ساخن بينما تبلغ تقريرها **لإليزا**.

أدركت **لوميكي** أن أملها لا طائل منه عندما سمعت صوت خطوات ثقيلة تقترب منها من الخلف.

17

حاول **بوريس سوكولوف** أن يتصل بالإيستوني، ولكنه لم يرد على المكالمة. فقد وضع الهاتف في وضعية الصامت على الأرجح ليركز انتباهه على المراقبة. بدا ذلك تصرفاً ذكياً بما يكفي من جانبه، ولكن المهمة برمتها باتت عديمة الجدوى الآن. فقد تلقى **بوريس** لتوه رسالة من الدب القطبي مفادها أن **تيرهو فيسانين** اتصل به، وأن رجال الدب القطبي أوصلوا له دعوة للحفلة بطريقة غير تقليدية إلى حد ما. لم يستطع **بوريس** أن يفهم طرق الدب القطبي. فقد راح يتساءل في بعض الأحيان عمّا إذا كان الدب القطبي يبالغ في توخي الحرص، أو عمّا إذا كان تسيير الناس من حوله مجرد لعبة يلهو بها. بدت الفكرة الثانية معقولة لدرجة كبيرة، ولكنه وجد أن إطاعة أوامر الدب القطبي مرهقة في بعض الأحيان. ورغم أنه أدرك أنه يتمتع بموقع يحظى بالامتياز أو التفضيل من نوع ما، إلا أنه موقع مهدد بأن يسحب منه في أية لحظة. وهكذا، ظل يعيش في حالة خوف دائم ويشعر أن هناك مشنقة خفية تحيط بعنقه. ولم تكن لديه الحرية لارتكاب خطأ واحداً.

وهكذا، فكر أنه من الأفضل له أن يركز على المهمة الموكلة إليه في هذه اللحظة. فلم يكن هناك سبب يدعوه للمخاطرة بأن يشي

أحد بالإيستوني لمخبر الشرطة، أو أن يقدم **تام** على ارتكاب عمل متهور ما. لقد كان **فيفو تام** رجلاً جيداً ومحترفاً، ولكنه كان في بعض الأحيان يفقد هدوءه. وإن حدث ذلك، أصبح من المستحيل توقّع تصرّفاته، ومن الصعب السيطرة عليه.

لذا، أرسل إليه رسالة نصية يقول فيها: "توقف. أوقف المهمة".

حث **فيفو تام** الخطى. فقد رفض أن يدع تلك السافلة الصغيرة تنجو بجلدها منه هذه المرة. وصمم أن يريها قيمتها. كانت المرة الأولى ضربة حظ عاثر، ولكن الموضوع تحول الآن إلى حرب شخصية بينه وبينها. رن هاتفه الخليوي في جيبه، ولكن **فيفو** لم يكن لديه الوقت الكافي للرد على الهاتف في تلك اللحظة. فهناك مهمة توجب عليه إنجازها مهما كلفه الأمر.

في البداية، لم يستطع **فيفو** أن يحدد الشيء المألوف حيال الصبي الذي شاهده يمارس التمارين في محطة الرياضة. وعندئذ، ألقى نظرة عن كثب وتذكر المعطف. نعم، لقد رآه في مكان ما من قبل. وعندما بدأ الفتى بالركض، تذكر **تام** كل شيء، وعرف أن الفتى ليس صبياً بل فتاة تركض بطريقة مختلفة بعض الشيء، ولكن هناك أوجه شبه جعلته يميزها بشكل واضح.

ولكن، لماذا لم يميزها **تيرهو فيسانين** بنفسه؟ أليست ابنته؟

استغرق منه استيعاب هذه المعلومة بضع ثوان. ولكن، عندما اتضحت له الفكرة، صدمته وكأن طناً من حجارة القرميد سقط عليه. فالفتاة لم تكن ابنة الشرطي، بل هي فتاة أخرى مختلفة كلياً ومتورطة في الموضوع برمته. وصمّم **فيفو** الآن أن يكتشف مدى تورطها.

عندما حثت الفتاة الخطى، ثارت مراجل غضب **فيفو**، وقرر ألا يسمح لمراهقة تافهة أن تعترض طريقه. فبسببها تجمدت أصابع يديه وقدميه، وهدر وقته الثمين وهو ينتظر بين الشجيرات في **بينيكي** ويملأ أحاجي السودوكو في محطة الحافلات. لقد حولته تلك الفتاة ذات القبعة الحمراء إلى مجرد مغفل.

لقد قرر أن يمسك بها ويضغط عليها إلى أن تعترف له بعلاقتها بكل ذلك.

وهكذا، ستتعلم ألا تلعب ألعاب الكبار التي لا تعرف قواعدها.

مشت في طريق ضيق يمر بمركز المؤتمرات، ثم صعدت التلة متجهة نحو شارع **كاليفا** وتجاوزته. جليدٌ، وطريق زلق، وحذاء غير مناسب مطلقاً للجري، ورئتان تكادان تتجمدان من شدّة البرد، ومعطف سميك. من الواضح أن الجري في الشتاء لم يكن رياضتها المفضلة.

ألقت **لوميكي** نظرة خاطفة خلفها، فوجدت أن الرجل قد أدركها.

حاولت **لوميكي** أن تتنفس من خلال فجوة بين أسنانها. فأخذت تصدر هسيساً أثناء تنفسها، ولكن الهواء البارد كان عديم الرحمة.

عبرت شارع **كاليفا** إلى الجانب الآخر.

برد برد برد، يدان باردتان وقلب بارد، يدان باردتان وقلب بارد. راحت الكلمات تضطرب داخل عقل **لوميكي** وهي تحاول أن تفكر بشكل عقلاني. هل ينبغي عليها أن تتابع طريقها في شارع

كاليفا؟ الإيجابيات: هناك أناس آخرون وسيارات. السلبيات: يوجد جليد أسود في الزوايا، وإمكانية وجود شركاء المطارد كامنين في مكان ما مع سيارة الفان، وهم على استعداد لاختطافها في أية لحظة. ولكن، هل سيجرؤون على ذلك في وضح النهار؟

عندما وصلت إلى تقاطع الطرق التالي، اتخذت **لوميكي** قراراً سريعاً. كان الطريق هناك مكسواً بطبقة أقل من الجليد، فانعطفت واتجهت نحو المقبرة.

تبعها الرجل. ولحسن الحظ، بدا عليه أنه يعاني من مشكلة مع الأماكن الزلقة على حد سواء.

يدان باردتان وقلب بارد.

توقفي عن ترديد هذه الكلمات!

حاولت أن تجعل جملة أخرى تعلق في ذهنها.

"اركضي يا عزيزتي، اركضي يا عزيزتي، اركضي يا عزيزتي".

هبت أغنية **شيريل كراو** لإنقاذها، ولكن جزمتها العسكرية ظلت تنزلق، فشتمت **لوميكي** بينها وبين نفسها. منذ هذا الوقت فصاعداً، قررت أن تنتعل زلاجات للجليد أو حذاء رياضياً طوال الوقت تحسباً لأن يبدأ أحدهم بمطاردها، وهذا ما بدا مرجحاً في ضوء الأحداث الأخيرة.

انعطفت نحو المقبرة. فمرت بقبر **فاينو لينا** إلى اليمين، وقبر **جوس ليسكينين** إلى اليسار. ربما استطاع الكتاب والمغنون الموتى أن ينقذوها من الملل في ليالي الشتاء الطويلة، ولكنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا أي شيء لها الآن. ترى، هل ستموت هنا محاطة بالقبور؟ كم هذا مثير للسخرية.

ظلت طوال الوقت تسمع خطوات مطاردها تزداد قرباً، ولكنها أدركت أن النظر من فوق كتفها ليس فكرة جيدة. فإن فعلت ذلك، فقدت بضع ثوان ثمينة من وقتها. أيمكن أن تلجأ إلى دار العبادة؟ هل ستجد أحداً هناك؟ هل تستطيع أن تدخل؟

ممنوع الركض في المقبرة.

إنه صوت أمها وقواعد أمها. آسفة يا أمي، لا يمكنك أن تعرفي أو تتحكمي بكل شيء. أحياناً يجب عليك أن تكتفي بالركض.

إن الموتى لا يأبهون لها لأنهم موتى. ولن تأبه الجثث حتى لو حاولت الفتاة التي تركض فوق القبور ألا تصبح هي نفسها جثة هامدة. ولذلك السبب، توجب عليها أن تركض؛ حتى لو انزلقت قدماها بشكل جنوني مع كل خطوة تخطوها، وحتى لو شعرت أن البرد يمزق رئتيها، وحتى لو راح العرق يتصبب على ظهرها تحت كنزتها ومعطفها السميكين.

بدت أشجار الصنوبر الطويلة في المقبرة مكسوة بالصقيع الأبيض، وأغصانها متدلية من ثقل الثلج نحو شواهد القبور والزوار الذين يأتون إلى المقبرة.

الموتى والأحياء. الأحياء والموتى.

بات بوسع **لوميكي** أن تسمع صوت تنفس الرجل. لم يكن سيمضي وقت طويل حتى يقبض بيده على معطفها من الخلف.

في تلك اللحظة، حدث شيء ما. فقد سمعت **لوميكي** صوت خبط، وصرخة مزمجرة، وسلسلة من الشتائم باللغة الإيستونية. لم تفهم ما قاله الرجل، ولكن المضمون كان واضحاً. فلم تلتفت إلى الوراء، ولكن الأمل منح ساقيها قوة متجددة.

عندما انزلق **فيفو تام** سقط على الأرض، وخبط ركبته اليسرى خبطة مؤلمة على الجليد. وعلى الفور، استنتج أن اللعبة قد وصلت إلى نهايتها، وأنه لن يطارد تلك الفتاة بعد الآن. فقد أدرك أنه سيكون محظوظاً إن استطاع المشي متعثراً والعودة إلى البيت.

كأنه كلب مضروب بالسوط.

كأنه حيوان معاقب.

مرة أخرى، تأجج الغضب في داخله، وازداد توهجاً حتى أعمى بصره وأفقده صوابه، فنهض على ركبة واحدة وسحب مسدسه.

لم يفكر بأي شيء، بل شعر أن كل ذرة من كيانه تريد لتلك الفتاة أن تتوقف بأي ثمن. فرفع مسدسه وسدده نحوها.

سمعت **لوميكي** صوت طلقة مكتومة، ثم شعرت بشيء ما يمر قرب فخذها ويضرب إحدى شواهد القبور ويكسر قطعة منها.

رصاصة!

لقد أطلق الرجل الرصاص عليها.

وفجأة، قفزت نبضات قلب **لوميكي** عشرين نبضة مرة واحدة، فبدأت تطير بأقصى سرعتها؛ من دون حتى أن تلاحظ الأرض الزلقة أو الهواء البارد أو قطرات العرق التي تسيل على ظهرها.

وبعد أن قطعت مسافة طويلة، تجرأت على إلقاء نظرة خاطفة خلفها. بدا شكل الرجل الآن بعيداً وصغيراً، ولكنها ظلت تستطيع رؤيته على المسار الرئيس وهو يمسك بركبته متألماً. ورأت سيدة مسنة وودوداً تسرع لمساعدته.

لم تر أي دليل على وجود المسدس. ولم تنطلق أي طلقات أخرى نحوها.

تابعت **لوميكي** الجري الذي وجدت أنه أصبح سهلاً فجأة. فقد أدركت أنها بحت بجلدها.

هذه المرة.

على طلاء السقف، كانت هناك صدوع كثيرة تشبه طرقاً غريبة تؤدي إلى المجهول. تمددت **لوميكي** على سريرها وهي تنظر إلى تلك الصدوع التي بدت متقاطعة ومتشابكة، وسمحت للغضب في داخلها أن يتأجج. وضعت على بطنها أرنباً أزرق اللون مهترئ القماش إحدى أذنيه مفقودة، فتحمل الأرنب قبضة يدها العنيفة والقاسية.

بعد أن وصلت إلى البيت، خلعت جزمتها العسكرية بعصبية، وألقت معطفها الشتوي على مسند كرسي، وخلعت كنزتها الصوفية المبللة بالعرق وقميصها القطني المبلل أكثر منها، ثم وقفت تحت الدوش لنصف ساعة وسمحت للماء أن يهطل عليها كالمطر الغزير. وبعد ذلك، غسلت شعرها بشامبو غير معطر، واستحمت بصابون خالٍ كذلك من أي عطر أيضاً. لطالما اعتادت استخدام منتجات عديمة العطر؛ ليس لأنها مصابة بحساسية ما، ولكن لأنها لم تكن تحب أن تفوح منها أية رائحة بحد ذاتها.

فتمييز شخص ما من أنواع الشامبو أو الصابون أو سائل الاستحمام التي يستخدمها عمل بغاية السهولة، ناهيك عن العطر أو مستحضر ما بعد الحلاقة. فمجرد نفحة من الصابون المعطر بعطر

الفاكهة كفيلة بأن تجعل حتى صاحب الأنف المسدود يعرف أن شخصاً محدّداً تواجد لتوه في الغرفة نفسها. قد لا يستطيع معظم الناس أن يحددوا روائح الآخرين المميزة في الأماكن العامة - فذلك يتطلب حساً أكثر تطوراً للروائح - ولكن أي شخص لا يعاني من الإنفلونزا يستطيع أن يميز روائح العطور اللاذعة والقوية.

إن العطور تثير الذكريات أيضاً. فرائحة الشامبو بعطر الصنوبر كانت تعيد إلى ذاكرها ذكريات ليالي الصيف واليعاسيب التي تطير متنقلة من مكان إلى آخر على سطح الماء، وسائل الاستحمام برائحة المسك كان يرسم في ذهنها صورة ذراعين مفتولتي العضلات وظهر تبرز منه عظام الكتفين بشكل جميل. لطالما ذكرها هذه العطور بلحظات اعتادا أن يجلسا فيها ويضحكا على أشياء صغيرة قد لا يجدها الآخرون مضحكة على الإطلاق، وجعلتها تفكر بنظرة التساؤل التي كانت تراها في عينيه الزرقاوين الفاتحتين اللتين لطالما شعرت لدى رؤيتهما بالحيرة والخجل. كانت دقات قلبها تتسارع، وساقاها تتخاذلان كلما مر قربها شخص تفوح منه رائحة سائل الاستحمام نفسه. ومع ذلك، كانت تعرف حتى قبل أن ترى بعينيها أن الرائحة ليست للشخص نفسه الذي تتوق إليه. هكذا يكون تأثير الروائح على الذاكرة قوياً.

قد لا يتذكر شخص ما كيف يبدو أحد الغرباء. ولكن، عندما يصادف أن يشم رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه في مكان آخر، فإن بنيته الضخمة وشعره القصير وبنطاله الجينز وقميصه ذا الأزرار سرعان ما ترتسم كلها في مخيلته.

لم تكن **لوميكي** تريد ذلك كله. فلم تكن تريد للغرباء أو حتى لكل معارفها أن يتذكروها، بل أرادت أن تتمكن من التحرك بشكل خفي من دون رائحة قدر المستطاع.

غسلت **لوميكي** الخوف والفزع عن بشرتها، وعالجت القروح التي تشكلت على قدميها من جرّاء الجري بالجزمة، وردت على مكالمة من أمها.

"بخير تماماً. كلا، ليست المدرسة سيئة. نعم، لا يزال لدي بعض النقود".

أكاذيب! أكاذيب محبوكة بكل إتقان!

متى توقفت عن البوح بكل شيء لأمها؟ عندما بدأت المدرسة؟ نعم، ذلك هو الوقت على الأرجح، أو ربما في وقت أبكر؛ بما أن عادة التكتم وعدم الكلام كانت سائدة في عائلتها. لم تكتشف **لوميكي** كل الأمور التي امتنعوا عن الحديث عنها، ولكن قلة الكلام ظلت تحوم في كل الغرف بثقل وكأنها أنسجة عنكبوت خفية. فقد اعتاد كل شخص أن يعنى بشؤونه الخاصة وحسب. قد تكون مواضيعهم المحرمة أي أشياء عادية لا يمكن أن يخمنها شخص من خارج نطاق العائلة ولو بعد مليون سنة، أي مثل دمية الأرنب التي حملتها **لوميكي** بين يديها وهي في سريرها. فقد أحضرتها لها أمها في آخر مرة زارت فيها **تامبيري**، وقالت لها إنها كانت الدمية المفضلة لديها وهي طفلة. عندما نظرت **لوميكي** إلى عيني الأرنب السوداوين تذكرت على الفور أنه في الواقع لعبة شخص آخر المفضلة وليس لعبتها هي؛ رغم أنها اعتادت أن تلعب به على حد سواء. فعبرت عن فكرتها بصوت مرتفع.

فقالت الأم: "كلا، لا بد أنك لا تتذكرين بشكل صحيح. لقد كان هذا الأرنب لعبتك المفضلة واسمه **أوسكار**".

هزت **لوميكي** رأسها.

"لقد أطلقت عليه اسم **أوسكار** في ما بعد. وكان اسمه من قبل **زيني**. ربما حصلت عليه من أحد أبناء عمومتي أو ما شابه".

لم تقل الأم أي شيء عن ذلك، ففهمت **لوميكي** أن صمتها يعني أنه موضوع من بين المواضيع الكثيرة التي لن يتحدثوا بشأنها بعد الآن.

بدت الصدوع في السقف كمخطط نجوم في سماء غريبة. إنها عيوب، ولكنها أحبتها؛ فقد بدت مثيرة للاهتمام. ولكن **لوميكي** ركّزت انتباهها الآن على الغضب لأنه منحها القوة. فقد تعرضت للمطاردة للمرة الثانية، وهذه المرة أطلق أحدهم الرصاص عليها. كان لديها كل الحق في أن ترفض أي علاقة تربطها بهذه القضية حتى أكثر من ذي قبل، ولكنها الآن أرادت أن تعرف الحقيقة بكل وضوح، وأن تحسم أمرها. والأهم من كل شيء هو أنها أرادت لأولئك الرجال أن يدفعوا ثمن جرائمهم. فهي لم تعد تريد أن تخشى شيئاً بعد الآن.

يمكن للخوف أن ينتهي فقط بعد أن يتم كشف كل الأوراق.

ولهذا السبب، قررت ما تنوي فعله في اليوم التالي. فألقت بالأرنب في الزاوية بغضب، وأخرجت هاتفها الخليوي واتصلت **بإليزا**.

استطاع **فيفو تام** المشي متكئاً على عصا وهو يعرج نحو بـــاب بيته، ثم عانى من صعوبة في الإمساك بالمفتاح. فقد وجد أن الإمساك بالعصا وإدارة المفتاح بينما هو يحاول ألا يضع أي وزن زائد علـــى ساقه اليسرى مهمة شاقة؛ فكشر عن أنيابه متألماً وهو يتأرجح مـــن عدم التوازن.

أجبرته السيدة العجوز اللطيفة التي صـــادفته في المقـــبرة علـــى الاتصال بسيارة الإسعاف. وربما كانت علـــى الأرجـــح ســـترافقه وتحرص على أن كل شيء على ما يرام لو أن المسعفين لم يؤكدوا لها أن **فيفو** أصبح الآن بين أيدٍ أمينة.

بعد أن عثر طبيب الطوارئ على صدع برفع الشعرة في تصوير أشعة إكس، وضع له جبيرة، وأرسله إلى البيت بعد أن أعطاه عكازاً وبعض مسكنات الألم القوية.

والآن، وصل إلى البيت أخيراً. لم يستطع **فيفو** أن يتذكر مـــتى منحته شقته الصغيرة القاحلة والموحشة شعوراً بالترحـــاب إلى هـــذا الحد؛ ولا سيما مع كوب شراب بارد وحبتين من مســـكن الآلام. وعندئذ فقط يستطيع الاتصال **بسوكولوف** الذي ترك لـــه بضـــع رسائل غاضبة على بريده الصوتي.

ذلك الروسي المجنون! لم يشعر بالرغبة بالرد علـــى مكالماتـــه، ولكنه لم يستبعد أن يأتي **سوكولوف** ويدق على بابه في أية لحظة.

قابلت **فيفو** رائحة هواء راكد ورطب في مدخل البيت. ففكـــر أنه ينبغي عليه فعلاً في وقت ما أن ينظف أكوام الصحون المكدسة في المغسلة. ولكن، انتظر! لقد شم رائحة غريبة تشبه رائحة النعنـــاع؛ وكأن هناك من تناول شراب السعال للتو في الشقة.

أغلق الباب، ودخل شقته ذات الغرفة الواحدة وهو يعـــرج. لم يكن لديه الوقت الكافي ليشعل الضوء لأن شخصاً ما فعل ذلك بدلاً منه.

وسرعان ما فهم **فيفو** معنى الرائحة الغريبة التي شمها في الشقة.

رجال الدب القطبـــي!

خرجت رصاصة واحدة من مسدس كاتم للصوت، ثم ســـقط **فيفو** على ظهره ونـــزف الدم من فمه وكأنه طلاء أحمر اللون.

الجمعة 4 آذار

18

بشرة بيضاء كالثلج.

مسحت فرشاة تجميل ضخمة وجه **لوميكي**. كانت شاحبة اللون بعد فصل الشتاء، ولكنها لم تحاول أن تخفي شحوبها، بل على العكس من ذلك. فقد وضعت كريم أساس أفتح من لون بشرتها الطبيعي بدرجة واحدة. فوحَّد مستحضر التجميل لون بشرتها وأخفى العيوب الصغيرة، وجعل وجهها يصبح أملس ومصقولاً بصورة غير طبيعية؛ حتى بدت أشبه بدمية من الخزف.

شفتان حمراوان كالدم.

رسمت **إليزا** حدود شفتي **لوميكي** بعناية، فمررت قلم التحديد على طول قوس الشفة العلوية، ثم على الجانب الأيسر، وأخيراً الأيمن. وبعد ذلك، رسمت الشفة السفلية بخط واحد واثق، ثم موهت الخطوط باتجاه وسط الشفتين؛ مما منحها انطباعاً موحياً بالعمق.

طبقة واحدة من أحمر الشفاه، ثم إزالة الزوائد بعناية بمنديل ورقي، ثم طبقة أخرى، وأخيراً لمسة من ملمع الشفاه الأحمر في وسط الشفتين لتمنحهما مظهراً ممتلئاً.

شعر أسود كخشب الأبنوس.

رتبت **إليزا** أطراف شعر **لوميكي**، ثم رشت عليه مثبت الشعر، ثم نفشت بقية شعرها القصير ورشت طبقة أخرى من مثبت الشعر لتثبته في مكانه.

بدا لون الصبغة مناسباً تماماً. تخيلت **لوميكي** كم سيبدو اللون غريباً عندما غسلت شعرها؛ بعد أن انتهى وقت الصبغ ورأت خطوطاً من اللون الأسود المزرق تسيل على سيراميك الحمام الأبيض كالأفاعي. فقد شكلت الصبغة المغسولة أنماطاً غريبة وجميلة على الأرض؛ إلى أن صرفت البالوعة الماء المصبوغ. غسلت **لوميكي** شعرها جيداً إلى أن سالت المياه منه نظيفة تماماً.

وجدت الوضع حتى أكثر غرابة عندما أجلستها **إليزا** على كرسي، ووضعت شرشفاً قديماً حول كتفيها، وبدأت تقص لها شعرها؛ أولاً حتى كتفيها ثم إلى ما تحت أذنيها بقليل. تساقطت الخصلات السوداء على الأرض. فاستغرقت **لوميكي** وقتاً حتى أدركت أن مصدر تلك الخصل هو رأسها.

خصلات شعر أسود مبللة على الأرض وكأنها علامات استفهام بدون نقطة. بدا الوضع برمته أشبه بعلامة استفهام كبيرة. فقد تاقت نفس **لوميكي** للنقطة المفقودة التي من الممكن أن تضع حداً لكل ما يجري، وهذا ما دفعها للحضور إلى بيت **إليزا**.

سألتها **إليزا**: "لست نادمة على هذا، أليس كذلك؟".

فابتسمت **لوميكي** ابتسامة خفيفة وقالت: "إنها مجرد خلايا ميتة".

فارتعشت **إليزا**، وقالت: "لا أستطيع أن أفكر بها بهذه الطريقة".

وأخيراً، قصت **إليزا** غرتها، ونسقت لها شعرها، وتأكدت مرتين لتحرص على ألا تكون هناك أي شعرات ناتئة.

أعطت **إليزا لوميكي** ثوب سهرة طويلاً يتراوح لونه بين الأحمر والبرتقالي والأرجواني والخمري عندما يتحرك القماش ويعكس الضوء باتجاهات مختلفة، فارتدته **لوميكي**. كان فستان السهرة بسيطاً، وله حمالتان رفيعتان وتصميم يناسب جسمها بشكل مثالي.

رفعت **لوميكي** نظرها.

أيتها المرآة على الجدار...

شعرت **لوميكي** أن المرأة الجميلة التي أطلت عليها من المرآة تبدو غريبة بوقفتها المستقيمة وعينيها الداكنتين الغامضتين والتعبير الذي ارتسم على شفتيها بين الابتسامة والازدراء. وشعرت بالرضى والارتياح. فهذه المرأة لم تكن **لوميكي**، بل إنها شخص آخر؛ شخص يمكنه الدخول إلى حفلة الدب القطبي.

قفزت **إليزا** إلى الأعلى والأسفل مطلقة صيحات صغيرة غريبة. ففسرت **لوميكي** ذلك على أنه رد فعل إيجابي.

"يا إلهي! أنت جميلة! كم أنا بارعة! ما الذي أفعله في المدرسة الثانوية في الوقت الذي أستطيع فيه أن أصبح أفضل فنانة تجميل في العالم؟!".

تملكها شعور جيد لدى رؤيتها **إليزا** سعيدة. فقد عاد اللون إلى وجنتيها، ولم تعد ترى ذلك الخواء المهجور المشوش الكامن خلف عينيها.

قالت **إليزا**: "والآن، القليل من هذا". ورشت على عنق **لوميكي** عطراً ميزته على الفور على أنه عطر **إليزا** المميز "جوي".

حبست **لوميكي** نَفَسَها لتتجنب ابتلاع شيء من هذا المزيج من الزيوت الأساسية والكحول التي تتطاير في الهواء.

والآن، باتت تفوح منها رائحة شخص آخر غيرها على حد سواء، وهذا ما وجدته أمراً حسناً؛ لأنه لن يجعل أحداً من الحفلة يتذكرها. فما كان الناس سيتذكرونه هو رؤية امرأة تشبه شخصية "بياض الثلج" من القصص الخيالية، وتفوح منها رائحة العطور الباهظة ومثبت الشعر والصابون الفاخر.

"تعالَيا، أيها الشابان، وألقيا نظرة!".

دخل **توكا** و**كاسبر** بصخب من الغرفة المجاورة.

"حسناً، هل تمكنت من جعلها... يا للروعة!". وتوقف **توكا** عن الكلام في منتصف الجملة عندما التفتت **لوميكي** نحوهما، بينما انفتح فم **كاسبر** على وسعه.

فقال **كاسبر** أخيراً: "أليست هناك قصة مختلفة حيث تتحول الفتاة القذرة القبيحة إلى فتاة حسناء؟ أهي **سندريلا**؟".

قال **توكا**: "يعجبني ذلك". ومن الواضح أنه لم يتسنَّ له الوقت الكافي للتفكير بكلماته قبل أن تخرج من فمه.

فردت عليه **لوميكي** مسيطرة على نفسها: "في أحلامك".

حانت الساعة السابعة وعشرين دقيقة مساء. وقبل ذلك بثلاث ساعات، حضرت **لوميكي** إلى بيت **إليزا** حيث اجتمعت مع **توكا** و**كاسبر**. مضت بداية اجتماعهم بصمت، فقد أدركوا جميعاً أنهم قطعوا خطاً معيناً لا يمكن الرجعة فيه. فحتى تلك اللحظة، كل الأحداث التي وقعت لهم كانت خفيفة وقابلة للسيطرة وممتعة من دون أي مخاطرة تذكر، ولكن ليس بعد الآن. فقد حاول أحدهم إطلاق الرصاص على **لوميكي**؛ كما أنها توشك الآن على

الذهاب إلى مكان حيث من الممكن أن تتعرض فيه حياها لخطر حقيقي.

أخبرهم **لوميكي** بخطتها.

لم تكن خطة عقلانية ولا منطقية، بل تنطوي على الكثير من المخاطر، ولكن **لوميكي** لم تأبه لذلك. فقد أرادت الآن أن تتعرض للخطر وتواجه أكبر مخاوفها.

عندما وصلت **لوميكي** في شرح خطتها إلى حيث تحاول الدخول إلى الحفلة سراً من الباب الخلفي، فتح **كاسبر** فمه واعترض قائلاً: "لن تتمكني من ذلك".

فسألت **إليزا** قائلة: "ولكن، كيف تعرف؟".

"لا يمكن لأي كان أن يقوم بمجرد التسلل من الخلف إلى حفلة من حفلات الدب القطبي. بحسب ما سمعته، إهم يحيطون المكان هناك بشتى أنواع الإجراءات الأمنية المشددة؛ أي أسيجة وحراس وكاميرات وكل تلك الأشياء".

شبك **كاسبر** يديه خلف رقبته واستند على كرسيه. فمن الواضح أنه بدا مستمتعاً بلعب دور منبع المعرفة.

فقالت **لوميكي**: "حسناً. إذاً، يمكننا أن ننسى أمر الخطة برمتها".

ابتسم **كاسبر** باحتراف، وقال: "ولكن، يمكنك أن تدخلي من الباب الأمامي مباشرة والجميع ينظرون إليك".

"وكيف سينجح هذا؟".

"لأن النساء يمكنهن ذلك، أو على الأقل النساء الشابات اللواتي تتم دعوهن إلى الحفلات لتسلية الرجال وتزيين الحفلة بجمالهن. وطالما

أنك ترتدين ملابس مناسبة لموضوع الحفلة، فلن يسألك أحد أي شيء. وهذه المرة، الموضوع هو القصص الخيالية".

خرجت المياه الفوارة التي كان يشربها **توكا** من أنفه، وقال: "هل أنت جاد؟! هل تظن بالفعل أن بوسعنا أن نجعل هذه الفتاة الفوضوية التي تشبه الصبيان تبدو كإحدى أولئك السيدات الراقيات اللواتي يرتدن الحفلات الفخمة؟".

نظرت **إليزا** إلى **لوميكي** نظرة تقييم؛ من رأسها حتى قدميها، ثم قالت للشابين إنه بوسعهما الذهاب وتسلية نفسيهما لبضع ساعات بمشاهدة الأفلام أو لعب ألعاب الفيديو.

وقالت وهي مبتسمة: "إنني واثقة من أن هناك بعض الأشياء التي يمكنني فعلها، بينما لا يمكنكما أيها الغبيان أن تفعلاها. إن حضر والدي إلى البيت، فأبقياه بعيداً عن غرفتي، وقولا له إنني نائمة أو أغير ملابسي أو أي شيء من هذا القبيل".

والآن، أصبحت **لوميكي** على أتم استعداد لمغامرتها. وعندما حانت الساعة السابعة وخمس وأربعون دقيقة، ارتدت ثوب السهرة الأحمر، وانتعلت حذاء أبيض ذا كعب عالٍ، وتمرنت على المشي به لخمس دقائق؛ إلى أن تعلمت كيف تضبط مشيتها باتزان، وهذا ما وجدته مختلفاً تماماً عن أحذيتها الأخرى مسطحة الكعب. وعندما تم الاتفاق على كل شيء وإنجاز كل الاستعدادات، لم تعد المهمة تبدو صعبة. فقد كان هذا مجرد دور آخر يجب عليها أن تلعبه بإتقان وتضبط حركاتها لتبدو مناسبة لتلك الصورة التي شكلتها الملابس.

*إن **لوميكي** لا تعرف كيف تمشي بصورة طبيعية. فهي تجر قدميها في الأنحاء. كم تبدو غريبة!*

كلمات سمعتها منذ عشر سنوات. تذكرت **لوميكي** بالضبط نبرة الصوت التي قيلت بها تلك الكلمات، والتعابير والإيماءات التي أكدت عليها، وكذلك السخرية الفاضحة فيها.

في تلك اللحظة من الماضي، قررت أن تتعلم كيف تمشي بكل طريقة ممكنة؛ طبيعية وغير طبيعية، جميلة وغير جذابة، سريعة وبطيئة ومتبخترة، وذلك لئلا تعطي أحداً الفرصة على الإطلاق ليقول عنها أي شيء من هذا القبيل مرة أخرى. ربما لم ينقذها ذلك في وقتها، ولكن هذه المهارة خدمتها مرات عديدة في ما بعد.

ساعدت **إليزا لوميكي** على ارتداء معطف قصير من الفراء الصناعي، ثم أعطتها قفازيها الأسودين الطويلين اللذين يصل طولهما إلى المرفقين، ثم حقيبة صغيرة مزينة بالخرز.

وقالت **إليزا**: "لا تضيعي هذه الحقيبة، فهي باهظة الثمن".

في الطابق السفلي، سمعوا صوت خبط في الأنحاء بينما راح والد **إليزا** يجهز نفسه للحفلة على حد سواء. ونزل كل من **توكا** و**كاسبر** إلى الطابق السفلي ليستعدا للخروج. ففتحت **لوميكي** الحقيبة، ووجدت في داخلها بودرة تجميلية وأحمر شفاه بلون الدم في أنبوب ذهبي وورقة بمائة يورو وشيئاً زغباً زهري اللون. وعندما أمسكت بالسطح الزغب، شعرت **لوميكي** بأصابعها تغوص فيه ثم تلمس شيئاً صلباً. فأخرجت الشيء من الحقيبة واكتشفت أنه قيود زهرية اللون.

هزت **إليزا** رأسها وقالت وهي تحمر من شدّة الخجل: "لا تسأليني عنها، فأنا لا أريد أن أتذكر تلك الحفلة".

رفعت **لوميكي** حاجبيها قليلاً، ثم أعادت وضـع القيـود في الحقيبة. فما تقوم به **إليزا** في حفلاتها ليس من شأن **لوميكي** لتتدخل به.

"والآن، لم يبق سوى هذه".

وأعطت **إليزا لوميكي** سترة سوداء طويلـة تكـاد تصـل إلى كاحليها.

وقالت: "لا أعرف ما الذي خطر ببالي عندما اشـتريت هـذه السترة. إذ إنني أبدو فيها وكأنني أرتدي كيساً، ولكن يمكننا الآن أن نستفيد منها".

ارتدت **لوميكي** السترة فوق معطف الفراء، فوجدتها ضيقة قليلاً عند الكمّين، ولكنها خلافاً لذلك كانت مثاليـة. وثبتـت الأزرار، ووضعت القلنسوة على شعرها بعناية، وألقت نظرة أخـيرة علـى نفسها في المرآة.

لا بد أنها بدت أشبه بابن عم الرجل الثلجي البغيض الأسود.

وقفت **إليزا** و**لوميكي** بمواجهة بعضهما بعضاً لبضع ثوان. فلم تجد أي منهما كلمات لتقولها. ودّت **لوميكي** أن تعانق **إليزا** وتقول لها إن كل شيء سيسير على ما يرام؛ رغم أنها لم تكن واثقة من ذلك على الإطلاق، ورغم أنها لم تُقدم في حياتها على معانقة أحد طوعيـاً باستثناء أمها وأبيها عندما كانت طفلة.

شعرت **إليزا** بالخوف وكذلك **لوميكي**.

كانت **إليزا** مستعدة لتأدية دورها، وكذلك **لوميكي**.

أصبح طرح السؤال على **إليزا** عمّا إذا كانت واثقة من رغبتها في النبش عميقاً داخل حياة أبيها عديم الجدوى الآن. لقد فات أوان

التساؤل والتردد. وقد تكون **إليزا** مراهقة مدللة تظن أنها تعيش حلم فتاة تظهر للناس للمرة الأولى في المدرسة الثانوية. وقد تظن أن بوسعها أن تمضي في الحياة وهي تشتري ملابس وحقائب باهظة بأموال أبيها، وأن تقيم حفلات صاخبة يمكن لشخص آخر أن ينظف الفوضى المترتبة عنها وأن تحتسي الشراب وغيره، وتعبث مع الفتيان والرجال على حد سواء، ثم تدفن ضعفها خلف قناع من مستحضرات التجميل، وتتظاهر أنها أغبى مما هي عليه في الحقيقة.

ولكن **لوميكي** لاحظت أن **إليزا** أدركت أن هذه الليلة ستغير كل شيء وستبعثر أحلامها الوردية كلها إلى الأبد. فقد تشكل أول صدع فيها في ليلة الأحد؛ عندما أخرجت يديها من ذلك الكيس وتساءلت لماذا هي دبقة. ولكن ما أوشكت على اكتشافه في تلك الليلة لن يكون من الممكن تنظيفه بالماء والصابون.

لمعت نظرة تصميم في عيني **إليزا**؛ مما جعل **لوميكي** تتساءل إن كانتا مختلفتين عن بعضهما بعضاً على أية حال. لم يكن عالماهما سيلتقيان بشكل كامل قط، ولكنها في لحظات عابرة كهذه شعرت أنهما تشتركان بالمكان والأحاسيس والأفكار نفسها.

ملأت **إليزا** رئتيها بالهواء ثم زفرت بهدوء.

وقالت: "الآن، سوف أعانق والدي مودعة".

فأومأت **لوميكي** برأسها. وكانت الساعة تشير إلى السابعة واثنتين وخمسين دقيقة.

19

انزلقت يدا **تيرهو فيسانين** على قماش الساتان الناعم وهو يحاول تثبيت ربطة عنقه. لم تكف يداه عن التعرق من شدّة التوتر، فواصل تجفيفهما بالمناديل الورقية بين الحين والآخر.

سرعان ما أزف موعد خروجه. فقد توجب عليه أن يقف خارج البيت بانتظار السيارة التي ستأتي لتقله إلى الحفلة. فصمم على ألاّ يتأخر مهما كانت الظروف؛ لأن السيارة لن تنتظره. وإن لم يدرك السيارة، فستفوته فرصة الذهاب لمقابلة الدب القطبي، وتنزلق من بين أصابعه كما فعلت ربطة عنقه الناعمة.

حفلة بالملابس الرسمية! ترى، متى كانت آخر مرة ارتدى فيها بذلة رسمية؟ قبل بضع سنوات، حضر حفلة أقامها مدير زوجته في العمل. لم يكن سينسى قط تلك الساعات الخمس المليئة بالتباهي والتفاخر؛ ابتداء من نخب الترحيب، وحتى اللحظة التي ركبا فيها سيارة الأجرة في طريق العودة إلى البيت. لم يكن يعجبه ذلك النوع من حفلات الطبقة الراقية. ومع ذلك، بات من نواحٍ كثيرة يعتبر نفسه أحد أفراد هذه الطبقة الراقية الجوفاء.

وأخيراً، تجاوبت معه ربطة العنق. فمشط شعره مرة أخرى وهو يتململ؛ رغم أن الحلاق صففه له بهيئة مثالية قبل قليل فقط. شعر

تيرهو بتوتر لم يشعر به خلال عقود، فذكر نفسه أنه ذاهب لحضور الحفلة لسببين لا ثالث لهما.

للتحدث شخصياً إلى الدب القطبـــي، وعلى أمل رؤية **ناتاليا**.

حتى هذه اللحظة، لم تكن قد ردّت على أي من رسائله الـــتي أرسلها بالإيميل. ورغم معرفة **تيرهو** أنها حضرت حفـــلات الـــدب القطبـــي من قبل، إلا أنها رفضت أن تخبره أي شيء عنها.

هذا سري للغاية، يا حبـــي!

لقد أدرك أنه من الممكن أن تكون قبضة الدب القطبـــي على الناس قاسية وعنيفة. وخامره شك في أنه يملك أي موقـــع يؤهلـــه للمساومة في نظر ذلك الرجل. فعلى أية حال، لم يكن سوى شرطي مخدرات مثير للشفقة؛ أي مجرد لاعب صغير. وربما قام بعمله علـــى أكمل وجه في مساعدة الدب القطبـــي في أعماله على مر السنوات العشر الأخيرة، ولكن كان بوسع الدب القطبـــي علـــى الأرجـــح المضي في تسيير أعماله بدون **تيرهو**، إلا أنه قرر المضـــي في محاولتـــه حتى النهاية.

في الساعات المبكرة من صباح اليوم الفائت، توصل إلى قـــرار مصيري. نعم، فقد قرر الانسحاب والاستغناء عن لعب ذلك الـــدور المزدوج. ولكن، لكي ينجح ذلك، قرر أن يطالب الدب القطبـــــي بتعويض من نوع ما ليساعد في سد الفجوة الكبيرة التي ستحدث في دخله المستقبلي. فقد أراد مصدراً يساعده على دفع ديـــون الميســـر وتأمين مستقبله ومستقبل **ناتاليا**. وبعد ذلك، سيصبح بوسعه التركيز على عيش حياة مسالمة، عادية بدون أي شيء يسرع دقـــات قلبـــه ويقض مضجعه. فلا جريمة ولا ميسر ولا **ناتاليا** ولا نقود.

شعر أنه لم يعد يقوى على تحمل التوتر والخوف بعد الآن. فالسرية التي أضفت على حياته وهو شاب البهجة والمتعة لم تعد تسبب له الآن سوى التعب. وحتى لو استطاع الاستمرار لبضع سنوات أخرى، إلا أن صحته ستبدأ بالتدهور شيئاً فشيئاً. وسواء أكان المرض سيلم بقلبه أم بأعصابه، ألاّ أنه في كلتا الحالتين بدأ يشق طريقه نحو الانهيار. فقد مضى عليه وقت طويل وهو يخدع نفسه ويضللها بلا فائدة.

حدق **تيرهو** بالرجل الذي أطل عليه من المرآة، ووجده أكبر سناً من عمره الحقيقي. فبشرته المتهدلة تحت عينيه، والجلد المرتخي تحت فكه، والبطن البارز من فوق حزام بنطاله... كل شيء يتعلق به بدا متدلياً ومسترخياً. سنوات من التوتر والشعور بالذنب نهشته ودفعته لاستهلاك كل ما يمر من أمام فمه؛ متجاهلاً صحته ومصلحته وحتى عائلته. توجب عليه أن يعترف بذلك؛ إن لم يكن لأحد آخر، فلنفسه على الأقل.

توجب عليه أن يضع حداً لكل ذلك ويمتنع عن مقابلة **ناتاليا** بعد الآن. فبعد ماضيهما المشترك، أيقن أنهما لن يتمكنا من الظهور معاً في العلن. واتخذ قراره بأن يبدأ حياة جديدة وشريفة، وهذا هو السبب الذي جعله يوشك على القيام بعمل متهور ومن المستبعد نجاحه؛ وهو ابتزاز الدب القطبي.

ألقى **تيرهو** نظرة على ساعة يده، ووجد أن وقت المغادرة قد حان. وبينما هو يهمّ بالتقدم نحو مدخل البيت، حضرت **إليزا** مسرعة من الدرج، وأمسكت بيده، وأخذت تجره نحو القبو.

فقال **تيرهو** بانزعاج: "ماذا تريدين الآن؟ ينبغي عليّ الذهاب".

"يجب أن أريك شيئاً مهماً جداً. لن يستغرق الأمر سوى دقيقة واحدة".

"ليس الآن. لا يمكن أن أتأخر. فلدي مناسبة بغاية الأهمية عليّ أن أحضرها".

"كيف يمكن لمغادرتك إلى حفلة ما أن تكون أكثر أهمية مني؟"

ظلت **إليزا** متشبثة بذراع أبيها وهي تنظر إليه بعينين كبيرتين ملؤهما الاتهام. والآن، بدلاً من ابنته ذات السبعة عشر عاماً، رأى **تيرهو** طفلة عمرها سبع سنوات لا يطاوعه قلبه على تخيب أملها.

"حسناً، دقيقة واحدة".

نزلت **لوميكي** الدرج بهدوء، وهذا ما فاجأها بصعوبته وهي تنتعل ذلك الحذاء ذا الكعب العالي، والمعطف الشبيه بالكيس والمعيق للحركة. كان **توكا** بانتظارها في الخارج مختبئاً قرب البوابة الخلفية.

همس لها قائلاً: "لم يصلوا بعد".

قالت **لوميكي**: "آمل ألا يتأخروا". وكانت درجة الحرارة تبلغ بضع درجات تحت الصفر، وهي درجة مرتفعة نسبياً بالنسبة للشتاء.

غطت طبقة رقيقة من الصقيع الأبيض كل الأسطح؛ من البيوت إلى الأشجار والصخور والسيارات والملابس والشعر والخدود وحتى الأفكار.

قال **توكا**: "لقد وعدتني **إليزا** بأن تبقي والدها مشغولاً إلى أن أتصل بها".

وعندئذ، قاما بمجرد الانتظار بهدوء. فتساءلت **لوميكي** عن سبب عدم إدلاء **توكا** ببعض الملاحظات الذكية حول معطفها

الأسود أو العروض التي من المؤكد أنها ستتلقاها خلال الحفلة. وعندئذ، لاحظت التوتر البادي على وجهه. فقد كان **توكا** متوتراً، وربما خائفاً، وهي على الأرجح المرة الأولى في حياته.

في سالف الأزمان، عاش فتى تعلم أن يخاف.

أما **لوميكي** نفسها، فقد شعرت بهدوء غير مسبوق. إذ بعد أن قررت أن تتبع برنامجاً ذا خطوات محددة، لم يعد يتوجب عليها أن تفعل شيئاً سوى التركيز على ما ستقوم به في الخطوة التالية.

في الساعة السابعة وثمان وخمسين دقيقة، انعطفت سيارة سوداء من طراز **أودي** إلى الشارع وتوقفت أمام البيت. نظر **توكا** إلى **لوميكي** ورفع حاجبه. وعندما أومأت له برأسها، تحرك **توكا** من مكانه، ومر بعفوية بمحاذاة السيارة السوداء. وحالما أصبح خارج مجال رؤية السائق، اختبأ خلف سيارة أخرى مركونة على بعد مسافة قصيرة على طول الشارع، ثم عاد أدراجه نحو سيارة الأودي السوداء من الخلف وجلس القرفصاء متوارياً عن الأنظار ثم انتظر.

ثم حان دور **كاسبر**.

انعطف كاسبر من الزاوية متجهاً مباشرة نحو سيارة **الأودي** السوداء، فلم يبدِ السائق أي رد فعل. أخرج **كاسبر** مفتاحاً من جيبه، وأظهره للسائق بحركة درامية، وضغط به على الغطاء باستمتاع، وتابع المشي وهو يجر المفتاح على سطح السيارة، فملأ صوت احتكاك المعدن بالمعدن المكان معكراً صفو تلك الليلة الشتوية الهادئة. في البداية، حدق السائق **بكاسبر** وكأنه لا يستوعب ما يجري.

ثم ابتسم **كاسبر** للسائق بمرح.

وأخيراً، دبت الحياة في السائق، وصاح بكلام غير مفهوم، ثم قفز من السيارة. فتصرف **توكا** بسرعة البرق، وفتح صندوق السيارة فتحة صغيرة. وفي تلك الأثناء، أطلق **كاسبر** ساقيه للريح وهو يضحك بجنون والسائق في أعقابه، ولكنه التفت للحظة ليقفل السيارة بجهاز التحكم عن بعد، ثم تابع ركضه ليلاحق **كاسبر** الذي تعمد عدم الإسراع في الركض لتظل فكرة ملاحقته مغرية.

وفي تلك الأثناء، اختبأت **لوميكي** في السيارة بعد أن ساعدها **توكا** على الدخول إلى الصندوق. لحسن الحظ، لم يكن من الحجم الصغير، ولكن توجب على **لوميكي** أن تنسق ذراعيها وقدميها بعناية لتتسع داخله. وأخيراً، دست قصاصة من قماش حريري في آلية القفل، وأشارت إلى **توكا** بإبهامها إلى أن كل شيء جاهز.

فرد عليها **توكا** بالإشارة نفسها، ثم أغلق غطاء الصندوق بهدوء قدر المستطاع.

عندما وجدت **لوميكي** الظلام يحيط بها من كل جانب، قاومت شعوراً مؤقتاً بالفزع بعد أن وجدت نفسها في مكان ضيق وغير مريح تفوح منه رائحة الوقود، فتمنت ألا تستغرق الرحلة وقتاً طويلاً.

سمعت **لوميكي** صوت السائق حين عاد وهو يطلق الشتائم، ثم سمعت صوت فتح القفل. وجلس السائق على مقعده وخبط الباب خلفه.

حاولت **لوميكي** الوصول إلى هاتفها الخليوي في حقيبتها، فتمكنت من إخراجه منها بصعوبة. نظرت إلى الساعة في الهاتف، ووجدتها تشير إلى الثامنة وخمس دقائق، فشعرت بالراحة لمجرد رؤيتها

ذلك الوميض الأزرق الساطع من الشاشة بشكل مؤقت؛ مضيئاً الظلام حولها.

وعندئذ، سمعت صوت خطوات تقترب قادمة من جهة بيت **إليزا**، ثم انفتح باب السيارة.

سأل السائق بانزعاج باللغة الإنكليزية: "ما الذي أخرك كل هذا الوقت؟".

فسمعت **لوميكي** صوت **تيرهو فيسانين** وهو يرد قائلاً: "آسف. إنها مسائل عائلية".

"إن الدب القطبي يكره الناس الذين يتأخرون".

"إذاً، دعنا لا نضيع المزيد من الوقت".

بالضبط. وافقت **لوميكي** بشكل كامل على ما قاله والد **إليزا**. إذ لم تكن لديها أية رغبة في قضاء وقت أكثر من الضروري في هذا المكان الضيق وبهذه الوضعية المزعجة.

صدر صوت أزيز محرك سيارة الأودي.

"لديكم مجرمون في هذا الشارع".

بالكاد استطاعت **لوميكي** أن تفهم كلمات السائق، ولكنها جعلتها تبتسم. وعندما تحركت السيارة وبدأت تيارات من الهواء بالتسلل من فتحات في الصندوق، عادت إلى جديتها.

فلم يعد هناك مجال للتراجع.

20

الظلام دامس لا يخترقه ولو بصيص نور.

لن تخرج من هنا. لن تحصل على نسمة هواء. ستموت.

رسمت الحصى أشكالاً من الانخفاضات والحفر الصغيرة على ظهرها. فضغطت على الحصى بيدها، وتحسست الأطراف الحادة للصخور الصغيرة، ثم تركتها تسقط من بين أصابعها.

صاحت قائلة: "اتركاني أخرج".

صاحت من قبل عشر مرات ومائة مرة وألف مرة. وخبطت على الغطاء بقبضتي يديها، وركلته بقدميها، وتقلبت مرة تلو الأخرى محاولة أن تدفعه بظهرها، ولكن لا شيء.

كانتا جالستين عليه، وهما على الأرجح تدلّيان أقدامهما وتتبادلان الدور في مص مصاصة مستمتعتين بنكهة الفراولة. لم تكونا على عجلة من أمرهما، فهما اللتان تملكان القوة.

ماتت الدموع قبل زمن بعيد في عيني **لوميكي**. ولكنها في تلك اللحظة بدأت تصاب بالفزع، وشعرت أنها إن لم تخرج من هناك فستختنق أنفاسها وتموت.

بدأت تصرخ بأعلى صوتها. فكرت بصرخات النوارس، والطريقة التي تفتح بها مناقيرها على وسعها، وتخيلت أنها أصبحت

طائر نورس. فراحت تصرخ وتصرخ.

كلما ارتفع الصوت أكثر، ازداد حيوية؛ حتى أصبحت هي الصوت نفسه، بل توحدت معه في النبرة الحمراء الغاضبة المرتفعة نفسها.

بعد قليل، أدركت أن المكان لم يعد مظلماً بعد الآن، وأن باب صندوق الحصى انفتح أخيراً. فجلست ومسحت دموعها، ونفضت حبيبات الرمل والحصى الناعمة التي علقت على خديها.

لم يعد هناك أي دليل على وجودهما.

فقد اختفى كل أثر لهما، ولكنهما كانتا بانتظار الفرصة التالية التي تدركان - كما تدرك **لوميكي** تمام الإدراك - أنها قادمة لا محالة.

عدّت **لوميكي** إلى العشرة ببطء.

لم يعد يحق لها أن تصاب بالهلع الآن. فهي لم تعد الآن الفتاة نفسها التي كانت عليها في ذلك الوقت من الماضي. فقد تغيرت وتعلمت، وبات باستطاعتها أن تنتظر في أضيق مكان ولأطول وقت ممكن.

لقد مضى كل شيء بالطريقة التي يُفترض به أن المضي وفقها؛ كل شيء تقريباً.

نعم، تعرضت لكدمات من جرّاء التخبط على جانب صندوق السيارة في بعض المنعطفات الحادة، وامتلأ أنفها برائحة الوقود حتى شعرت أنها لن تفارقها طوال اليوم. نعم، ارتجفت من شدّة البرد، وشعرت أنها مخدرة من الرأس إلى القدمين، ولكنها اعتبرت تلك الأمور مجرد أشياء صغيرة وثانوية لا قيمة لها.

واصلت سيارة "الأودي" السوداء السير لخمس وثلاثين دقيقة، ثم خففت سرعتها وأخيراً توقفت. فنـزل **تيرهـو فيسانين** من السيارة أولاً، ثم تبعه السائق بعد لحظة وأقفل السيارة ورحل.

أرهفت **لوميكي** السمع إلى أن ساد الهدوء حولها. فأمسكت قصاصة الحرير بأصابعها المتيبسة، وشدتها بعناية وهي في الوقت نفسه تدفع غطاء الصندوق بساقيها لتفتحه. شعرت أنها مضطرة للإقدام على هذه المجازفة في نهاية المطاف؛ فقد كان من المفترض بالقماش المحشور في آلية القفل أن يرفع المزلاج من مكانه لتتمكن من الخروج.

وفجأة، سمعت **لوميكي** صوت تمزق القماش؛ فكان أكثر صوت منذر بالشؤم سمعته منذ وقت طويل.

لا تفزعي. حافظي على هدوئك.

تحسست **لوميكي** المكان الذي تمزق فيه القماش بأصابعها، فلم تستطع العثور عليه. فقد فقدت أصابعها كل إحساسها تقريباً، كما جعل القفازان الأسودان اللذان ارتدتهما الإحساس أكثر صعوبة. فوضعت **لوميكي** قفازها الأيسر بين أسنانها وشدته وخلعته، ثم أقحمت أصابعها في فمها لتعيد إليها الدفء؛ إلى أن بدأ الدم يتدفق فيها من جديد.

محاولة أخرى.

تحسست يداها المكان المحيط بمنطقة القفل وشعرت بوجود القماش، ولكن **لوميكي** أدركت أن أطراف أصابعها الرطبة ستتجمد مرة أخرى في غضون ثوان.

آه، نعم. لقد بقيت قطعة كافية من القماش لا يزال بوسعها أن تمسك بها. فتشبثت بالقماش، ودفعت الغطاء بساقيها بقوة، وسحبت القماش ببطء وثبات باتجاه جسمها.

ولكنّ القفل لم ينفتح.

أطبقت **لوميكي** أسنانها، وراحت تدفع وتسحب وتشد بكل قوتها.

صوت طقطقة!

ثم انفتح القفل، وارتفع غطاء الصندوق، فأمسكت **لوميكي** الغطاء المفتوح فتحة صغيرة، وهدأت أنفاسها ثم أرهفت السمع. وفي تلك اللحظة، وصلت سيارة أخرى ووقفت بجانبها ثم ترجل راكبان منها.

سمعت صوت امرأة تقول: "ينبغي أن تفكر في وقت ما بتنظيف سيارتك. انظر إلى حذائي، من المفترض أن لونه زهري".

فأجاب الرجل: "أنت من أردت أن تتقمصي دور الجميلة النائمة، ولكنني أظن أنك كنت ستنجحين أكثر بتمثيل دور زوجة الأب الشريرة. فعندئذ، يصبح بوسعك أن تنتعلي حذاء أسود اللون".

ابتعد صوتا الرجل والمرأة المتشاجرين، وعاد الصمت ليعم المكان مرة أخرى.

رفعت **لوميكي** الغطاء قليلاً، واختلست النظر إلى الخارج، فوجدت نفسها في مكان أشبه بمرآب صغير. ولحسن الحظ، ركن السائق سيارة "الأودي" في الظل؛ خلف بعض الأشجار وبعيداً عن بقية السيارات. ولم يكن يوجد أحد هناك في تلك اللحظة.

لم يعد لديها وقت لتضيعه، فخلعت المعطف الشبيه بالكيس، وعاودت ارتداء قفازها، وخرجت من الصندوق وأغلقته مرة أخرى بهدوء. اضطرت إلى أن تترك المعطف في الصندوق. ولا بدّ أن السائق - أو أياً يكن من يفتح صندوق السيارة - سيتساءل عن

سبب وجوده في اليوم التالي. تفقدت **لوميكي** تسريحة شعرها بيديها، ووجدت أنه ظل بحالة جيدة بأعجوبة. لا بد أن **إليزا** لم تبالغ عندما قالت إن مثبت الشعر الذي استخدمته له مفعول سحري.

أخرجت علبة البودرة التجميلية من الحقيبة، وقامت بتفقد سريع لوجهها، ومسحت بعض أحمر الشفاه الزائد من زاوية فمها. وعندئذ، باتت مستعدة.

التفتت **لوميكي** لتنظر إلى مكان إقامة الحفلة.

تفحص **بوريس سوكولوف** إبداعه وأومأ لنفسه باستحسان. فقد بدت ملكة الثلج بالضبط كما أراد لها أن تكون. فإن لم تجعل رؤية هذا المنظر **تيرهو فيسانين** يتوقف عن التسبب بالمتاعب، فقد كان **بوريس** على استعداد لأكل غالون من مكعبات الثلج في جلسة واحدة.

شعر **بوريس** بالارتياح والحزن في آن معاً من دون سبب محدد. وكان سبب الارتياح واضحاً؛ إذ شعر بالراحة بعد أن حلّ مشاكله مع الدب القطبي، ولكنه في الوقت ذاته لم يضمر له أي ضغينة بسبب إطلاق رجاله الرصاص على **فيفو تام**.

فقد احتج الدب القطبي قائلاً إن **فيفو** شوهد وهو يجري في أنحاء المقبرة باهتياج وبحوزته مسدسه في وضح النهار، وذلك الأسلوب بحد ذاته لا يناسب الطريقة التي يحبُّ الدب القطبي أن يسيِّر بها أموره. فقد أظهر ذلك التصرف أن الرجل فقد لمسته الخاصة، وسار في طريقه نحو الانهيار. ولم يكن لديهم أي شيء يمكنهم فعله لإنقاذ رجل يمضي بنفسه نحو الهاوية. وكان كل من الدب القطبي **وسوكولوف** متفقين على تلك النقطة.

إذاً، توجب التخلص من **فيفو**، ولكن من دون أي أسباب شخصية.

نظر **سوكولوف** إلى **ناتاليا**، وتأمل عينيها البنيتين المفتوحتين على وسعهما وتعبير وجهها الموحي بالارتباك والدهشة.

ناتاليا الصغيرة المسكينة! هل ظننتِ فعلاً أن **بوريس** الكبير الشرير لن يكتشف خطتك للهرب، ثم النقود؟ إن أخذك تلك النقود يعتبر سرقة. والسرقة خطأ كما نعرف جميعاً. لو أنك آثرت الالتزام بالصواب، لكان كل شيء مختلفاً الآن.

ناتاليا، ناتاليا.

ملكة الثلج، والصقيع يكسو شفتيها.

لقد أصبح بوسع الحفلة أن تبدأ الآن!

برهن **كاسبر** أنه محق في ما قاله. فقد لاحظت **لوميكي** جداراً حجرياً طويلاً يحيط بالمكان، وهو في حد ذاته عبارة عن مبنى كبير من ثلاثة طوابق، يعود تاريخ بنائه إلى أوائل التسعينيات من القرن الماضي، ويقع في وسط الغابات، ولا يقود إليه سوى طريق ضيق واحد تحفه الأشجار من الجانبين.

تساءلت **لوميكي** إن كان لهذا البيت موقع محدد على الخريطة. فهناك أماكن يريد لها أناس معينون أن تبقى سرية بشكل تام، ولديهم وسائل تساعدهم على تحقيق ذلك.

بدأت **لوميكي** تشق طريقها عبر البوابة، وهناك وجدت الحراس يستوقفون الناس ويطلبون منهم إبراز شيء ما. فحاولت أن تتقمص بقدر المستطاع الشخصية التي تلعب دورها؛ أي دور غانية من الطبقة الراقية.

عندما حان دور **لوميكي**، تقدمت وتجاوزت الحراس بكل ثقة، ولكن ببطء؛ محافظة على استقامة مشيتها.

فقال لها أحد الرجال الضخمين: "توقفي". مكرراً كلامه بكل من اللغتين الفنلندية والإنكليزية.

فقفز قلب **لوميكي**. أهنا سينتهي الأمر؟

طالبها الحارس وهو يمد يده: "الهاتف الخليوي".

زمت **لوميكي** شفتيها، ثم أخرجت هاتفها الخليوي من حقيبتها، وأقحمته بانزعاج في راحة يد الرجل الضخمة الممدودة. وقد يظن من يرى استياءها أنه غرض قيم، ولكنه في الواقع ليس إلا هاتف **إليزا** القديم المعطوب. فوضع الحارس الهاتف في حقيبته التي أظهر صوت القعقعة الصادر منها أنها تحتوي على أكثر من بضعة هواتف. وبعد ذلك، قام بدون أي طلب للإذن بالإمساك بحقيبة **لوميكي** وتفحص محتوياتها، ثم إعادتها إليها بغلظة.

أشار إلى **لوميكي** برأسه بحركة بالكاد يمكن ملاحظتها ليسمح لها بالمرور. فتمنت ألا تتخاذل ساقاها تحتها من شدة البرد والتوتر، وحاولت أن تبقي رأسها مرفوعاً وهي تمضي في طريقها، ولكنها وجدت المشي على الطريق الجليدي بالكعب العالي تعذيباً صرفاً؛ على الرغم من الحصى المفروشة بعناية في الأنحاء.

خطوة بعد خطوة بهدوء.

دخلت **لوميكي** مكاناً يسود فيه الظلام. فالتمست طريقها على طول مسار مضيء تحفه من الجانبين أضواء يرتعش لهبها في مهب الرياح. وفي نهاية الطريق، وجدت باباً يقف بجانبه كبير خدم قديم الطراز يتميز مظهره بشعر أملس مسرح للخلف، وقفازين أبيضين

قصيرين، ولغة من الإيماءات التي توحي بالتفوق والكياسة الخانعة في الوقت نفسه. انحنى الرجل انحناءة بسيطة، ثم فتح **للوميكي** البـــاب، فخطت إلى الداخل.

لقد نجحت.

وها قد تمكنت أخيراً من الولوج إلى حفلة الــدب القطبـــــي. والآن، كل ما بقي عليها فعله هو أن تكتشف مدى تورط والد **إليزا** في أعمال تلك العصابة الإجرامية.

21

عالم آخر وحقيقة أخرى.

ألوان وأضواء وأصوات. ضوء أزرق يتغير في لحظة إلى أخضـــر وأصفر، وآخر برتقالي يتحول إلى ذهبـــي متموج، وضوء بنفسجي يتحول إلى أكاليل من ألوان الخمري والليلكي والفوشيا. الموســـيقا، وغناء الحوريات، وآهات الغابات ورنـــين الكريســـتال، وأصـــداء الكهوف العميقة المنسية، وعزف الأوركسترا في القصور والقـــلاع، وقرع الأجراس الصغيرة؛ كل هذه الأشياء تندفع نحو المـــرء بقـــوة، وتباغته من الخلف، وتختفي ثم تعود من جديد.

بلاد العجائب!

مكبرات صوت، وأضواء تضفي بكل احتراف على كل مـــن الغرف الكبيرة مظهرها المميز. خرجت **لوميكي** من غابة داكنة تعج بالأسرار، إلى غرفة رقص فضية لها جدران تمتدّ أمامها أكاليـــل مـــن الورود الطبيعية. دخلت مملكة تحت البحر، واختلســـت النظـــر إلى حجرة من الخشب فيها كراس مختلفة الأحجام.

سحرتها المظاهر الخادعة بالكامل؛ لدرجة أن بضع ثوان مـــرت قبل أن تبدأ برؤية تفاصيل الغرفة على حقيقتها. فقد انتشـــر النـــدل والنادلات في كل مكان حاملين الصواني. فقد كانت كل غرفة تقدم

مشروبات مدهشة تناسب موضوع الحفلة. فبعضها يتصاعد منه البخار، والبعض الآخر تتغير ألوانه من الأرجواني في الأسفل إلى الأزرق الفاتح في الأعلى. وكان بعض أفراد الطاقم يرتدون ملابس تشبه شخصيات القصص الخيالية، والبعض الآخر يرتدون ملابس لامعة وكأنهم تماثيل حية مطلية بالذهب.

تجول الضيوف من غرفة إلى أخرى وكؤوس الشراب في أيديهم. وفي غمرة الأصوات والضوضاء، استطاعت **لوميكي** أن تميز عدة لغات؛ منها على الأقل الفنلندية والإنكليزية والسويدية والروسية. وخُيل إليها أنها سمعت بعض المتحدثين باللغة الإسبانية على حد سواء، ولكنها لم تكن واثقة من ذلك. بدت معظم النساء على شاكلتها بالضبط، أي شابات ومطليات كالدمى، ولا يعرفن أحداً من المدعوين الآخرين. كان **كاسبر** محقاً في ما قاله. فالكثير من هؤلاء الفتيات كن مأجورات. أما الضيوف الحقيقيون، فقد لاحظت أن معظمهم من الرجال في منتصف العمر، وبينهم عدد قليل من الكبار في السن والشبان. وصادفت بين الحين والآخر بعض الأزواج. فقد ميزت "الجميلة النائمة" بصحبة أميرها، ولكنها بدت ذابلة الوجه بعض الشيء. ففكرت **لوميكي** أن القليل من النوم الجمالي قد يفيد كلاً منهما؛ إن لم يكن لمائة سنة كاملة، فلبضع ساعات على الأقل.

بدت وجوه بعض الضيوف مألوفة **للوميكي** بشكل غامض. ترى، هل هم سياسيون أم رجال أعمال؟ من الصعب أن تحدد.

حاولت **لوميكي** بسرعة أن تتخيل كيفية ارتباط الأماكن ببعضها. فمن الواضح أنهم حجزوا طابقين كاملين لمدعوي الحفلة، بينما خصصوا غرف الطابق الثالث للاستراحة. أما القبو، فقد تم

تخصيصه لطاقم الخدم؛ فذلك هو المكان الذي رأت الطاقم يأخذ إليه الصواني الفارغة ثم يعود منه بالصواني الممتلئة.

"لا أتخيل أن بوسعي أن أقدم لك إحدى هاتين الكأسين، أليس كذلك؟".

التفتت **لوميكي** ورأت رجلاً يحمل كأسين، ويوجه كلامه إليها على ما يبدو. كان شعره تغطيه مسحة من الشيب، ولكن معظم الناس قد يدعونه بالرجل الوسيم. فقد كان يتمتع بحاجبين داكنين وعينين بنيتين ويرتدي بذلة أنيقة وملائمة. استطاعت أن ترى بطرف عينها أن البطاقة المتروكة عن قصد تدل على ماركة **هيوغو بوس** (وتعني الرئيس). إذاً، أراد أن يدفع مبلغاً باهظاً ثمناً لبذلته، ولكنه ظل تقليدياً في ما يتعلق بالماركات. بدا هذا الأمر مناسباً لمظهره العام. أما عمره، فقد خمنت **لوميكي** أنه يكاد يكون في عمر جدها.

انحنى الرجل نحو **لوميكي**، فكبحت رغبتها في الابتعاد عن رائحة السيجار وعطر ما بعد الحلاقة؛ وهما من ماركة **هيوغو بوس** على حد سواء. على ما يبدو، أراد الرجل أن يؤكد ثلاث مرات على حبه للترؤس والسيادة.

قال الرجل ببطء، وكأنه يتفوه بسر خطير ما: "لسوء الحظ، إنه عصير التفاح، وهذا ما أظنه ساماً بالنسبة لشخصية "بياض الثلج"".

ارتسمت ابتسامة توحي بالرضا عن النفس على وجه الرجل الذي لفحته الشمس. فمن الواضح أنه ظن نفسه خارق الذكاء.

نقبت **لوميكي** في مخزونها من تعابير الوجوه، وآثرت أن ترسم على وجهها ابتسامة تتسم بشيء من الغباء والسذاجة وتوحي بالغزل والإطراء.

"نعم، فنحن حساسات بعض الشيء تجاه التفاح. ولكـــن، إن وجدت لي شيئاً لطيفاً وقوياً وحلو المذاق، فعندئذ يمكننا أن نتحدث أكثر".

فقال الرجل: "أنتِ تريدين شراباً لذيذاً وباعثاً على الــدفء في ليلة باردة كهذه الليلة". ووضع يده على ذراع **لــوميكي** في إيمــاءة مداعبة.

كانت يده باردة ورطبة، فكبحت **لــوميكي** ارتعاشــها مــن الاشمئزاز، واكتفت بالشعور بالقرف في سرها.

"لقد قرأت أفكاري".

فقال الرجل: "طلباتك أوامر. لا تذهبــي إلى أي مكان".

أجابت **لوميكي**: "سأحاول ألا أتوه في الغابة وإلا انتهى بــي المطاف خادمة لسبعة رجال قصار القامة".

فاتسعت ابتسامة الرجل، وقال وهو يغمزها بعينه: "وإن حاول أحد أن يلبسك مشداً ضيقاً جداً، فأنا أعدك بأن أخلعه وأنقذك منه".

حسناً الآن، لا بد أن هذا النمر الرمادي يحفظ قصص الأخوين **غريم** عن ظهر قلب، ولكن معرفته بالقصص الخيالية لم تكن ستسجل له أية نقاط مع **لوميكي**، أو تقوده إلى أي نوع آخر مــن تســجيل النقاط. راقبت **لوميكي** كتفي الرجل العريضــتين وهــو يبتعــد، ثم تسللت هاربة إلى الطابق العلوي.

نظر **تيرهو فيسانين** متأملاً المكان حوله، فلم يجد أي دليل على وجود **ناتاليا**. وشعر أن ربطة عنقه ضيقة بشكل غير مريح، فأرخاها قليلاً.

جعل بعض الضيوف حاجبيه يرتفعان دهشة. ما الذي أتى به إلى هنا؟ أيعقل أن يتواجد في هذا المكان؟ فكر أنه من الممكن لخبر كهذا إن عرف به أحد أن يملأ صفحات الصحف الوطنية وبعض مجلات الثرثرة. شاهد أحد السياسيين المعروفين يغازل فتاة متنكرة بزي شخصية **تينكر بيل**، وهي لا تبدو مرتاحة له على الإطلاق.

أدرك **تيرهو** أن لا أحد سينبس بحرف حول هذه الحفلة. فقد اعتاد رجال الدب القطبي القضاء على كل من يشي بهم. وليس على الوشاة وحدهم فقط، بل حتى على عائلاتهم وأقاربهم وأحبائهم وأصدقائهم. وكان الجميع يعرفون هذه الحقيقة، وهذا ما جعلهم يتوخون الحذر، خشية أن يصبحوا عبرة لمن اعتبر.

شاهد شابة ترتدي زي شخصية "بياض الثلج"، ولاحظ أن فيها صفة مألوفة بشكل غامض. ألا تملك **إليزا** ثوباً يشبه ثوبها إلى حد كبير؟ حسناً، على ما يبدو كانت موضة ذلك الفستان شائعة، ولم يكن ثوباً فريداً من نوعه كما حاولت البائعة أن توهمهم؛ وهذا مثال آخر على أن المرء لا يحصل دائماً على ما يريده؛ حتى مقابل المال.

ومع ذلك، ظل بوسعه أن يحصل على القليل مقابل المال ليجعل حياته تستقيم، وهذا هو السبب الذي دفعه للحضور إلى هنا.

رغم أن غرف الطابق الأول كانت بغاية الجمال، فقد وجدت **لوميكي** عوالم القصص الخيالية السحرية في الطابق الثاني مليئة بالكوابيس المتوحشة المستوحاة من القصص نفسها. فهناك أشجار تمسك أطرافها بالمارة كالأيدي وجنيات مستنقعات يستخدمن أغانيهن السحرية ليستدرجن الرجال إلى حفر لا قرار لها، ونوم لا يمكن حتى لأي قبلة فكّ سحره.

دخلت غرفة سوداء تحوي رسوماً توهم بوجود غربان تطير وتنشب مخالبها الحادة بكل من يقترب منها. فأوشكت أن تنحني لتتجنب تلك المخالب الخيالية التي حاولت الإمساك بشعرها.

داخل الغرفة، وجدت نادلين بملابس سوداء يحملان صواني فضية عليها كؤوس شراب صغيرة مليئة بشراب أسود اللون. راح النادلان يتحدثان لبعضهما متهامسين، فأرادت **لوميكي** أن تسمع ما يدور بينهما من حديث، لذا توقفت بالقرب منهما متظاهرة أنها تريد أخذ كأس شراب.

سأل أحد النادلين: "أين الدب القطبي؟".

"ألم تسمع أنه لا يأتي حتى منتصف الليل؟".

""هو" لا يأتي؟! ظننت أن...".

رمق النادل زميله بنظرة تحذير، ومد صينيته الفضية نحو **لوميكي**، فأخذت كأساً وابتسمت، وأدارت لهما ظهرها.

همس النادل: "لدى الدب القطبي قاعدة صارمة تفرض على الجميع أن يشيروا إليه بهذه الصيغة".

أمالت **لوميكي** الكأس حتى لامس الشراب شفتيها، وفكرت بما سمعته، ثم ألقت نظرة خاطفة نحو الساعة المزينة والمعلقة على الجدار، ووجدتها تشير إلى التاسعة وخمس عشرة دقيقة. كانت لا تزال هناك ثلاث ساعات تقريباً قبل حلول منتصف الليل.

لم يخلُ حديث النادلين من شيء من الغموض. فلماذا أشارا إلى الدب القطبي على أنه "هو"؟ غريب! ومع ذلك، فقد ظنت أن السر سينجلي بحلول منتصف الليل.

حسب ما شاهدته **لوميكي** في الحفلة، ازدادت الصورة التي شكلتها عن الدب القطبي غرابة وغموضاً. هو... هل هو رجل بالفعل على أية حال؟ هل أنفق مبالغ طائلة من المال، وصنع كل هذه المشاهد المدهشة من أجل سهرة واحدة؟! ومع ذلك، راهنت **لوميكي** أن معظم الضيوف لم يقدروا قيمة هذه الغرف الفخمة. فقد كان كل ما يهمهم هو ألا ينفد الشراب، وأن تكون الفتيات جميلات وراغبات بالمغازلة.

حيوانات بملابس رسمية!

كأن بذلة بألف يورو، وساعة بعشرين ألف يورو تمنح الإنسان الرقي أو الحق في التصرف كما يحلو له! إن كنت تملك المال، فليست هناك قوانين. وإن لم تكن هناك قوانين، فأنت الملك.

وفجأة، شعرت **لوميكي** بالغثيان وأرادت أن تعود إلى البيت في الحال. وبدلاً من الكعب العالي، أرادت أن تنتعل الخف الرمادي الذي نسجته لها جدتها بيديها. حتى إنها تمنت أن تعد لنفسها كوباً من الشاي؛ رغم أنها لطالما اعتبرته مجرد شراب دافئ لا طعم له، ولكنه على الأقل سيشعرها بالدفء والحميمية ويذكرها بورق الجدران المزين بالزهور، وبيدي جدتها الحانيتين وهما تضفران شعرها.

لعقت **لوميكي** شفتيها. شراب قوي بنكهة السوس؛ كما توقعت بالضبط! فخفف طعمه من حدة غثيانها.

تذكري أنك لست هنا بشخصيتك الحقيقية، وأن هذه الشخصية ليست شخصيتك. إنسانة أخرى هي التي تمشي في هذه الغرفة بحذاء أبيض عالي الكعب وفستان سهرة أحمر. ولا يمكن لأي من هذا أن يمسك بسوء.

استقامت **لوميكي** في وقفتها، فهي لم تأتِ إلى هنا لتقضي وقتاً ممتعاً، بل لتؤدي مهمة محددة ثم تعود إلى بيتها.

22

لم تكن **ناتاليا** دافئة. فقد مضت عليها 128 ساعة فقط وهـــي ميتة. إن مائة وثماني وعشرين ساعة تعتبر وقتاً قصيراً بشـــكل مـــثير للضحك عندما يكون الشخص على قيـــد الحيـــاة. أمـــا في عـــالم الأموات، فهو حتى أقصر من ذلك. لقد عاشت **ناتاليا** عشرين عامـــاً وثلاثة أشهر ويومين، ولكنها ستبقى ميتة إلى الأبد. وبالنسبة للأبدية، فمدة 128 ساعة وقت لا يستحق الذكر على الإطلاق.

لو أن **ناتاليا** عادت إلى الحياة مرة أخرى، ترى، هـــل كانـــت ستتمنى أن يعود بها الزمن إلى اللحظة الـــتي اتصـــل بهـــا **بـــوريس سوكولوف** للمرة الأولى؟ قابلته **ناتاليا** بضع مرات وهـــي بصـــحبة صديقها في تلك الفترة؛ وهو تاجر مخدرات اسمه **ديمتري**، ويعـــرف طبيعة عمل **سوكولوف** كأحد الزعماء في عالم العصابات. فرغم أنه لم يكن زعيماً من المستوى الرفيع، إلا أن ذلك لم يحُـــل دون تمتعـــه بنفوذ واسع. دعا **سوكولوف ناتاليا** للانضمام إلى فريقه والتعـــاون معه. فعلى ما يبدو، كان بحاجة إلى شابة حسنة المظهر وذات عقـــل منفتح وواعٍ لا يعاني من تأثير أي من المشروبات أو المخدرات.

ولكن، هل كانت تفضّل المضي في طريق مختلف؟ لو أنها لم ترد على **سوكولوف** بالإيجاب، لما حضرت إلى **فنلندا** قط، ولما قابلـــت

تيرهو فيسانين ثم حاولت أن تهرب وبحوزتها النقود وتلقت تلك الرصاصة في بطنها، ولما تمددت جثتها الآن في حرارة ثماني عشرة درجة تحت الصفر، وعيناها تحدقان بالظلام وشفتاها الزرقاوان منفرجتان وكأنها تريد أن تهمس شيئاً ما.

لو أن **ناتاليا** عرفت كل هذا في وقته، لرفضت العرض بكل تأكيد. ولكن كل ما عرفته في ذلك الوقت هو أنها لا تريد أن تربي ابنتها في شقة تفوح منها رائحة العفن، وجدرانها رقيقة كالورق المقوى حيث يمكن للمرء أن يسمع منها شجارات الجيران وأصوات حفلاتهم الصاخبة، لذا وافقت على العرض. وفي الأسبوع نفسه، رتب **سوكولوف** إجراءات حياة أفضل **لناتاليا** وأمها وابنتها **أولغا**.

مرت سنة عملت فيها **ناتاليا** ببيع المخدرات للشابات الثريات في مدينة **موسكو** وهي تشعر أنها واحدة منهن؛ أي شابة وثرية وجميلة.

كان من الممكن للحياة أن تبقى جميلة وتستحق العيش، ولكن **ناتاليا** تعلمت في سنواتها التسع عشرة أنه كلما بدا كل شيء على ما يرام، فهناك ما سيفسد الأمر في نهاية المطاف. وهذه المرة، صدر لها الأمر بالمغادرة إلى **فنلندا** لتدير العمل هناك مع **سوكولوف**. فتخيلت أن المطاف سينتهي بها في **هيلسنكي** حيث يكون الهرب بالطائرة إلى ديارها أمراً سهلاً نسبياً. ولكن، بدلاً من ذلك، توجب عليها الانتقال إلى **تامبيري** التي وجدتها مدينة صغيرة وبعيدة. وكان **سوكولوف** قد أمضى من قبل نصف حياته في **موسكو** والنصف الآخر في **تامبيري**، ولكنه في ذلك الوقت قرر أن ينتقل إلى **فنلندا** بشكل دائم.

إنها أوامر الدب القطبي؛ هذا ما قاله لها **سوكولوف**، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تسمع فيها **ناتاليا** أي ذكر للدب القطبي. وفي وقت لاحق، تمت دعوتها لحفلات الدب القطبي، حيث أدركت أن دورها صغير بالفعل وسخيف في الخطة الكبيرة لتلك العصابة. فقد عرفت أنها مجرد شخص ثانوي يمكن الاستغناء عنه أو استبداله في أية لحظة.

شعرت **ناتاليا** في **تامبيري** أنها تعيش في أرض غريبة عنها. ولم يكن مظهرها وملبسها مناسبين لمحيطها. فقد بدا معطفها المصنوع من فراء الأرانب، وجزمتها ذات الكعب العالي مظهراً مبالغاً به. وأخذ الناس يحدقون بها في الشارع، وحاول بعض الرجال أن يعرضوا عليها المال؛ ولكن ليس مقابل المخدرات بل مقابل المتعة. وفي بعض الأوقات، فكرت **ناتاليا** بمرارة أن الطريقة الوحيدة التي قد تساعدها لئلا تبدو غريبة عن السكان المحليين هي أن ترتدي بذلة ثلج في الشتاء، وبذلة رياضية في الربيع والخريف، وأن تقضي فصل الصيف جالسة في ساحة **تاميلا** وهي تأكل النقانق وتعتمر قبة بيسبول وتنتعل صندلاً رخيصاً.

لم تكن تعرف أحداً في المدينة باستثناء **سوكولوف** ورجله الإيستوني. وفي البداية، اعتادت أن تتصل بالديار كل يوم وتصغي إلى صوت طفلتها الصغيرة **أولغا** ثم تبكي حتى تنام.

في بعض الأحيان، اعتادت أن تتأمل وجوه طلاب المدرسة الثانوية الفنلنديين. فوجدتهم أشبه بأطفال صغار بالنسبة لها؛ رغم أنها لم تكن أكبر منهم بأكثر من عام واحد. فتساءلت عمّا سيكون عليه شعورها إن عاشت حياة مثل حياتهم، حيث تذهب إلى المقهى بعد

المدرسة لتناقش صديقاتها عمّا يعنيه شاب وسيم بكلامه لها أو ما قد تطلبه المعلمة في اختبار التاريخ القادم، وتفكر ملياً بخيارات دراستها في المستقبل، أو تفكر بأخذ إجازة لمدة سنة قبل الكلية، وتحلم بالانتقال للعيش وحدها وشراء إبريق شاي خاص بها وترتيب سريرها بتلك الملاءات التي أهداها إياها جداها بمناسبة تخرجها، وأن تعيش أزمة وجود كبقية الشباب والشابات حول هدفها في الحياة ومستقبلها.

وفي تلك الفترة، قابلت **ناتاليا تيرهو** فوجدته مختلفاً كل الاختلاف عن **سوكولوف** والإيستونيين، رغم أن **سوكولوف** قال إنه "واحد منهم"، أي تحري من مكافحة المخدرات متورّط في عالم الجريمة.

تيرهو، ويداه القاسيتان، والعاطفة التي شعرت بها **ناتاليا** نحوه منذ لقائهما الأول. لطالما أحبت خجله ورقته وحيرته، وكيف يتكلم معها، وكيف يلمسها. وشعرت أنه مختلف عن أصدقائها السابقين وكل الرجال الآخرين الذين تعمدوا حشرها في القالب الذي يريدون لها أن تكون فيه، وتشكيلها وتغييرها على هواهم.

ترى، هل أحبته؟ على الأقل، شعرت أن ما جمع بينهما حب حقيقي. فقد حظيت معه بالأمان والطمأنينة. تحدث **تيرهو** معها عن بيته وعائلته وحياته الطبيعية، فشعرت **ناتاليا** أنها تريد حياة من ذلك النوع، لا أن تعيش حياتها بتلك السرية والخوف. لقد وعد أن يرتب حياة كريمة **لناتاليا** ويساعدها. وظلت **ناتاليا** تصدقه لوقت طويل، ولكنه لم يفعل شيئاً، بل اكتفى بقطع الوعود الفارغة لها ككل الرجال الذين مروا في حياتها.

كلمات تحولت إلى أكاذيب منذ اللحظة التي غادرت فيها أفواههم.

كان يجب على **ناتاليا** أن تتعلم بحلول ذلك الوقت ألا تثق بأحد سوى نفسها، وأن تتخذ قراراتها الخاصة بمفردها وتتحمل نتائجها.

ولهذا السبب، قررت أن تأخذ الثلاثين ألف يورو المخصصة **لتيرهو** من بيت **سوكولوف** وتختفي. وهكذا، وضعت خطة لهربها؛ فسرقت مفتاح **سوكولوف** الإضافي من دون أن يلاحظ ذلك، ورتبت لمخبأ لها في الريف، وتوقعت أن تمضي الأمور بسهولة ويسر. ويوم الأحد، كان يفترض **بسوكولوف** والإيستونيين أن يتغيّبوا حتى المساء، ولكنهم عادوا إلى البيت في وقت مبكر، ولهذا السبب أصبحت **ناتاليا سميرنوفا** الآن جثة هامدة ممددة في الظلام.

لقد تحملت نتائج قراراتها، ولكن تلك النتائج أتت أثقل مما كان من الممكن لها أن تتخيل على الإطلاق.

لقد عاشت **ناتاليا** حياة كانت عبارة عن سلسلة من القرارات الخاطئة التي يبدو من المستحيل تجنبها أو تفاديها. فقد ظنّت أن تلك القرارات الخاطئة صائبة بعد أن قُدمت لها على طبق من ذهب تفوح منه رائحة الورود، ولكنها لم تنظر تحت الطبق أو خلف الشخص الذي يحملها وترى الثلج الأبيض الملطخ ببقع من الدم.

لهذا السبب تمددت جثة **ناتاليا سميرنوفا** الآن في الثلاجة من دون أن تشعر بوخز الصقيع.

بالضبط كما ظلت ممددة لمائة وثمان وعشرين ساعة.

ولكن، حتى في موتها، لم يكن بوسعها أن تحظى بالسلام بعد. فقد ظل **بوريس سوكولوف** يخفي لها مهمة أخرى.

23

أسرعت **لوميكي** في النـــزول إلى القبو، وراحت بـــين الحـــين والآخر تلقي نظرة خاطفة إلى الخلف لتتأكد أن الرجل لم يلحق بها. الحمد لله! فقد تمكنت من التخلص منه.

قبل هربها إلى القبو، وبينما هي تقوم بتذوق أصناف الأطعمـــة الشهية المتنوعة في البوفيه، باغتها الرجل الذي بادرهـــا بـــالكلام في وقت سابق وطالبها بتفسير لاختفائها.

فأجابت بغنج: "إن أساليب النساء غامضة في بعض الأحيان".

فاقترح الرجل عليها أن ينتقلا إلى الطابق العلوي ليتحققا معـــاً من خدعها الأنثوية بمزيد من العناية. عندها، توسلت إليه **لـــوميكي** كي يدعها على الأقل تأكل شيئاً، ولكن الرجل وضع يديـــه علـــى خصرها، وقال إنه من العار عليها أن تفسد خصراً نحيلاً وجميلاً مثله بالشراهة الزائدة. فأجابت **لوميكي** بأنها لم تتناول أي طعام طـــوال اليوم، وأنه يفضل على الأرجح ألا يغمى عليها من شـــدة الجـــوع. فضحك الرجل من كلامها، وقال: "إنك على الأرجـــح تصـــبحين كالقطة البرية حالما تجوعين".

نعم، وسوف أقتلع عينيك من محجريهما بمخالبـــي؛ هذا مـــا فكرت به **لوميكي** في سرّها، ولكنها اكتفت بالرد بمـــواء خافـــت.

وبعد ذلك، أعطته طبقها ليمسكه، وقالت إنها ذاهبة لتعدل تبرّجها. فوقف في مكانه والشعور بالرضى بادٍ عليه وهو يتخيل على ما يبدو أنه يملك ضمانة لا يمكن **للوميكي** أن تمضي بدونها. ذلك الأحمق!

حالما نـــزلت إلى القبو، نظرت **لـــوميكي** في أنحـــاء المكـــان، فوجدت مقابلها مطبخاً كبيراً، وأدركت من الأصوات الصادرة منه أن الطهاة يعملون فيه بلا كلل لإعداد أطباق جديدة للضيوف. فقد سمعت صوت غليان الزيت في المقالي، والسكاكين وهي تُقطّع علـــى الألواح، وصياح الطلبات في غمرة كل تلك الجلبة. وبعـــد ذلـــك، خرج سيل من الندل والنادلات عبر الأبواب المتأرجحـــة حـــاملين الكثير من الصواني والأوعية والأطباق الكبيرة. فتنحت **لوميكي** بعيداً عن الأنظار متأملة سيل الطعام المتدفق من المطبخ.

استطاعت أن تلمح والد **إليزا** عدة مرات فقط، ولكن كلمـــا حاولت اللحاق به اختفى عن الأنظار.

وفجأة، سمعت من أحد الممرات القريبة صوت **تيرهو فيســـانين** وهو يتحدث باللغة الإنكليزية إلى شخص ما. وبدا الصوت الآخـــر مألوفاً أيضاً، ولكن **لوميكي** لم تستطع أن تتذكر أين سمعته من قبل.

اقتربت الأصوات منها، فأدركت **لوميكي** في تلك اللحظة أنها سمعت صوت الرجل الآخر عندما تعرضت للمطـــاردة في الغابـــة. الرجل الروسي!

فكرت **لوميكي** للحظة. ترى، هل ينبغي عليها أن تبقى ساكنة وتتظاهر أنها تائهة أو فضولية وأن هذا هو السبب في نـــزولها إلى القبو؟ لم يكن أي من الرجلين سيتعرف إلى شخصيتها. ومع ذلـــك، أيقنت أنها ستلفت الانتباه بسبب وقوفها بذلك الشكل الواضـــح في

المكان الخطأ، وهذا ليس أمراً جيداً لأنها لم تكن بالفعل تريد لأي من أولئك الناس أن يميزها في وقت لاحق في الشارع.

جربت **لوميكي** فتح أقرب باب إليها، ثم اختلست النظر إلى الداخل بحرص ولم تجد أحداً في الغرفة. فكل ما رأته هو بضع مجمدات كبيرة وصناديق بلاستيكية مكدسة تحتوي على مشروبات. وعلى الأرجح، كانت هذه غرفة تخزين إضافية. فتسللت إلى الداخل، وانتظرت **فيسانين** والروسي ليمرا من أمام الباب.

ولكنهما لم يفعلا، بل توقفا بدلاً من ذلك عند الباب.

سمعت الروسي يقول باللغة الإنكليزية: "لدي شيء أريد أن أريك إياه".

نظرت حولها، فلم تجد باباً خلفياً أو مكاناً للاختباء. ولم يعد لديها مكان يمكنها الذهاب إليه، ولا وسيلة للخروج.

لا مكان سوى المجمدات.

فتحت غطاء أقرب صندوق ثم حبست أنفاسها وأغلقته بسرعة.

تصاعد القيء إلى حنجرتها، وارتجفت يداها وساقاها. ومع ذلك، لم يكن هناك وقت يسمح لها بالوقوف والتفكير بما رأته للتو. ورغم كل ما امتلأت به الحفلة من ديكورات غريبة، إلا أن محتويات تلك المجمدة كانت حقيقية. ألقت **لوميكي** نظرة خاطفة إلى المجمدة التالية وتنفست الصعداء، إذ لم تجد فيها سوى بعض أكياس البازيلاء المجمدة في قعرها. فأطفأت المجمدة على الفور. ورغم أنها أدركت أن ذلك لن يشكل أية مساعدة لها، إلا أنها على الأقل لم تكن ستفقد كل حرارة جسمها بسرعة بينما تحاول المجمدة أن تبرد خمسة

وخمسين كيلوغراماً من اللحم دخل إليها فجأة من 36.3 درجة مئوية إلى -18.

رأت **لوميكي** الباب يتحرك، فدخلت المجمدة، وجلست القرفصاء في أكثر وضعية مريحة تمكنت من التوصل إليها، ثم أغلقت الغطاء في اللحظة التي همّ فيها الرجلان بدخول الغرفة.

بدأ البرد ينهش جسدها في الحال. على ما يبدو، لم يكن بوسعها التخلص من درجة الحرارة المتجمدة في الداخل. لا بد أن هذا الشتاء كان ملعوناً.

نفد صبر **تيرهو فيسانين**. فهو لم يعد يقوى على تحمل لعب ألعاب **بوريس سوكولوف** بعد الآن، ولكنه أراد أن يحظى بمتسع من الوقت ليصقل استراتيجيته الرامية لإقناع **الدب القطبي** بحاجته إلى انسحاب ملائم. كل الإشاعات كانت تقول إنّ أحداً لا يمكنه أن يهدد **الدب القطبي** أو يبتزه. لم ينجح أحد في ذلك قط، مع أن هناك الكثيرين ممن جربوا حظهم.

إذاً، توجب عليه أن يفاوض.

سأل **تيرهو** مواصلاً التحدث باللغة الإنكليزية: "أين **ناتاليا**؟".

فكشر **بوريس سوكولوف** عن أنيابه، وأجاب قائلاً: "هذا بالضبط ما أريد أن أريك إياه. إن ملكة الثلج هنا".

نظر **فيسانين** بدهشة بينما فتح **سوكولوف** غطاء أقرب مجمدة.

سمعت **لوميكي** صوتاً يدل على الغثيان صدر من والد **إليـــزا**، وأدركت أنه شاهد ما شاهدته. وكانت الصورة على الأرجح قـــد حفرت في شبكية عينيها طوال حياتها لتصبح مادة دسمـــة لكـــوابيس المستقبل.

شابة ممددة في المجمدة باردة وميتة.

عينان مفتوحتان، ووجه مزرق اللون، ودم جاف على شفتيها، وحفرة كبيرة في معدتها.

سمعت **لوميكي** والد **إليزا** وهو يسأل بصوت متهدج: "ماذا... ما الذي فعلته لها؟".

"ظننت أن شرطياً مثلك معتاد على رؤية الجثث".

"ولكن، لماذا؟".

"هل تحاول فعلاً أن تقنعني بأنك لا تعرف؟ لقد حاولت **ناتاليا** أن تهرب بالنقود؛ نقودك. نقودنا. فمنعناها. لا بد أنك خمنت ذلـــك عندما حصلت على الكيس المليء بالنقود الملطخة بالدم".

"عن أي نقود تظل تحدثني؟".

"تعويضك".

"تباً! قلت لك إن النقود لم تصلني قط".

"هذه مشكلتك وليست مشكلتنا. لقد قمنا بتوصيلها في الثامن والعشرين من شهر شباط حسب اتفاقنا. نحن نرسلها ثلاث مـــرات في السنة؛ في اليوم الذي تقترحه بنفسك، ولكننا هذه المرة أخـــذناها إلى بيتك بدلاً من أن نخفيها في الغابة، وظننّا أنك ستقدر لنـــا هـــذه الخدمة الجيدة".

"هذا مثير للاشمئزاز".

"هذه هي الحقيقة. لا يمكننا أن ندع **ناتاليا** تهرب بـالنقود. إن خسارة ثلاثين ألف يورو قد لا تؤذينا، ولكن إمكانية إبلاغها عنـا ستفعل ذلك".

"لا أريد...". وبحث والد **إليزا** عن الكلمات الملائمة، ثم قال: "لا أريد أن تكون لي أية علاقة بك أو برجالك بعد الآن. أبداً. هـل هذا واضح؟ لم يكن من المفترض لهذا أن يحدث؟ لم يكن من المفترض أن يموت أحد؟".

"آه، ولكن الناس يموتون. أولاً **ناتاليا**، ثم **فيفو**".

"**فيفو تام**؟".

"رجال **الدب القطبـي** هم الذين فعلوا هذا، ولكنها ليسـت مسألة مهمة. فأحياناً تقع أشياء من هذا القبيل. ينبغـي عليـك أن تتحلى مثلنا بالحرفية حيال شؤون العمل. هناك خسارات تحـدث في كل مكان؛ فالشحنات تختفي، والنقود تسرق، والناس يموتون. كـل هذا جزء لا يتجزأ من العمل".

"أحاول أن أتحلى بالحرفية؟! الحرفية؟! تباً لك. لقد قتلت امرأة!".

سمعت **لوميكي** صوت **تيرهو فيسانين** يتهدج، وبدا على حافة الهيستيريا. وبدأت تشعر بأصابعها تصبح خدرة بعـد أن تخـدرت أصابع قدميها. لحسن الحظ، بقيـت لـديها كميـة كافيـة مـن الأوكسجين في المجمدة؛ حتى تلك اللحظة فقط.

"لقد صرفت موظفة غير جديرة بالثقة. دعني أعطيك نصـيحة صغيرة يا **تيرهو فيسانين**. فكر مرتين قبل أن تبدأ بإساءة التصـرف معي. فكل مع عليّ قوله كلمة واحدة ويكون مصيرك التمدد هنـاك إلى جانب جثة حبيبتك. وربما أفعل هذا بنفسي".

ضحك **فيسانين**، ولكن ضحكته عبرت عن شيء من اليأس، فقال: "ولكنك بحاجة إليّ. لقد احتجت إليَّ منذ عشر سنين وحتى الآن".

"لقد نجح تعاملنا معاً بدون أية أخطاء. فأنت زودتنا بالمعلومات التي تفيدنا، ونحن كشفنا لك عن المعلومات التي تفيدك. وهكذا، نمت تجارتنا بالمخدرات، بينما أصبحت إحصائيات فرقة مكافحة المخدرات التي تترأسها في أفضل حالاتها منذ وقت طويل. هذه علاقة مصالح. أنت من يجب عليك أن تشكرني للترقية التي حصلت عليها. ولكن، أصغ إليّ يا **تيرهو فيسانين**. إنني لست بحاجة إليك، فأنت مجرد حشرة تافهة بالنسبة لي. إذ يمكنني العثور على مخبر جديد في أي وقت إن أردت ذلك".

"من الجيد سماع هذا، لأنني أنهيت العمل معك".

"أنا أقرر ذلك".

"كلا، يا **بوريس**. لن تسير الأمور كما يحلو لك أن تسير. ما سيحدث هو أنني سأنسحب من دون أن تتمكن من فعل أي شيء حيال هذا".

أصغت **لوميكي**، بينما امتدت فترة الصمت بين الرجلين حتى أصبحت غير مريحة.

فقال **سوكولوف** أخيراً: "حسناً، إن أردت أن تنسحب فعلاً، فكيف يمكنني أن أكون واثقاً من أنك لن تشي بنا".

"ليس أمامك إلا أن تثق بي".

"كلا، بل سأخبرك أنا بما سيحدث. يمكنني أن أثق بك لأنك إن نكثت بوعدك، فسوف تجد ابنتك الجميلة التي تنتظرك في البيت ممددة في مجمدة منزلك مثل **ناتاليا**".

"أيها الوغد".

سمعت **لوميكي** صوت شجار، بينما حاول والد **إليزا** على ما يبدو مهاجمة **سوكولوف**. وبعد لحظة، سمعت صوت أنين ثم ساد الصمت.

"لم أبالغ عندما قلت لك إنني سأفعل هذا بنفسي إن احتجت إلى ذلك". وبدا على **سوكولوف** أنه متقطّع الأنفاس.

"حسناً، حسناً، فهمت. الآن، أبعد هذا الشيء عني. إنني آسف لأنني فقدت أعصابي".

"تذكر! ستجد ابنتك في مجمدة. احتفظ بهذه الصورة في ذهنك إن بدأت تشعر أنك قد تقدم على فعل شيء غبي؛ لأنني سأجعلها تتحقق بسرعة هائلة تجعل رأسك يدور. وأنت تعرف أنني رجل عند وعدي".

وبعد ذلك، سمعت **لوميكي** الرجلين يفتحان الباب ويخرجان من الغرفة.

لم تفكّر في الانتظار ولو للحظة واحدة؛ فقد بدأ البرد يخدر أطرافها بشكل خطير، وكاد الصقيع يأكل جلدها الذي لامسته جدران المجمدة. فرفعت **لوميكي** ذراعها لتفتح الغطاء.

وعندئذ، انفتح الباب مرة أخرى، فسمعت وقع أقدام شخصين تدور بينهما مناقشة حامية باللغة الفنلندية.

"لا أفهم كيف يستطيعون استهلاك هذه الكمية الكبيرة من الشراب بهذه السرعة. إنهم يمتصونه كالإسفنج".

"من الأفضل أن تعتاد على هذا الوضع. فهذه مجرد البداية. ينبغي أن ترى ما سيحدث بعد منتصف الليل".

استنتجت **لوميكي** من الحديث بسرعة أنهما نادلان.

"ما الذي نحتاج إليه أكثر من غيره الآن؟"

"الشراب الفوار. فجميعهم يشربون هذا النوع في البداية أكثر من غيره. وبعد ذلك، يبدأون باحتساء الشراب الأبيض والأحمر بالمعدل نفسه، أو ربما الأحمر أكثر بقليل في سهرة شتوية كهذه. وبعد منتصف الليل، يبدأون بالانتقال إلى مشروبات أكثر قوة. بعضهم يلتزمون بالنوع نفسه طوال الوقت، ولكن معظمهم يحبون التنوع".

أمرته **لوميكي** في ذهنها قائلة: خذ ما تريده وارحل من هنا بسرعة. اذهب وثرثر في مكان آخر.

"جميل! لقد قام أحدهم بتكديس الشراب الأحمر فوق الشراب الفوّار مرة أخرى؛ مع أنني أمرتهم بكل وضوح أن يضعوا الشراب الفوار في الأعلى والأحمر تحته. فالضيوف لا يبدأون باحتساء الشراب الأحمر إلاّ في وقت لاحق".

"هذا غير مهم. لا تضخم الموضوع. دعنا نبعدها عن الطريق".

"إنها مسألة مهمة بالنسبة لي. فالمكان برمته سينقلب إلى حالة فوضى عارمة في وجوهنا إن عجز الناس عن اتباع بعض التعليمات البسيطة. أصغ إليّ، ليست لديك أي فكرة عن الفوضى التي ستراها هنا بحلول الوقت الذي ينتهي فيه كل شيء. إنها الجحيم بعينه! سوف نحمل صناديق المشروبات بكلتا يدينا ويظل الشراب ينقصنا. من حسن حظنا أن عثرنا على بعض الشراب هنا بعد أن أثار بعض الأغبياء الفوضى".

"حسناً، فهمت. لنقم بعملنا".

شكرت **لوميكي** النادل الثاني لحسن فطنته عندما سمعت الاثنين يحركان الصناديق، ثم أصدرت القوارير صوت صليل مكتوماً.

"ليس على الأرض، فستعيق الطريق هناك أيضاً. لنضعها على تلك المجمدة".

"هل يوجد أي شيء مهم هناك؟ أعني شيئاً قد نحتاج إليه في وقت قريب؟ فمن المزعج أن نستمر بنقل هذه الصناديق الثقيلة في أرجاء الغرفة كافة".

"ليس هناك شيء مهم، ولكن بضعة أكياس قديمة من الخضار المجمدة. لقد تفقدها قبل ساعة فقط".

"ربما ينبغي عليّ أن أتأكد".

لا تفتح لا تفتح لا تفتح.

وعندئذ، خبط شيء ثقيل على غطاء المجمدة.

"هل جننت؟! كدت أن تسحق أصابعي".

"نعم، ولكنني لم أفعل ذلك. هل ستساعدني أم يجب عليّ أن أفعل كل شيء بنفسي؟".

"هدئ من روعك".

خبطة أخرى على الغطاء ثم ثالثة ورابعة. أربعة صناديق مليئة بزجاجات الشراب الأحمر!

"والآن، اذهب وأحضر صناديق الشراب الأخرى".

سمعت صوت صليل الزجاجات، بينما حمل كل من النادلين صندوقاً ثم سمعت وقع خطوات تتجه نحو الباب.

فقال أحدهم وهو يلتفت إلى الوراء: "انتظر لحظة يا صاح". ثم

سمعت وقع خطوات تتجه نحو المجمدة مرة أخرى، وصوت كبسة زر، وعندئذ عادت المجمدة تئز وتعمل مجدداً.

"لا بد أن أحدهم قد أطفأها عن طريق الخطأ. يجب أن تبقى هذه الأشياء باردة حتى لو كانت مجرد بضعة أكياس من البازيلاء".

ثم سمعت وقع خطوات تتجه نحو الباب مرة أخرى. وبعد ذلك، انفتح الباب وانغلق، فعادت **لوميكي** وحدها في غرفة التخزين؛ هذا إن لم نأخذ بالحسبان الجثة الهامدة الممددة في المجمدة الأخرى.

ومع ذلك، خشيت **لوميكي** أن تتحول سريعاً إلى مجرد جثة متجمدة ثانية إلى جانب جثة **ناتاليا**.

24

"هيا، حاول على الأقل! يجب عليك أن تطلق الرصاص على رأسه قبل أن يراك. نحن مستمرون بخسارة النقاط".

"صدقني، أنا أبذل ما بوسعي، لذا كف عن إزعاجي. إنني عاجز عن التركيز".

"الآن! الآن! أطلق عليه! تباً! أطلق!".

"آه، نعم!".

"حسناً، هذا هو ما أتحدث عنه".

شعرت **إليزا** بصداع يعتصر صدغيها ومؤخر رأسها، فقد ظلت مسمّرة أمام جهاز الكمبيوتر المحمول وهي تحدق بنقطة حمراء لم تتحرك منذ ساعات. فكرت أن تلك إشارة إيجابية على الأرجح، فهي تعني أن **لوميكي** دخلت مكان الاحتفال. فلو أنها ظلت عالقة في صندوق السيارة، لاتصلت بهم أو أرسلت رسالة نصية بحلول هذا الوقت. لم ترغب **إليزا** بالتفكير بأي من الاحتمالات الأخرى؛ كأن يكون السائق أو شخص آخر قد عثر على **لوميكي** وجعل صندوق تلك السيارة تابوتاً مؤقتاً لها.

انجذبت أطراف أصابعها إلى فمها، وراحت تمزق الجلد الزائد حول أظافرها بأسنانها. أما طلاء أظافرها ذو النقش الزهري

والأسود، فقد أصبح متقشراً منذ وقت طويل. بماذا يهم ذلك؟ فأشياء مثل طلاء الأظافر وتسريحات الشعر لم تعد تشكل أهمية في نظرها الآن.

"أظن أن هذه الغرفة بحاجة إلى القليل من الطلاء الجديد. ما رأيكما باللون الأحمر؟ هذا سيجعلني بغاية السعادة!".

بلغ الأمر حداً لا يطاق، وشعرت **إليزا** أنها نالت كفايتها منهما، فتقدمت نحو المقبس، وسحبت "فيش" لعبة "البلاي ستيشين"، فملأت صيحات اعتراض **توكا** و**كاسبر** المكان، ولكنها لاقت آذاناً صماء.

اذهبا إلى بيتكما والعبا إن لم يعد لديكما ما تفعلانه أيها الطفلان.

تذمر **كاسبر** قائلاً: "هيا، كنا على وشك أن نحطم الرقم القياسي. كدنا أن نقضي عليهم".

سألت **إليزا** وهي تشير إلى الكمبيوتر: "هل يمكنكما حتى أن تتخيلا التركيز على هذا العمل الآن؟".

"هيا يا عزيزتي، لم تتحرك هذه الصورة منذ ساعتين. ولن تتغير إن سار كل شيء كما ينبغي. لم يعد بوسعنا أن نساعد **لوميكي** الآن. أم إنك تظنين أننا نحن الثلاثة نستطيع أن نرسل لها بعض موجات الطاقة الإيجابية إن واصلنا التحديق بالشاشة بهذا الشكل؟".

تقدم **توكا** من خلف **إليزا**، ووضع يديه على كتفيها، فأزاحتهما عنها بغضب. إذ لم تعد تتحمل أن يلمسها **توكا** بعد الآن. فقد بات كل شيء يتعلق به يثير اشمئزازها. ولم تستطع أن تصدق أنها وقعت في غرامه في وقت ما، وأنها منذ بضعة أيام فقط

تخيلت إمكانية عودهما لبعضهما إن تسنى لكل منهما الوقت الكافي ليثبت جاذبيته ورغبة الآخرين به، وأن قصة حبهما ستصبح حديث القرن.

لولا **توكا** لما توجب على **إليزا** الآن أن تحدق بتلك النقطة الحمراء التي تحدد موقع **لوميكي**، أو أن تقلق على سلامتها أو سلامة أبيها. إذ إن **توكا** هو من قرر أن يحتفظ بالنقود، فأتى بتلك الفكرة النيرة؛ فكرة غسل النقود في المدرسة. حسناً، لقد أدركت **إليزا** أنها غير منطقية في تفكيرها، وأنه لا يحق لها أن تضع اللوم في كل شيء على هذا الشاب لأنه وغد؛ ولكن توجيه غضبها نحو **توكا** بدا أسهل بكثير من الاعتراف بذنب والدها.

والدها، أو "بابا" كما اعتادت **إليزا** أن تناديه، لطالما أغدق عليها الحب والدلال؛ ولا سيما بسبب كثرة سفر والدها وغيابها عن البيت. ذلك هو الأب الذي اخترعت معه ألعاباً طفولية سخيفة، الأب الذي اعتادت أن تجر معه الفرش والملاءات والوسائد إلى غرفة المعيشة ليبنيا معاً حصوناً ضخمة وربما ينامان فيها في بعض الأحيان، الأب الذي لطالما أعد لها الكعك المحلى على شكل دببة وغنى لها أغاني البوب الصاخبة، الأب الذي لم يسأم قط من ثرثرتها المستمرة أو يصاب بالإحباط من نزواتها الغريبة، الأب الذي بكت على كتفه عندما انفطر قلبها للمرة الأولى. لم يمض عام على آخر سباق حرب نجوم لعباه معاً؛ تلك اللعبة التي لطالما انتهت بحرب بالفشار بين المجرات وأثارت امتعاض الوالدة.

لقد سلبتها الأيام القليلة الماضية الوالد الذي عرفته طوال حياتها. فقد بات لديها بدلاً منه الآن هذا الرجل الغريب الذي خان أمها مع

امرأة أصغر منها، وتورط في عمل خطير وغير قانوني. تمنت **إليزا** لو تستطيع أن تنظر إلى والدها بشكل مباشر وتسأله: "**تيرهو فيسانين**، من أنت حقاً؟"

تملكها الخوف على **لوميكي**، ولكنها خشيت كذلك مما قد تكتشفه من حقائق وأسرار. فقد شعرت أن الجزء الآمن والجدير بالثقة من حياتها قد انهار تحت قدميها، ولم تعد واثقة من قدرتها على تحمل سماع أية اكتشافات خطيرة أخرى. ومع ذلك، أدركت أنها لا تملك أي خيار.

رفع **كاسبر** نظره فجأة وهو ينقر على هاتفه الذكي.

"آه، كلا. لقد انتبهت إلى شيء ما للتو".

تسارعت دقات قلب **إليزا**، وقالت: "حسناً، ماذا؟".

فقال **كاسبر**: "أشك في أنهم يسمحون لأحد بالاحتفاظ بهاتفه الخليوي في الحفلة. إذ من المفترض أن الدب القطبي شديد الحرص حيال الإجراءات الأمنية من هذا النوع".

صاح **توكا**: "وهل خطر هذا ببالك الآن فقط؟ كيف يمكنها أن تنقل لنا حقيقة الوضع إذاً؟".

فحافظت **إليزا** على هدوئها، وقالت: "لا أظن أن هناك مشكلة بالنسبة **للوميكي**. لا بد أنها ستتوصل إلى طريقة ما لتعلمنا بها أنها على ما يرام".

قال **توكا** وهو ينظر إليها بتساؤل: "يبدو عليك أن تثقين بها كثيراً".

فكرت **إليزا** في سرّها: أكثر مما أثق بكما بالتأكيد. ومع أنها شعرت بالامتنان لأنه لن يتوجب عليها أن تمضي الليلة بمفردها في

بيتها الكبير وهي تراقب جهاز تحديد الموقع الذي يومض على الشاشة، إلا أنها قررت أن تنهي صداقتها مع كل من **توكا** و**كاسبر** حالما تنتهي قضية النقود برمتها، وأنهم لن يعودوا الثلاثي المرح بعد الآن.

عادت عيناها للشرود مرة أخرى، واستقرّتا على النقطة الحمراء التي تظهر على الشاشة. كانت تلك الآلة تساعد والديها على الاطمئنان على سلامتها عندما اعتادت الذهاب لممارسة رياضة الجري وحدها، ولكن **إليزا** الآن لم تشعر سوى بالخوف والذنب لمعرفتها بمكان **لوميكي**. ترى، ما الذي تفعله الآن؟ ما الذي تفكر به؟ بدأت **إليزا** تفتل خصلة شعر شقراء من شعرها ثم تضعها في فمها. فلطالما ساعدتها عادة مص شعرها على التخفيف من توترها منذ طفولتها. أدركت أن تصرفها هذا يثير غضب **توكا**، ولكنها لم تأبه لذلك.

قال **كاسبر**: "وإن لم تقل إنها بخير..." ولكنه ترك الجملة غير مكتملة.

فقالت **إليزا** محاولة أن تحافظ على ثبات صوتها: "عندئذ، سنعود لخطتنا الأصلية".

سأل **توكا**: "أين وضعت جهاز التعقب؟".

فقالت **إليزا**: "على فخذها مثبتاً برباط الجوارب".

سأل **كاسبر**: "ماذا إن لاحظ أحد وجوده؟ من أين لنا أن نعرف أن شخصاً ما لم ينزعه ويرمِه في القمامة قبل أن يقتل **لوميكي** ويحشرها في خزانة، أو يلقي بجثتها في الغابة؟".

نهضت **إليزا** على قدميها وقبضتا يديها مشدودتان، وبذلت جهداً كبيراً للامتناع عن تسديد لكمة إلى **كاسبر**.

"كف عن هذا الكلام السخيف الآن. إن التحدث بهذه الطريقة لن يساعدنا بأي حال من الأحوال. اخرسا كلاكما إلى أن تجدا شيئاً مفيداً تقولانه. إن **لوميكي** موجودة هناك في الحفلة، وهي بخير، وكل شيء يسير على ما يرام. ولو سمعتنا الآن ونحن نتحدث عنها بهذا الخوف لضحكت علينا وسخرت منا".

وبعد قولها هذا، توجهت **إليزا** مباشرة إلى المطبخ. فقد شعرت أنها بحاجة لتناول شيء يهدئ أعصابها. اتجه نظرها إلى الرف الذي تحتفظ به أمها بزجاجات الشراب، وفكرت أن أمها على الأرجح لن تلاحظ أن زجاجة واحدة ناقصة. فربما يمكن لبضع كؤوس من الشراب الأحمر أن تلطف مخاوفها وأفكارها القلقة.

راحت أصابعها تربت بحزن على عنق الزجاجة، ولكنها غيرت رأيها.

كلا، لقد توجب عليها أن تبقي ذهنها صافياً لتكون مستعدة في حال احتاجت **لوميكي** إلى مساعدتها.

25

يحتوي كل صندوق على ست عشرة زجاجة من الشراب الأحمر. وهناك أربعة صناديق فوق الغطاء. وتحتوي كل زجاجة شراب على 0.75 لتر. هذه هي الأفكار التي دارت برأس **لوميكي** وهي في المجمدة. تذكرت أنها قرأت في مكان ما أن زجاجة شراب فارغة واحدة تزن حوالى 450 غراماً. وهكذا، فقد توصلت إلى أن هناك وزناً يبلغ حوالى 77 كيلو غراماً يجثم على غطاء المجمدة بالإضافة إلى الصناديق نفسها. فكرة غير سارة!

استطاعت **لوميكي** ذات مرة في الصالة الرياضية أن ترفع 100 كيلوغرام بقدميها باستخدام آلة رفع الأثقال. ومع ذلك، هذه ليست آلة رياضية، بل مجمدة.

خلعت **لوميكي** حذاءها ذا الكعب العالي، ثم أسندت ظهرها على أرض المجمدة بشكل جيد قدر المستطاع، ودفعت بعقبي قدميها على أسفل الغطاء، ولكنه لم يتزحزح من مكانه.

انخفاض حرارة الجسم هو الحالة التي تنخفض فيها درجة حرارة جسم الإنسان إلى أقل من درجة 35 درجة مئوية.

الأعراض: ارتعاش، وشعور بالبرد، وقلة تجاوب، وانتفاض في العضلات.

وبينما يزداد انخفاض درجة الحرارة، يتلاشى الشعور بالبرد، ويتوقف انتفاض العضلات، وتنخفض الحدة الذهنية ومعها معدلات النبض والتنفس. وعندما تصبح حرارة الجسم أقل من ثلاثين درجة مئوية، يزداد خطر الإصابة بعدم اتساق ضربات القلب.

وعندئذ، تبدأ دفاعات الجسم الطبيعية بدفع الدم الدافئ إلى أعضاء الجسم الحيوية، والدم البارد إلى الأطراف البعيدة؛ فتصاب اليدان بالشلل، وتزداد الحركة صعوبة. ومن الممكن للحركة غير الضرورية للأطراف أن تتسبب في دوران الدم البارد. وإن وصل إلى القلب، فستكون النتيجة تجمد عضلة القلب؛ الأمر الذي من الممكن أن يؤدي إلى الاختلاج البطيني وحتى الموت.

كانت **لوميكي** معتادة على البرد القارس. ففي خريف ذلك العام، وبعد انفصالها عن صديقها، بدأت تسبح بشكل منتظم في البركة داخل نادي السباحة الشتوي. وكلما كانت المياه أكثر برودة، أمدها ذلك بشعور أفضل. وجدت الغوص في حفرة الجليد للمرة الأولى منذ تجمدت البحيرة من أروع التجارب في حياتها. فأصبحت السباحة الشتوية أشبه بالإدمان بالنسبة لها. فكلما تسلقت خارجة من البركة والبلورات الجليدية الصغيرة تتساقط عن جلدها، تدفق الدم الدافئ في عروقها إلى أنحاء جسدها كافة وجعلها منتشية من السعادة. فكان ذلك شعوراً مذهلاً لا يقوى المرء على الاكتفاء منه.

لطالما شعرت **لوميكي** في النادي أنها فتاة غريبة الأطوار. فقد كان معظم رواد المكان من كبار السن الذين يرتدون قبعات صوفية وينتعلون أخفاف السباحة الشتوية الرسمية، ولكن **لوميكي** لم تشتر زوجاً منها بعد. اعتاد والأجداد الجدات أن يطلقوا عليها لقب

"الطفولية"، فوجدت هذا اللقب مناسباً لها تماماً. إذ إنها لم تر هناك أحداً قط تحت العشرين من العمر. وبين الحين والآخر، اعتادت مجموعات من الرجال والنساء في العقد الثالث الحضور لإقامة حفلات صاخبة وأشياء من هذا القبيل.

ومع ذلك، كان الهدوء يسود عادة في بركة السباحة التي ظلت مفتوحة على مدار السنة عن طريق ترك الماء يجري فيها بشكل مستمر من الخرطوم. فقد اعتاد السباحون الجادون النزول إلى المياه الباردة بدون أي ضجيج، وكانوا يغطسون بضع مرات ثم يصعدون إلى الخارج ويقفون على شرفة مبنى الساونا لبعض الوقت ليتركوا الماء يتبخر عن أجسادهم. أحبت **لوميكي** تلك اللحظة الرائعة. إذ إنها نادراً ما جربت في حياتها شيئاً يمكنها أن تقول عنه أنه مثير، ولكنها زارت الساونا ذات مساء قبل أسبوع من الكريسمس، ووجدت الفناء مضاء بقناديل خافتة، والنجوم تلمع في السماء. فشعرت بكل خلية من خلايا جسمها متيقظة كلياً بعد السباحة، بينما غمرها امتنان غريب ومزيج من الحنين والكآبة والحزن. فاعتبرت تلك لحظة خاصة بها، وراحت تتأمل النجوم والأشجار المحملة بركام الثلج الذي أضفى عليها منظراً مهيباً.

ومع ذلك، إن كان القفز بين الحين والآخر في بركة متجمدة مفيداً للصحة، فالاستلقاء في مجمدة للأطعمة ليس كذلك في أي حال من الأحوال. فالمياه التي تبلغ درجة حرارتها صفراً مختلفة عن تابوت درجة حرارته ثماني عشرة درجة تحت الصفر.

في تلك اللحظة، تمنت **لوميكي** لو أنها لم تصغ بعناية لدروس الصحة في المدرسة، ومنعت عقلها من التفكير بكل ما يمكن لنقص

الأوكسجين أن يفعله لجسمها. فقد توجب عليها وحسب أن تركز على دفع الغطاء لتفتحه وتخرج. وفكرت أنه ليس هناك فرق سواء أحركت أطرافها أكثر من اللازم، أو استهلكت الأوكسجين الموجود في المجمدة بسرعة أم لا. فإما أن تخرج من هناك في الحال أو تموت.

شعرت أن ساقيها تحولتا إلى جذعي شجرة متيبسين.

أخذت **لوميكي** نفساً عميقاً، وشدت كل عضلة في جسمها، ودفعت بكل قوتها.

تزحزح الغطاء قليلاً فقط، ثم تلاشت قوة **لوميكي** وانغلق الغطاء بإحكام مرة أخرى.

تجمعت الدموع في عينيها، مع أن آخر ما أرادت القيام به في تلك اللحظة هو البكاء. فقد شعرت وحسب أنها فقدت الأمل، وفكرت أن انتهاء مغامرتها كلها هنا مجرد أمر غبي وعديم الجدوى. لم تكن تريد أن تموت الآن بعد أن بدأت تشعر أن حياتها تستحق العيش بمنأى عن كل ما عاشته خلال سنواتها في **تامبيري**.

ها هي "بياض الثلج" تنام نومتها الأبدية في تابوت زجاجي.

كلا، ليست هذه نهاية القصة.

فكرت **لوميكي** بالفتاة التي كانت عليها في الماضي والتي أصبحت عليها الآن، وتذكرت أنها لم تستسلم من قبل قط؛ ولا حتى في أحلك لحظات حياتها ظلمة.

عدلت وضعيتها قليلاً، وأغمضت عينيها بإحكام، وركزت كل قوتها على عضلاتها. فهي لم تقم بتلك التمارين الرياضية من تمارين القرفصاء والضغط وغيرها عبثاً ومن دون أية فائدة.

ألم عضلي؟ فلتؤلمها عضلاتها؛ فالألم مجرد ضعف يغادر الجسم. والآن، حاولي مرة أخرى وغني مع الموسيقى إن كان ذلك يشكل أية فائدة!

دفعت **لوميكي** بقوة، فاهتزت عضلاتها، وأحرق الألم فخذيها، وظهرت أشكال ملونة، غريبة أمام عينيها المغمضتين.

شعرت بالغطاء يرتفع قليلاً، فلم تستسلم أو تظهر لعضلاتها أية رحمة. وعندئذ، سمعت الصناديق وهي تتحرك ثم تنقلب وتسقط على الأرض، وسمعت صوت زجاج يتكسر.

موجةٌ من رنين الزجاج بدت لها كصوت الجنيات اللواتي يقرعن الأجراس السحرية. إنها أعذب موسيقى في العالم!

الآن، بات بوسعها أن تقف وتدفع الغطاء لتفتحه بشكل كامل. فأخذت ترتجف من شدّة البرد والإرهاق. رأت الشراب الأحمر وشظايا الزجاج منتشرة على طول الأرض، فانتعلت حذاءها مرة أخرى، وتسلقت خارجة من المجمدة. وجدت أن للكعب العالي فائدة، وهي أن جزءاً صغيراً جداً من أخمص قدميها يلامس الأرض. فوضعت قدميها بحرص بين شظايا الزجاج، وتقدمت ببطء باتجاه الباب.

في تلك اللحظة فقط، أدركت أنه كان بوسعها أن تطلب المساعدة. فربما كان شخص ما على الأرجح سيسمعها.

ولكن ذلك لم يخطر ببالها قط. فهي لم تطلب مساعدة أحد طوال حياتها.

نظر **بوريس** حوله متأملاً الضيوف وهم يمرحون ويسترخون أكثر فأكثر، وارتشف كأساً من شرابه المفضل بتلذذ. فلا بد أن

"الدب القطبـي" تذكر نوعيته المفضلة. لم يكن **سوكولوف** يعمل الآن، لذا بات بوسعه أن يستمتع بالشرب والتفرج على المناظر. وجد المكان يعج بنساء جميلات لطالما سره النظر إليهن. ومع ذلك، جعل هذا المنظر لمسة من الكآبة تعتريه؛ لأنه أدرك أنه أصبح مسناً بما فيه الكفاية لكي يكون في سن آباء هؤلاء النساء. فربما توافق إحداهن على تسليته لليلة واحدة، ولكن ليس لفترة أطول من ذلك. وهكذا، تقبّل **سوكولوف** حقيقة أن فرصته في العلاقات طويلة الأمد باتت معدومة منذ وقت طويل، ولاحت أمامه سنوات طويلة من الوحدة يقضيها برفقة كأس الشراب؛ صديقته الوحيدة التي يمكنه الاعتماد عليها.

أراد "الدب القطبـي" أن يبقي أي شيء غير قانوني خارج نطاق حفلاته، وهو إجراء وقائي معقول بشكل مثالي. فإن صادف أن قامت الشرطة بمداهمة لهم في نهاية المطاف، فلن تستطيع أن تضبط أحداً منهم بأية تهمة. وكان نهر الشراب المتدفق قانونياً تماماً.

كان **سوكولوف** في بعض الأحيان يكره المخدرات؛ رغم أنها زودته بعمل مربح وحياة مريحة وبيت جميل بدون أي جيران قريبين منه وبالمتعته والنفوذ والنساء. لم يكن رجلاً مثالياً لدرجة تجعله يرفض الحصول على القليل من تلك المواد عندما تعطى له في الفرصة المناسبة، ولكنه لم يبدِ أي رغبة بتعاطي الحقن المخدرة قط.

ومع ذلك، ظلت حياته مليئة بالتوتر. إذ توجب عليه الحرص على وصول الشحنات إلى **فنلندا**، وتولي مسألة التوزيع، والسيطرة على التجار، والبحث عن زبائن جدد، والقلق حيال الزبائن القدامى الثرثارين. وهكذا، هناك الكثير من الكرات التي توجب عليه الإمساك بها.

كانت فكرة "الدب القطبي" في استهداف الطبقة الثرية الناجحة عظيمة، ولكن من المستحيل تنفيذها بشكل عملي. فمن أجل أن المحافظة على سير العمل، وجدوا أنفسهم مضطرين للتعامل مع أناس مفلسين لدرجة تجعلهم غير قادرين على الدفع سوى عيناً، أي أولئك الذين باعوا كمبيوتراتهم المحمولة أو بادلوها مقابل الحصول على المخدرات، والذين تراقب حساباتهم المصرفية ولا يملكون خيار الطلب على الإنترنت.

لولا الخطورة الكبيرة التي ينطوي عليها العمل، لما شعر **سوكولوف** بالحاجة إلى تصفية **ناتاليا**. فقد كان يهتم لأمرها بطريقته الخاصة؛ أكثر مما يود أن يعترف به لنفسه، لدرجة أنه تعمّد غض الطرف عن لقاءات **ناتاليا** و**تيرهو فيسانين** المتكررة؛ رغم معرفته بالمخاطرة المنطوية عليها.

لقد برر **بوريس** الموقف، وقال لنفسه إن علاقة **فيسانين** مع **ناتاليا** عبارة عن سلاح إضافي في ترسانته يُمَكّنه من ابتزازه في وقت ما في المستقبل؛ ذلك الشرطي الغبي الذي أقسم إنه انسحب وانتهى من هذا العمل، ولكن **بوريس** كان واثقاً من أن **فيسانين** سيعود زاحفاً، وسيتوسل إليه كي يقبل عودته إليهم مرة أخرى. وبالطبع، قرر **بوريس** أن يقبل ولكن بشروط معينة. فقد سمحوا لذلك التحري المدلل أن يعيش حياة طمع أكثر من اللازم. بدا له **فيسانين** صادقاً عندما ادعى أنه لم يتلق النقود، وفكر **بوريس** أنه ربما قال الحقيقة، وأن أحدهم ربما سرق الكيس من الحديقة خلال الليل، ولكنه لم يأبه لذلك. فقد تقرّر تسليم تلك النقود إلى **فيسانين** في كل الأحوال، لذا رفض **بوريس** أن يشعر بأي ندم حيال ما جرى.

فالشيء الأهم من كل ذلك هو أن **فيسانين** نفسه نسي الأمر برمته. أما في المستقبل، فلم يكن سيتلقى مبالغ كبيرة إلى هذا الحد.

لو أن **ناتاليا** ظلت منضبطة و لم تنحرف عن المسار لحصلت على مستقبل جيد ومضمون، وربما على إمكانية الترقية لتصبح يد **بوريس** اليمنى. ولكن القلق بدأ يساورها، وكذلك أحلام اليقظة. فقد لاحظ **بوريس** هذا التغيير عليها، ولاحظه على وجهها وفي نبرة صوتها. و لم يكن بحاجة سوى لزيارة واحدة إلى **موسكو** ليعترف شقيق **ناتاليا** بكل شيء عن خطة أخته برمتها.

كان من الممكن **لبوريس** أن يحبط نوايا **ناتاليا** ببساطة بألا يترك النقود في بيته، ولكنه أراد أن يختبرها ويقيس مدى ولائها له. فهبط المقياس إلى أدنى مستوى، ولكنه ظل متعلقاً بالأمل حتى اللحظة الأخيرة في أنها ستعود إلى صوابها. ولكنّ ناتاليا لم تترك له خياراً سوى القضاء عليها. لقد كان ذلك أمراً مؤسفاً. فقد كان **بوريس** يأمل أن **ناتاليا** وحدها من بين كل الناس في العالم لن تخيب أمله.

انساب الشراب في حنجرته بسلاسة ودفء، ولكن هذا لا يعني أن **بوريس** لم يضطر لابتلاع لعابه عدة مرات.

قرر أن يتخلص من الجثة في اليوم التالي.

فيوم الاحتفال ليس مناسباً للأعمال القذرة.

26

شارف منتصف الليل على الحلول، فساد الاهتياج والصخب في الحفلة، وصدحت الموسيقى، وتحولت المشروبات من المشروبات الفوارة إلى أخرى قوية. وبدأت مستحضرات التجميل على وجوه النساء تسيل، وأخذ الرجال يحلون ربطات عنقهم.

ومع ذلك، لم يحن الوقت بعد للتسيب الكامل، والتخلي عن كل إحساس بالسلوك اللائق، وشرب ما يريدونه من الشراب قدر ما يريدون، وافتعال المشاكل، والاختفاء في الطابق العلوي "للراحة". فذروة الحفلة لم تأتِ بعد.

وهي وصول الدب القطبي.

هذا هو السبب الذي دفع **لوميكي** للبقاء. فبعد هروبها من المجمدة، دخلت حمام السيدات، وخلعت ثوبها، ووقفت فوق المرحاض وبللت ذراعيها وساقيها بماء دافئ من صنبور الماء. فعاد الإحساس إلى يديها وقدميها تدريجياً. وبعد ذلك، جففت نفسها بمناديل اليد، وارتدت ثوبها مرة أخرى، وعدلت تبرّجها الذي ظل في حالة جيدة بشكل ملحوظ. ففكرت أنه ينبغي على **إليزا** بالفعل أن تفكر باتخاذ التجميل مهنة لها. فقد نجحت على الأقل في وضع تمويه **للوميكي** لم يصمد أمام الأكل والشرب فقط بل أيضاً أمام التجمد.

وعندما خرجت، اكتفت برفع حاجبيها للنساء المصطفات في رتل خارج المرحاض، ولم تتفوه بكلمة.

كان بوسع **لوميكي** أن تغادر. فقد نفذت مهمتها، وعرفت أن والد **إليزا** يعمل مع تاجر مخدرات اسمه **بوريس سوكولوف**، وأنه يعطيه معلومات ويخفي معلومات أخرى عن الشرطة مقابل المال. وعرفت **لوميكي** أن الجثة المرمية في المجمدة في القبو هي لإمرأة تدعى **ناتاليا**، وأن **بوريس سوكولوف** هو من قتلها. فكانت المعلومات التي حصلت عليها على الأرجح كافية لإدخال **سوكولوف** السجن، إلى جانب والد **إليزا** بالطبع، وهذا ما لم يعد بالإمكان تجنبه.

ومع ذلك، آثرت **لوميكي** البقاء في الحفلة، وشعرت أنه من المستحيل إشباع فضولها إلاّ عندما تقابل تلك الشخصية الغامضة والأسطورية التي يتحدث الجميع عنها هامسين. وهكذا، واصلت جولتها في تلك الغرف الخيالية التي بدا أنها لا تنتهي.

وجدت **لوميكي** غرفة كل ما فيها زهري اللون. وظنت أنها على الأرجح ستكون المفضلة لدى **إليزا**، أو ربما لا، وهذا ما أدركته **لوميكي** بعد بضع لحظات من دخولها. فقد شعرت ببعض الغثيان عندما لاحظت بين حلوى المارشمللو والأحصنة أحادية القرن وبراعم الزهور والوسائد الزغبة ألعاباً مخجلة مخصصة للراشدين فقط. تابعت **لوميكي** سيرها عندما دخل رجل وامرأة الغرفة مترنحين، وهما يبدوان مستعدين لاستخدام كل وسائل المتعة المتاحة في الغرفة العجيبة.

كلما اقتربت الساعة من إعلان منتصف الليل، أصبح الجو مشحوناً أكثر فأكثر. فقد كان الجميع ينتظرون اللحظة الحاسمة، وكان الجميع جائعين. وعندما بقيت عشر ثوان فقط، بدأ العد

التنازلي. فتجمع الناس في غرفة الرقص الكبيرة في الطابق الثاني وهم يتدافعون في الأنحاء.

عشرة.

ألقت **لوميكي** نظرة حولها، ورأت **تيرهو فيسانين** يتململ بتوتر، وفي يده كأس فارغة.

تسعة.

خفت صوت الموسيقى تدريجياً ثم صمت.

ثمانية.

خفتت الأضواء؛ فلم تبق سوى النجوم المعروضة على السقف.

سبعة. ستة. خمسة. أربعة. ثلاثة.

وفجأة، كادت **لوميكي** أن تنفجر ضاحكة وهي تفكر بسخافة الموقف الذي وجدت نفسها فيه. وتذكرت أنها مجرد فتاة مراهقة عادية صادف دخولها خطأً إلى غرفة تحميض الأفلام في المدرسة في اللحظة الخطأ.

اثنان.

لم يعد الناس يصيحون بالأرقام بعد الآن. فقد بدأوا يتفوهون بها بهدوء واحترام.

واحد.

خيم الظلام على الغرفة، والتزم الجميع الصمت، وسمع بين الحين والآخر صوت الضحك المكتوم كصوت قرع أجراس بعيدة. وبدأت رقاقات تشبه الثلج الحقيقي تتساقط من السقف. وعندما لمست **لوميكي** واحدة منها، تلاشت واختفت.

فجأة، أضاءت مصابيح منتصف الغرفة، وظهرت امرأتان، كلتاهما ترتديان زي ملكة الثلج. فوجدت ذلك اللقب مناسباً لهما أكثر بألف مرة من **ناتاليا** المتجمدة. توأمان متطابقتان ظهرتا في وسط الغرفة كأنهما حضرتا من المجهول. لم تستطع **لوميكي** أن تقدر عمرهما بالضبط. فقد كان من الممكن أن تكونا في العشرين أو حتى الخمسين. فمن على بعد تلك المسافة، لم تستطع أن تتبين وجود أي تجاعيد على أيديهما أو عنقيهما.

انفجرت قاعة الرقص بصوت تصفيق مدوٍ. ولوحت المرأتان للضيوف بأسلوب فخم، فلاحظت **لوميكي** أن إحداهما تضع حول عنقها سلسلة فضية علقت فيها قطعة كريستالية على شكل قطعة جليد، بينما علّقت في الأخرى قطعة كريستالية على شكل دب فضّي.

جليد ودب. دب جليدي. دب قطبي. الدب القطبي ليس شخصاً واحداً، بل اثنين؛ إنهما توأمان لا تزالان تعتبران نفسيهما شخصاً واحداً!

انتظرت المرأتان إلى أن التزم الحشد الهدوء، ثم بدأتا بالكلام متبادلتين الأدوار بسلاسة، لدرجة أن **لوميكي** لم تستطع أن تحدد أياً منهما كانت تتكلم في أية لحظة.

"الشتاء هو وقت السحر. لهذا السبب، أردت لموضوع هذا الاحتفال أن يكون قصص الخيال. الأحلام والخيال والكوابيس، هذه هي مكونات قصص الخيال. إنكم جميعاً هنا لأنني أتمنى أن أشكركم من كل قلبي. فقد شاركتم في رسم هذا الحلم؛ حلمنا بمجتمع أكثر أناقة وكفاية وأكثر تصميماً. بالنسبة لنا، الحدود وجدت لكي

نكسرها، والقواعد لنغيرها، والقوانين لنتحداها. احتفلوا! للحظة واحدة، انسوا الأفكار التقليدية الضيقة، وتوقعات العالم الخارجي. هذا كله لكم. الحياة لكم".

لم تسمع **لوميكي** أي كلام تفوّهت به المرأتان يمكن اتخاذه مستمسكاً ضدّهما؛ لأنهما لم تتفوها بأي شيء ملموس. وكانتا تتحدثان اللغة الإنكليزية بدون أي لكنة أجنبية. وحتى لو كانت **لوميكي** تحمل جهاز تسجيل، لما تمكنت من تسجيل أي كلام يدينهما. ترى، ما الذي تورطت فيه تانك المرأتان؟ هل تتحكمان بكل ضيوف الحفلة؟ وأي قدر من نشاطاتهما إجرامي؟

تفحصت **لوميكي** حشد المعجبين، وفهمت أنها على الأرجح لن تعرف الحقيقة أبداً. فقد توصلت للاعتقاد أن نشاطات الدب القطبي تشبه رقاقات الثلج المتساقطة من السقف. فإن حاول أحد الإمساك به، تحللت وتلاشت في الهواء.

أدركت أنه لن يتسنى لها أن تحظى بفرصة ضد هؤلاء الناس. وقد تكون المرأتان مجرد واجهة، وهكذا لا يمكن لأحد أن يقبض عليهما أو يلحق بهما أي سوء.

لقد بات بوسع **لوميكي** أن تزج **ببوريس سوكولوف** في السجن. فالأحداث التي بدأت بالنقود الملطخة بالدم في غرفة تحميض الأفلام وصلت إلى نهايتها، وهذا كان كافياً تماماً لها.

والآن، قررت أن تعود إلى البيت.

27

"لست بحاجة إلى مرآة سحرية لتخبرني أنك أجمل امرأة في هذه الحفلة".

تدفقت أنفاس ساخنة على أذن **لوميكي**، وأمسكت يدان حازمتان بخصرها، فشتمت **لوميكي** في سرّها. فقد استطاع معذبها العثور عليها مرة أخرى، ونجح في القبض عليها بقبضة قوية بينما هي تهمّ بالرحيل. واستطاعت أن تشم من رائحة أنفاسه أنه أفرط في احتساء الشراب، وأن تشعر من شدة قبضة يده أنه ليس هناك أمل في أن تتملص منه وتحرر نفسها. فقد كان ذلك سيجذب انتباهاً غير مرغوب به إن حاولت القيام به.

همس الرجل وهو يضغط بجثته العريضة على ظهر **لوميكي**: "بدأت أخشى أنك اختفيت، وهذا أمر غير مقبول. فقد تعرض حديثنا الممتع لمقاطعة مزعجة جداً".

خمنت **لوميكي** في سرّها: *وزنه تسعون كيلوغراماً على الأقل. وهي قد تكون قوية بشكل مفاجئ إن تم استفزازها. ولكن، حان الوقت لاتباع تكتيك مختلف.*

فقالت: "لم تبرد مشاعرك تجاهي بعد، أليس كذلك؟".

التفتت **لوميكي** إلى الوراء، ونظرت إلى وجه الرجل، فوجدت

عينيه محمرتين كالدم، واكتشفت أنه ترك سترة بذلته الرسمية في مكان ما، ولاحظت وجود بقع كبيرة زرقاء وداكنة على طول قميصه الأزرق الفاتح. وكانت ربطة عنقه مرخية بعض الشيء، فأمسكت بياقته بحركة مليئة بالثقة المزيفة بالنفس، وقربت فمها من أذنه، وهمست قائلة: "لنصعد إلى الطابق العلوي، ولنرَ إن كانت لهذه القصة نهاية سعيدة أم لا".

قاومت شعورها بالغثيان، ولكنها برعت في تمثيل دورها بإتقان.

انتشرت حمرة الرضى على وجه الرجل وهو يلعق شفتيه.

فسألها قائلاً: "ما الذي ننتظره إذاً؟".

وبينما هي تصعد الدرج، استطاعت **لوميكي** أن تشعر بتحديق الرجل المستمر بها من خلف ظهرها، وأدركت أن محاولة الهرب باتت عديمة الجدوى. شعرت بساقيها ترتجفان بعض الشيء، ولكنها أجبرت نفسها على التمايل في مشيتها بإغراء. ترى، كيف سيكون شعورها إن صعدت تلك الدرجات لتسبق شخصاً تريد بالفعل أن تكون معه وأغلقت باباً خلفهما وطردت بقية العالم إلى الخارج؟ تخيلت رائحة الكريم الواقي من الشمس، والبشرة التي بعثت الأشعة الطبيعية الدفء فيها، ووقع خطوات تتبعها بتصميم، وشعوراً مثيراً بالترقب وهي تصغي إليها تقترب منها.

لا جدوى من الاسترسال في الذكريات. فقد حدث كل ذلك في الصيف الماضي، ولم يعد هناك أمل في عودته.

لتعد إلى الوقت الحاضر؛ فهذا ما توجب عليها فعله الآن.

قادت **لوميكي** الرجل إلى غرفة شاغرة، في وسطها يوجد سرير كبير مصنوع من الحديد، ودفعته نحوه بيديها. فقد كان من المهم أن تبدو واثقة من نفسها وجريئة قدر المستطاع.

قال الرجل: "كنت أعرف أنك هرة برية! لا بأس، سأروضك بنفسي، ولكن يمكن للهرة الصغيرة أن تستمتع بوقتها أولاً". التفتت **لوميكي** نحو الباب وأقفلته بإحكام، ثم مشت متبخترة نحـــو الرجـــل الذي حاول الإمساك بها بيديه المتعرقتين.

فقالت **لوميكي** وهي تبعده عنها: "كلا، كلا. إن الهرة تريد أن تلهو أولاً، أتتذكر؟".

أشرقت عيناه الخاملتان، مما جعلها تتنفس الصعداء، فقد أصبح تحت رحمتها؛ في هذه اللحظة على الأقل.

سأل الرجل وحاجبـــاه معقـــودان مـــن شـــدّة الارتبـــاك: "ما هذا؟"

آه، تباً! أسرعت **لوميكي** بالقبض على يدي الرجل ورفعهمـــا بقوة نحو أعلى السرير، ثم أمسكت بمعصميه بيدها اليسرى، بينمـــا أخرجت بيدها اليمنى شيئاً زغباً وزهرياً من حقيبة يدها.

وهمست قائلة: "والآن، كن فتى مهذباً".

قال الرجل بابتسامة عريضة: "إذاً، أنـــت تحـــبين تمثيـــل دور الاعتقال، أليس كذلك؟". فوضعت **لوميكي** القيود حول معصـــميه، وأغلقتها ثم ثبتتها على الإطار الحديدي للسرير.

وأجابت وهي تنهض على قدميها: "ليس بالفعل، ولكنني آمـــل أنك تحبه".

استغرق الرجل بضع ثوانٍ ليدرك أن **لوميكي** لا تنوي العـــودة إليه. وعندما اتضحت الحقيقة لدماغه المخبـــول بفعـــل الشـــراب، صدرت صيحة غضب من بين شفتيه، ولكن بعد فوات الأوان. فقد أقفلت **لوميكي** الباب من الخارج.

وعندئذ، ذهبت إلى النافذة في آخر القاعة وفتحتـــها، وألقـــت بمفتاح الغرفة ومفتاح القيود على الثلج حيث اختفيا علـــى الفـــور. وهكذا، تخلصت أخيراً من إحدى العقبات التي كانت تقف في وجه عودتها إلى البيت.

راح **تيرهو فيسانين** يحدق من النافذة الكبيرة نحو الظلام.

لقد فقد الأمل بعد أن أدرك أنه لا يملك وسيلة يستطيع بهـــا أن يقنع "الدب القطبـــي" بأنه ينبغي عليه أن يدفع له ويتركه يذهب في حال سبيله؛ أو ينبغي عليهما! كيف يفترض به أن يخاطبهما؟ حاول أن يتحدث إلى أحد حراس المرأتين ويطلب اجتماعاً، ولكـــن طلبـــه قوبل بالرفض. وعندما شرح له أنه تلقى دعوة خاصة لمقابلة "الـــدب القطبـــي"، أعلمه الحارس ببرودة أن دعوتـــه لا تعـــني أي شـــيء، ونصحه ألا يضيع وقته بالتخيل أن "الدب القطبـــــي" قـــد يبـــدي اهتماماً بشخص نكرة مثله.

وعندما نظر حوله إلى بقية الضيوف، أدرك أن الحـــارس قـــال الصدق. فقد اكتشف أنه مجرد شخص ضئيل وتافه بالنسبة للـــدب القطبـــي. حتى إن **بوريس سوكولوف** لم يكن أكثر من مجرد ذبابة. فقد كانا لاعبيْن صغيريْن تافهين في هذه اللعبة الكبيرة.

كلُ ما بقي بوسع **تيرهو** فعله هو أن يلوذ بالفرار من هذا المكان بأسرع ما يمكن. إذاً، فليغادر إلى البيت، ويعانق ابنته، ويكتب رسالة بريد إلكتروني لزوجته يعبر لها فيها عن أشواقه، وليفكـــر بطريقـــة تساعده على كسب معيشته من دون مصدر مهم من مصادر دخله. لقد أدرك أن وضعه ليس ميؤوساً منه إلى هذا الحد. نعم، هناك ديون أصبحت مستحقة الدفع، ولكن ما زالت لديه وظيفة ثابتة وكـــذلك

زوجته. وفكر أنه بوسعهم تخفيض نفقاقم، وذلك بعد أن يتوقف عن المقامرة بالطبع؛ وهو قرار توصل إليه منذ فترة من الوقت. لم يعد يحتاج إلى المال من أجل مساعدة **ناتاليا** بعد الآن؛ لأنها لم تعد موجودة. بدأت يدا **تيرهو** ترتعشان، وشعر بغثيان في معدته لمجرد التفكير بجثة **ناتاليا** المجمدة. لقد توجب عليه أن يستمر في المحاولة وألا يستسلم لليأس. وصمم على ألا يدع ذلك الألم يستولي عليه، وأن يتحلى بالعقلانية ويفكر بشكل عملي. فابنته لم تكن بحاجة إلى أغلى الأشياء وأفخمها. ولا بد أن التخفيف من تبذيرهم، وتبسيط حياقم، وقضاء المزيد من الوقت مع بعضهم ستفيد جميع أفراد العائلة، وتساعدهم على عيش حياة طبيعية كبقية الناس.

إن حياة الناس العاديين لا تتضمن تقديم معلومات لزعماء العصابات حول المكان والزمان اللذين ستقوم بهما الشرطة بغارها التالية، والشاحنات التي سيتم توقيفها عند الحدود، أو الحملات التي تهدف لاجتثاث عمليات الاتجار بالمخدرات. ولا تعني حياة الناس العاديين تلقي معلومات حول مخابئ المخدرات لبعض صغار المجرمين الذين تقرر عصابة **سوكولوف** التخلص منهم لسبب أو لآخر. فقد تمكن **تيرهو** على مر السنين من كشف عدد محرج من الجرائم بمساعدة **سوكولوف**، وهذا ما دفعه إلى الاعتقاد أن كلاً منهما جنى فائدة كبيرة من اتفاقيتهما.

فقد أراد **سوكولوف** أن يتولى زعامة تجارة المخدرات في **تامبيري**، بينما أراد **تيرهو** أن يلقي القبض على المروجين الخطيرين الذين يبيعون خلطات ملوثة وسموماً صرفة مكان المنتجات الأصلية، ويتسببون بمعظم حالات الموت من جرّاء المخدرات.

لطالما كتم صوت تأنيب ضميره، وراح يقنع نفسه أن **سوكولوف** يبيع أغلب ما يبيعه للناس الذين يسيطرون على عاداهم، ولا ينتهي هم المطاف في غرفة الطوارئ بسبب تناول الجرعات الزائدة؛ أي المتعاطين للاستجمام. ومع ذلك، فقد أدرك منذ وقت طويل أن هذا الأمر مجرد جزء من الحقيقة. فقد كان **سوكولوف** مسروراً تماماً لأخذ المال من الناس الذين يجدر هم إنفاق أموالهم على شراء الحليب والخبز لأطفالهم، ولكن **تيرهو** آثر أن يدفن رأسه في الرمال متجاهلاً حقيقة الأمر.

تمنى لو يستطيع أن يدفن رأسه في الرمال الآن. وفجأة، شعر بتعب مميت يوهن جسده، وأراد أن يرحل.

وفي تلك اللحظة فقط، لاحظ **تيرهو** الشابة التي لفت ثوبها انتباهه قبل قليل، ولكنه الآن لاحظ أيضاً حقيبتها البيضاء المزينة بالخرز. في العادة، لم يكن يعرف أي شيء عن حقائب النساء، ولكنه تذكر هذه الحقيبة بالذات لأنها أصلية، ومن تصميم مصمم مشهور، وتساوي مبلغاً باهظاً من المال. وكان يعرف هذا لأنه اشترى الحقيبة نفسها لابنته **إليزا** كهدية بمناسبة ذكرى ميلادها؛ بعد أن توسلت إليه لوقت طويل كي يشتريها لها.

قد يكون ثوب السهرة مشابهاً لثوب ابنته مصادفة.

وقد تكون حقيبة اليد مشابهة لحقيبة ابنته مصادفة.

ولكن، أن يجتمعا معاً على المرأة نفسها، فهذا غير ممكن أبداً.

تقدم **تيرهو** بضع خطوات نحو المرأة، وأمسك بيدها بحزم، وطالبها بتفسير لما رآه.

أثار الأمر اهتمام **بوريس سوكولوف**، ولا سيما عندما رأى **تيرهو فيسانين** وهو يتجادل مع إحدى الشابات. وعندما اقترب منهما فهم من لغة **فيسانين** الفنلندية أنه يدعي أنه اشترى للمرأة حقيبتها وثوبها وحذاءها أيضاً على ما يبدو.

ضحك **بوريس** ساخراً. فعلى ما يبدو، كان **فيسانين** ينفق ماله على عدد من النساء إلى جانب **ناتاليا**، ولكنه أدرك أن على هذا الوضع أن ينتهي الآن على حد سواء. وبينما همّ **بوريس** بالاستدارة ليعود من حيث أتى، رنت في أذنه كلمة "ابنة".

استوقف هذا الكلام **بوريس**، وتسارعت أفكاره لملايين الأميال في لحظة واحدة. فإن كانت الفتاة ذات الثوب الأحمر هي ابنة **تيرهو فيسانين**، فلا بد أنها تعرف الكثير؛ أي تعرف من طاردها في الغابة، وربما تعرف عن موضوع **ناتاليا** والنقود. فما سبب وجودها هنا في الحفلة إذاً؟

وجد أنه سيكون من الأفضل أن يذهب ويتحدث إليها ليتأكد من أنها تعرف كيف تبقي فمها مغلقاً؛ بالضبط كما سيفعل والدها.

حاولت **لوميكي** أن تنتزع يدها من قبضة يد والد **إليزا**، ولكن عمله كضابط شرطة جعله معتاداً على التعامل مع الناس غير المتعاونين. فقد أحكم قبضته على يدها كالحديد.

"أجيبيني، لماذا تحملين حقيبة يد **إليزا**؟!". استطاعت **لوميكي** أن تلاحظ اقتراب **بوريس**. وأرعبتها نظرة عينيه.

تنشق **فيسانين** الهواء ثم قال بغضب: "وتضعين عطرها أيضاً!".

أصبح **سوكولوف** على بعد ثلاث خطوات فقط.

والآن، أدركت **لوميكي** أن عليها الهرب.

فدفعت حقيبة **إليزا** نحو صدر فيسانين بقوة، وقالت: "حسناً، خذها. لسوء الحظ، لا أستطيع أن أعيد لك العطر أيضاً".

أُخذ **فيسانين** على حين غفلة، مما يجعله يرخي قبضته قليلاً فقط، ولكن ذلك كان كافياً. فقد نزعت **لوميكي** يدها من قبضته، وأسرعت نحو الدرج، ثم سمعت من الخلف صوت **سوكولوف** وهو يلاحقها ويصيح باللغة الروسية.

عند الدرج، صادفت نادلة ترتدي زي شخصية "**أليس** في بلاد العجائب" وتحمل صينية تحوي شراباً من منتجات الألبان. فاعتذرت بصمت قبل أن تقلب صينية التقديم على الأرض، فانتشر الشراب وشظايا الزجاج على الدرج، ثم سمعت **سوكولوف** يتعثر ويطلق الشتائم.

منح هذا **لوميكي** بضع ثوانٍ إضافية، فخلعت حذاءها من قدميها، وشقت طريقها بسرعة عبر الحشد وهي تمسك بالحذاء بيديها، وتوجهت نحو الباب الأمامي لتخرج منه، ثم واصلت الجري على طول الطريق المضاء بالشموع.

صاح **سوكولوف** للحراس: "أوقفوها!".

التفت رجلان ضخمان وسدا الطريق في وجهها، فوجدت نفسها أمام جدارين بشريين، ولم يعد بإمكانها المرور.

وفجأة، غيرت **لوميكي** اتجاهها، فتبعها **سوكولوف** في الحال. وكان هناك جدار عالٍ يحيط بالمبنى من كل الجوانب. فأسرعت **لوميكي** نحو أبعد زاوية فيه، ووجدت المكان مظلماً. أخذ الثلج يلسع قدميها اللتين لا يغطيهما شيء سوى الجوربين الرقيقين.

تحسست **لوميكي** الجدار بيديها بسرعة، فلم تجد أي شيء يمكنها الإمساك به. فحتى القرود تعجز عن تسلق جدار مثله. ومع ذلك، عثرت على حفرة صغيرة، فأقحمت طرف كعب إحدى فردتي حذائها فيها، وتسلقت نحو الأعلى، ووقفت على فردة الحذاء، وكادت أن تفقد توازنها بينما أوشك **سوكولوف** على الوصول إلى الجدار.

أقحمت كعب فردة الحذاء الثانية في الجدار، وصعدت خطوة عالية أخرى نحو قمة الجدار، فأمسك **سوكولوف** بحاشية ثوبها، وتمزّقت الحاشية، وانكسر الكعب.

سقط الحذاء على الثلج تاركاً الكعب وحده عالقاً في الجدار. وتأرجحت قدما **لوميكي** في الهواء بدون أي شيء يدعمهما. ومع ذلك، تشبثت بقمة الجدار بأطراف أصابع يديها، واستطاعت أن تشد نفسها إلى الأعلى، بينما استطاع **سوكولوف** بالكاد لمس قدمها بيده.

قفزت **لوميكي** إلى الجانب الآخر من الجدار، واستقرت على كومة من الثلج الناعم. وبدلاً من أن يحاول **سوكولوف** تسلق الجدار، توجه مسرعاً نحو البوابة، فانطلقت **لوميكي** جارية عبر الثلج الذي وصل إلى مستوى ربلتي ساقيها. وكانت تنورة ثوبها المسائي ممزقة من أحد الجانبين، كاشفة عن ساقها بأكملها.

ففكرت **لوميكي** في سرّها وهي تجري أن هذا أمر جيد. فلولا ذلك، لوجدت الجري مهمة أكثر صعوبة بكثير.

ولكن الجري في الثلج كان صعباً في كل الأحوال؛ لأن الثلج لسع قدميها كالشفرات الحادة. وكانت الغابة مظلمة وحالكة السواد.

تأخر **سوكولوف** عن اللحاق بها مسافة طويلة، فأسرعت **لوميكي**. كانت تلك هي المرة الثالثة خلال أربعة أيام التي تتعرض فيها للمطاردة وتجد نفسها مجبرة على الركض في ظل الثلج والبرد.

ثلاث محاولات. في القصص الخيالية، يحصل الأبطال دائماً على ثلاث محاولات. المحاولتان الأوليان تفشلان، ولكن الثالثة تنجح. فهل يعني ذلك أنها ستنجو هذه المرة إلى الأبد؟ أم إن مطارديها سيقبضون عليها في نهاية المطاف؟

المرة الثالثة يكمن فيها السحر. ثلاث ضربات وينتهي أمرك. أي قصة هي هذه؟

وفجأة، شعرت **لوميكي** بشيء مؤلم يخدش فخذها، فتجاهلته وواصلت الجري متقدمة بمشقة. وأخيراً، تلاشت أصوات المطاردة.

تحسست **لوميكي** فخذها بأصابعها، وشعرت بوجود شيء دافئ ورطب: دماء. لقد أطلق **سوكولوف** النار عليها في فخذها، ولكن من حسن الحظ أن الرصاصة خدشتها مجرد خدش. ومع ذلك، راح الدم يتدفق بغزارة.

لم ترغب **لوميكي** بالتفكير بأي شيء، بل قامت بمجرد الجري بأقصى سرعتها، وابتلعتها الغابة كالمياه المظلمة.

والآن، أصبحت الطفلة المسكينة وحيدة في الغابة الكبيرة. تملكتها الخوف ولم تعرف إلى أين تلجأ طلباً للمساعدة. فبدأت تركض وتركض فوق الصخور الحادة وعبر الأشواك. قفزت الحيوانات البرية نحوها، ولكنها لم تلحِق بها أي أذى، فواصلت الجري بأقصى سرعة حملتها فيها ساقاها؛ إلى أن بدأ الليل يرخي سدوله عليها.

28

في سالف الأزمان، كانت هناك فتاة ركضت مسافات بعيدة إلى أن لم تعد ساقاها تقويان على حملها. فسقطت على الأرض، ولكنها تابعت الركض في عقلها وأحلامها، واندفعت ساقاها النحيلتان والقويتان والنشيطتان على الثلج الناعم مخلفة عليه آثاراً صغيرة. وهربت كما يهرب أولئك الذين يشعرون أنهم أحرار، وأن أحداً لن يستطيع القبض عليهم بعد الآن.

ترنحت **لوميكي** على الحد الفاصل بين الوعي واللا وعي.

لم تعد تشعر بالبرد بل بالدفء. في أعماقها، أدركت أن ذلك لا يبشر بالخير، ولكنها لم تعد تأبه بعد الآن، فاستلقت على ظهرها فوق الثلج.

فكرت بالدم الذي يسيل من فخذها على الثلج، وتخيلت كيف يشكل اللون الأحمر دوامات جميلة فوق اللون الأبيض، ويرسم زركشات مذهلة تنتشر من حولها في أنحاء الغابة.

تخيلت أنها تشاهد نفسها من الأعلى؛ وكأنها تطفو على ارتفاع عشرة أمتار في الهواء. شعرٌ أسود على الثلج يحيط برأسها كالهالة، وثوب سهرة - حتى لو تمزقت تنورته - تألق لونه وكأنه منسوج من الياقوت الأحمر، وأشكال متعرجة تمتد وتنتشر من حولها.

جميلة. ليست قبيحة.

قبيحة. سمينة. هزيلة. أسنان غريبة. صوت مزعج. شعر دهني. حذاء متسخ. ذراعان مشعرتان. غبية. حمقاء. ساقطة.

من أين أتيت بهذه الملابس؟ أهي من القمامة؟

إن والديك على الأرجح يخجلان من الخروج معك من البيت.

لو أنني أبدو بهذا الشكل، لما تجرأت على الخروج من البيت قط.

لا بد أنك ابنة بالتبني.

لن يود أحد على الإطلاق أن يقع في حبك.

لا يمكن لأحد أن يحب فتاة مثلك.

لماذا تنتحبين؟ إن كنت تجدين هذا مؤلماً، قولي لنا. آه، إنه مؤلم؟ اخرسي وإلا منحتك سبباً حقيقياً للبكاء.

أنت بشعة جداً لدرجة أن وجود بعض الكدمات يجعل شكلك أفضل.

كلمات، كلمات، كلمات، كلمات، كلمات، كلمات، كلمات، كلمات، عبارات، جمل، أسئلة، صيحات، قرص، خدش، ضرب، جر، سحب، دفع، ركل.

أنت لست تلك الكلمات. أنت لست تلك الصرخات والألقاب. لست تلك الكلمات الشريرة التي تبصق في وجهك كالعلكة عديمة النكهة. لست اللكمات والندبات التي تسببها. لست الدماء التي تسيل من أنفك. لست تحت سيطرتها. لست ملكاً لها.

في أعماقك، هناك جزء لا يستطيع أحد أن يلمسه. أنت هي أنت. أنت ملك لنفسك وفي داخلك الكون. تستطيعين أن تفعلي ما تريدينه وأن تكوني أي شخص.

لا تخافي، ليس عليك أن تخافي بعد الآن.

همست **لوميكي** بهدوء لنفسها: "ليس عليّ أن أخاف بعد الآن".

تصاعد البخار من فمها.

ظلت تتذكر وجهيهما وضحكاهما التي كان صداها يتردد مراراً وتكراراً في قاعات المدرسة؛ حتى بعد أن ينتهي اليوم الدراسي ويسود الصمت في المبنى.

تذكرت الروائح أكثر من أي شيء آخر. ففي السنوات الأولى، هناك الرائحة التي تفوح من الممحاة المعطرة. وبعد ذلك، هناك رائحة الحلويات التي اعتادتا أكلها سراً في الاستراحة؛ كحلوى توت العليق القاسية والسوس وحلوى التوفي والمانغا، ورائحة ملمع الشفاه بنكهة النعناع، وعطر الفانيلا من متجر أدوات التجميل؛ وهو الأول الذي تسمح الأمهات بوضعه في المدرسة. وبعد ذلك، أتت العطورات الحقيقية التي تتغير حسب اليوم والمزاج والملابس وصيحات الأزياء.

لقد تعلمت أن تميز تلك الروائح بسرعة ودقة عندما تشمها؛ بمجرد أن تبدأ بالاقتراب منها. وساعدها ذلك في بعض الأحيان لأنه منحها متسعاً من الوقت لتهرب وتختبئ، ولتتجنب رؤيتهما. ولكن الهرب لم يكن متاحاً لها في معظم الأوقات. فتعلمت عندئذ كم تكون رائحة العطر مثيرة للاشمئزاز عندما تمتزج مع العرق، أو كيف تكون رائحة البول في حمام الصبيان عندما تضطر لإقحام رأسها فيه وتؤمر بأن تلعق الخزف البارد القاسي.

ظل الاسمان عالقين في ذاكرتها، ولم يعد من الممكن أن تنساهما طيلة حياتها.

آنا صوفيا وفانيسا.

استمر ذلك الوضع من الصف الأول وحتى منتصف الصف التاسع. وبمرور كل عام، أصبحت الأيادي أقوى، والكلمات أقسى، والضربات أشد عنفاً وأذى. لم تعرف **لوميكي** لم اختارها الفتاتان هي بالذات. ربما لأنها ابتسمت بطريقة غير مناسبة، أو لأنها لم تبتسم على الإطلاق. وربما لأنها تحدثت بنبرة لم تعجبهما، وربما لأنها لم تتحدث. لم يكن ذلك مهماً. فقد تعلمت سريعاً أنها لن تتمكن قط أبداً من أن تغير نفسها أو سلوكها بما يكفي لتجعل **آنا صوفيا وفانيسا** تتركانها بسلام.

لم تخبر **لوميكي** أحداً بما يحصل معها على الإطلاق. ولم تفكر حتى بذلك على أنه خيار ممكن. فقد شكل الصمت القاعدة العامة المتبعة في بيتها. لا تسألي عن شيء، ولا تتحدثي عن أي شيء. فقد اعتبر والداها أن كل شيء يكون على ما يرام ما لم يتفوه أحد عنه صراحة بأي كلام مسيء. أما الكدمات والخدوش والمعصم الملتوي والملابس الممزقة، فقد اعتادت العثور على تفسير مقنع لها إن اقتضت الضرورة ذلك. وهكذا، أصبحت المدرسة ساحة معركة، ولكن **لوميكي** لم تستطع أن تحدد قط من هو الصديق ومن هو العدو. تطلبت استراتيجياتها الدفاعية تفكيراً عميقاً ومحاولات للتخفيف من فداحة الإصابات. وأدركت أن إخبار المعلمات سيزيد الطين بلة. فقد افترضت مسبقاً أنهن لن يصدقنها مهما قالت. إذ إن **آنا صوفيا وفانيسا** كانتا تجيدان التمثيل أمام الكبار، وتتمتعان بابتسامة بريئة.

عنف وتعذيب واستعباد. رفضت **لوميكي** في ذلك الوقت أن تعتبر ما تعانيه على أيديهما "تنمراً"؛ لأنه بدا كشيء ثانوي ومؤقت وبسيط، أي مجرد مرح ومزاح ودعابات تقومان بها.

في الصف الثامن، بدأت **لوميكي** سراً بممارسة رياضة الجري ورفع الأثقال. فقد قررت أن تصبح في أفضل حالة جسدية يمكنها الوصول إليها لتستطيع الهرب. نجح هذا الأسلوب بشكل جيد كل مرة، ولكنه لم يساعد في وضع حد لذلك الكابوس.

ذات مرة، في وقت متأخر من عصر يوم شتوي، وبعد أن اختفت الشمس وراء الأفق وأصبحت باحة المدرسة خالية من الطلاب والطالبات، اختبأت **لوميكي** خلف سلة المهملات إلى أن تأكدت من أن **آنا صوفيا** و**فانيسا** قد غادرتا المدرسة، وتحملت الرائحة الكريهة التي تصاعدت من قشور الموز وبقايا حساء البازيلاء وتبخرت في الهواء. ظلت تنتظر إلى أن ساد الصمت في المكان، وخيم شفق أزرق على باحة المدرسة بكاملها. وأخيراً، سلام وسكينة!

غادرت **لوميكي** مخبأها، وتحركت بصمت مطبق، فامتزجت مع الظلال الرمادية وكأنها ليست أكثر من نفحة رياح على الثلج المسحوق. وأصغت إلى أصوات السيارات القادمة من على بعد بضعة شوارع، وصوت نباح الكلاب في المتنزه البعيد. وسمعت صوت الثلج المتساقط على سقف المدرسة. ومع ذلك، فقد تأخرت في سماع صوت وقع خطوات **فانيسا** و**آنا صوفيا**. وفي تلك اللحظة، اندفعت هاربة بساقين ممتلئتين بطاقة متفجرة، ولكن ذلك لم يكن كافياً. فقد اقتادتها الفتاتان إلى الزاوية الخلفية الحديقة، حيث تحيط بالمكان جدران عالية من القرميد. فركضت **لوميكي** نحو الجدار، ونزعت قفازيها ودستهما في جيبيها. وعندما وصلت إلى الجدار، أمسكت قطع القرميد بأصابعها، وحاولت أن تتسلّقه، فلم تستطع قدماها

العثور على أي موطئ لهما، وتجمدت أصابع يديها في الهواء البارد، وعجزت عن الإمساك بأي شيء. لقد وقعت في الفخ!

التفتت **لوميكي**، وضغطت ظهرها على الجدار القرميدي، واستعدت لتلقي ضرباتهما. فقد تعلمت كيف تتلقى الضربات، وباتت على دراية بأفضل طريقة تستطيع أن تحمي بها نفسها؛ أي متى تأخذ شهيقاً ومتى تزفر ومتى تشد عضلاتها ومتى ترخيها. ومع ذلك، تمنت ألا يستمر الضرب في ذلك اليوم وقتاً طويلاً. فقد جمد البرد عظامها، وشعرت أنها تريد الذهاب إلى الحمام. تمنت أن تذهب إلى البيت، وتأكل وجبة أصابع السمك شبه المحروقة التي يعدها أبوها، وأن تؤدي واجبها المنزلي بذهن صافٍ لا يعكر صفوه شيء.

اقتربت **آنا صوفيا** و**فانيسا** منها من دون أن تتفوها بأي كلمة. فوجدت **لوميكي** الصمت أسوأ حتى من الإهانات والتهديد؛ لأنه جعلها في حالة مريرة من الترقب. تسللت الفتاتان نحوها بنعومة كذئبتين، ولكن **لوميكي** في الواقع كانت تفضّل لو أنها تقابل ذئاباً حقيقية غاضبة وجائعة بدلاً من تينك الفتاتين اللتين يلمع شعرهما في الشفق، وتتلألأ شفاههما بلون أحمر قرمزي. فهما تنتميان لنوع كائنات أخطر من ذلك بكثير، ويضخّ قلبهما جليداً بدلاً من الدم الدافئ.

عدت **لوميكي** ببطء عداً عكسياً من الرقم عشرة بانتظار حدوث الخرق الأول لحدودها الجسدية. فلم تعرف ما إذا كانت ستتلقى دفعة خفيفة على الكتف، أم ركلة سريعة في المعدة، أم كتلة من النعناع تبصق في وجهها.

عشرة، تسعة، ثمانية، سبعة...

شعرت **لوميكي** فجأة بشيء بارد وغريب وأحمر ينمو في داخلها ويتفجر من أعماقها. إنه الغضب والغيظ ورغبة عمياء في ألا تخشى شيئاً بعد الآن. فاختفت الأرقام، واختفى التفكير، واختفى الزمان والمكان. ولم تستطع أن تعرف ما حدث بعد ذلك. فجزء من ذاكرتها بات مفقوداً، وأصبح أشبه بحفرة سوداء في خطها البياني.

تذكرت أنها رأت نفسها جالسة فوق **آنا صوفيا** على الثلج وهي تضربها على وجهها بكل قوتها، وتشعر بسائل رطب وداكن على يدها. وتذكرت بشكل مبهم أنه دم نازف من أنف **آنا صوفيا**. وتملكها إحساس غامض أن **فانيسا** حاولت أن تبعدها عنها، فضرب مرفق يدها معدة **فانيسا**، وانهارت الفتاة على الأرض.

لم تعرف **لوميكي** كم مضى عليها من الوقت وهي تنهال بالضرب على **آنا صوفيا**. فقد شعرت أنها تراقب نفسها من مكان بعيد، وترى فتاة تسيل الدموع والمخاط أنهاراً على خديها وفكها، بينما ذراعاها تصعدان وتهبطان بعجز بعد كل ضربة تسددها لها. هل تلك هي فعلاً؟ أليس من المفترض أن يكون الوضع معكوساً؟ **آنا صوفيا** تنتحب وتحمي وجهها، **وفانيسا** تمسك معدتها وتصيح على **لوميكي** كي تتوقف. أليس هذا الوضع معكوساً؟ وفجأة، تراجعت **لوميكي** إلى الخلف عندما شعرت بجسد **آنا صوفيا** الطري والمذعن تحتها، ثم تلاشى غضبها.

نهضت على قدميها، وشعرت بساقيها ترتعشان، وبذراعيها تسترخيان على جانبيها، بينما أخذ البرد القارس ينهش أصابعها. فمسحت وجهها الرطب بيدها. جلست **آنا صوفيا** متقوقعة على نفسها، وركعت **فانيسا** بجانبها. لم تنظرا إلى عينَي **لوميكي** ولم تنظر

لوميكي إلى عيونهما. ولم تنطق أيّ منهنّ بحرف. فقد تحدث الصمت بوضوح أكثر من الكلمات.

انطلقت **لوميكي** إلى البيت بساقين مجهدتين ومرتجفتين. ولم يتملكها أي خوف من أن تلحق بها الفتاتان وتسعيا وراء الانتقام؛ فهي لم تعد تخشى شيئاً، ولم تعد حتى تشعر بأي شيء أو تفكر بأي شيء. في منتصف الطريق إلى بيتها، توقفت في طرف الشارع وتقيأت. فوجدت حساء البازيلاء لا يزال يبدو على حاله قبل أن تأكله.

وعندما وصلت إلى البيت، تسللت إلى الحمام مباشرة قبل أن يتسنى لوالديها أن يرياها. فبدت الفتاة التي أطلت عليها من المرآة غريبة عنها. وعندما رأت بقعاً من الدماء على خديها، رفعت يدها، ولمستها بدهشة، ففعلت الفتاة في المرآة الشيء نفسه. لم يكن الدم دمها هي، بل دم **آنا صوفيا** الذي مسحته **لوميكي** عن وجهها بيديها. غسلت وجهها مرة ومرتين وثلاث مرات وأربع مرات بماء ساخن قدر المستطاع، وفركت يديها بالصابون إلى أن بدأتا تلسعانها.

وعندما أوت إلى فراشها في تلك الليلة، استغرقت في النوم مباشرة، وظلت نائمة حتى الصباح من دون أن تراودها أية أحلام أو كوابيس. وعندما رن منبه هاتفها الخليوي في الصباح، استولى عليها أسوأ شعور شعرت به في حياتها، وربما أسوأ مما كانت ستشعر به لو أنها هي من تعرضت للضرب والركل في اليوم الفائت.

أيقنت **لوميكي** أن الحادثة لن تنتهي عند ذلك الحد، وأن **آنا صوفيا وفانيسا** لن تدعا الأمر يمضي بسلام. فلا بد أنها ستنال عقوبتها منهما بطريقة أو بأخرى. فهما لم تكونا لتتخليا عن الانتقام قط.

مر يوم ثم يومان ثم ثلاثة، ثم أسبوع وشـــهر ولم يحـــدث أي شيء. فقد تركتها **آنا صوفيا وفانيسا** وشأنها أخيراً. ورغم أنها ظلت منعزلة عن بقية طلاب الصف ولم يجرؤ أحد على التحـــدّث إليهـــا طوعاً، إلاّ أنه لم يعد هناك مزيد من الضرب أو الشتائم أو الرســـائل النصية التي تهدد بقتلها.

انتهى كل شيء ببساطة.

بدأت **لوميكي** تثق أكثر فأكثر أن كابوسها الأسود قد انجلى، فباتت تتنفس بحرية أكبر من أي وقت مضى. وبعد ذلك، حل الربيع وجلب معه المزيد من النور والدفء، وتناقص عدد الأيام الدراســية. وبينما هي تصغي للجميع وهم يغنون أغنية الاحتفـــال بـــالتخرج، شعرت **لوميكي** بحمل ثقيل ومرهق ينـــزاح عن كاهلها. وبعـــد أن استلمت شهادة دراستها للصف التاسع، مشت إلى ضوء الشـــمس الساطع وإلى الصيف والحرية.

لمع الثلج بلون أصفر ثم برتقالي. وبعد لحظة، تحـــول لونـــه إلى أخضر. فرأت **لوميكي** الأضواء، وسمعت صوت طقطقة. وبعد ذلك، تساقطت نجوم ذهبية من السماء، ثم عادت الـــورود الضـــخمة إلى الحياة، وتفتحت وريقاتها وذابت واختفت، وشق حصـــان أحـــادي القرن طريقه إلى القمر، ورقصت الكواكب. إنها الألعاب النارية!

على شرف "الدب القطبـــي"!

كانت الساعة على الأرجح تشير إلى الثانية عشرة والنصف.

تذكرت **لوميكي** جهاز تحديد الأماكن المثبت علـــى فخـــذها برباط الجوارب. وفكرت بالتعليمات التي أعطتها **لإليزا** في حـــال لم

تعد من الحفلة أو تتصل بها بحلول منتصف الليل.

لقد توجب عليها مغادرة الحفلة قبل أن تدق الساعة معلنة الثانية عشرة.

ولكن، أليست تلك قصة مختلفة؟ قصة **سندريلا**؟

استمر صوت فرقعة الألعاب النارية، فسبحت **لوميكي** خيالها مع أمواج الألوان المتعددة، وشعرت أنها بحال جيدة ولكنها متعبة ليس إلا.

كل مساء عندما ينطفئ المصباح ويحل الليل الحقيقي.

أليس هذا ما تقوله التهويدة؟

أليس الحلم الأزرق يبدأ هكذا؟

أزرق ساطع!

ظنت **لوميكي** لفترة أن الألعاب النارية ما زالت تنفجر وتفرقع. ثم أدركت أنها لم تعد تسمع صوت انفجارات بل أصوات عويل وبكاء.

جدار أبيض، ورائحة معقم، وأضواء ساطعة.

ألم مقزز ينتفض في عروقها وينتشر في جسدها. لم تستطع **لوميكي** أن تفكر به، ولكنها شعرت بطعم المضادات الحيوية في فمها.

صوت قطرات تتساقط. شعرت بشيء يتدفق في داخلها؛ شيء مثبت فيها. تذكرت بشكل مبهم أن هناك أسماء للأشياء التي تحيط بها، ولكنها لم تجد في نفسها القوة الكافية لتفكر بها.

شخوص تتحرك أمام الأضواء.

وجوه مألوفة.

ماما. بابا.

أصوات من بعيد خلف الزجاج، على الجانب الآخر من الجدار.

"قال الطبيب إنها تجاوزت مرحلة الخطر. لا تبكي يا عزيزتي. ستكون على ما يرام، فهي مقاتلة".

"لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير. لا أستطيع أن أتحمل فكرة فقدانها هي أيضاً".

"لن نفقدها. هدِّئي من روعك".

هي أيضاً! من فقد والدها ووالدتها؟ همّت **لوميكي** بطرح السؤال عليهما، ولكنها عجزت عن صياغة الكلمات. فقد تطلب مجرد فتح فمها مجهوداً عظيماً. وأرادت فقط أن تستغرق في النوم. فقررت أن تتذكر طرح السؤال في وقت لاحق، ولكن بعد أن تنام مائة عام وليس أقل من ذلك.

ولكن، أليست تلك قصة مختلفة؟ قصّة الجميلة النائمة؟

شعرت **لوميكي** بنفسها تغوص في السرير، وتتسلل عبر فراشه الوثير والناعم إلى أعماق النوم؛ كأنها تسبح داخل طبقات من الغيوم وتحلق في السماء.

خاتمة

بعد أربعة أشهر

على البطاقة، كانت هناك صورة بالأبيض والأسود لرجل يحمل قطة صغيرة بوضعية هزلية طريفة. فلم تشعر **لوميكي** حتى بالحاجة إلى أن تقلب البطاقة لتعرف المرسل.

مرحباً يا فتاة،

كل شيء على ما يرام هنا. لم تعد أمي متوترة كالسابق. أما أنا، فأنام طوال الليل من دون أن أستيقظ بين الحين والآخر. ولم أعد أتلفت ورائي طوال الوقت عندما أمشي في الشارع. من الجيد أن أذوق طعم الحرية ولو لفترة من الزمن. سأقدم أوراقي قريباً للالتحاق بمدرسة للتجميل. وإن تم قبولي، فسوف أبدأ الدراسة في فصل الخريف. إنني واثقة من أن هذا هو الاختصاص الذي أبرع فيه.

جينا

ملاحظة: لقد بدأت أعتاد على اسمي الجديد. ولم أعد ألتفت إن صاح أحد باسمي القديم في الشارع أو ما شابه.

ملاحظة ثانية: لم أذهب لزيارة والدي بعد. ربما أذهب في وقت ما، ولكنني ما زلت لا أقوى على فعل ذلك الآن. إنني واثقة من أنك تتفهمين موقفي. لا أستطيع حتى أن أكتب إليه أي شيء من دون أن أجهش بالبكاء.

ملاحظة ثالثة: لقد نسجت لك قفازين. سيصلانك في البريد لاحقاً. إنني آسفة لأنّ صنعهما استغرق وقتاً طويلاً. فأنت فلم تعودي بحاجة إليهما بعد الآن، ولكنك ستستفيدين منهما في الخريف القادم.

ابتسمت **لوميكي** وألقت نظرة من النافذة. كانت **إليزا**، أو **جينا** الآن، محقة في ما كتبته. فقد وصل شهر حزيران إلى نهايته بعد أن ارتفعت فيه الحرارة إلى درجة غير مسبوقة. وبدا كل شيء متفتحاً وفواحاً وساطعاً.

سرت **لوميكي** لمعرفتها أن **إليزا** تبلي بلاء حسناً في حياتها الجديدة. فقد دخل والدها السجن إلى جانب **بوريس سوكولوف** بعد أن تم البت بقضيتهما بسرعة غير عادية. فقد أرادت الشرطة على الأرجح أن تحصل على سجل فارغ بأسرع وقت ممكن وتبدأ بتلميع صورها أمام الناس. فحكم كل منهما بالسجن لفترة طويلة، كما تم الحكم على مساعد **سوكولوف** الإيستوني **لينارت كاسك** بالسجن على حد سواء. وانتقلت كل من **إليزا** وأمها إلى مكان آخر من البلاد وغيرتا اسميهما، وذلك على الأرجح يعتبر تصرفاً ذكياً في ظل تلك الظروف. وأقسمت **إليزا** أمام "منظمة حماية الأطفال" أنها أقلعت بشكل كامل عن المخدرات، وصدّقتها **لوميكي**. وبات الآن

يتوجب على **إليزا** وأمها أن تجدا طريقة مختلفة تماماً لتعيشا حياتهما وتكوّنا عائلة متماسكة ومستقرة. ولم يكن ذلك كله شيئاً سيئاً بالضرورة.

انجذبت يد **لوميكي** اليسرى بشكل غير إرادي نحو شعرها القصير في مؤخر عنقها. لم تصبح بعد معتادة على هذه القصة القصيرة؛ مع أنها منحتها شعوراً بالحرية. وحالما بدأت جذور شعرها تظهر وجعلتها تبدو وكأنها تصاب بالصلع، اتخذت قرارها. فأنبوب مفرغ من الصبغة لم يشكل فكرة مغرية في نظرها. ولم تكن مهتمة بالطريقة التي يلفت بها الجمع بين البشرة الفاتحة والشعر الداكن الانتباه لاسمها. إذاً، شعر قصير ولون شعرها الطبيعي هو ما قرّرت الإبقاء عليه، وأحبت البساطة التي منحها إياها.

شعرت **لوميكي** بالأمان عندما شاهدت على صفحة المرأة فتاة مختلفة كلياً عن الفتاة التي حضرت حفلة الدب القطبي. لم تتملكها في الواقع أية خشية من أن يميزها أحد من الحاضرين في الحفلة في الشارع؛ لأن الناس يصبحون عمياناً بشكل يثير الدهشة عندما تتم إزالة الصور الذهنية من سياقها الأصلي، ولأن لا أحد سيتخيل أن فتاة لا تضع أي تبرّج وتتمشى على طول الشارع منتعلة جزمة عسكرية قديمة وسترة جيش خضراء من الممكن أن تحضر حلفة من المستوى الراقي. لذا، فالنتيجة واضحة: ليست الفتاة نفسها. فالعقل البشري يعمل بهذه البساطة، أي إنه شديد الغباء، وهذا ما وجدته من حسن حظها.

على مدى الشهرين الفائتين، أرسلت **إليزا** إلى **لوميكي** عدة بطاقات بريدية. فاحتفظت بها **لوميكي** تحت قعر الدرج العلوي المزيف للخزانة في غرفتها القديمة.

نعم، لقد عادت للعيش في بيت أبويها في **ريهيماكي**، أي في المنزل الذي نشأت فيه. إذ بعد حوادث الشتاء، حققت الشرطة معها، ثم فعل والداها ذلك بدورهما. فأخبرت كلاً من الجهتين أقل التفاصيل الضرورية. ولكن والديها طالباها بأن تنتقل إلى البيت في الوقت الحاضر، ورضخت **لوميكي** لطلبهما؛ رغم أن غرفتها كانت صغيرة الحجم وتعج بذكريات الماضي التي تريد أن تنساها. وأصبحت تذهب إلى المدرسة بالقطار؛ رغم أنها اضطرت للاستيقاظ في ساعات مبكرة جداً من الصباح.

للوقت الحاضر.

فكرت **لوميكي** أنها ستنجح في إقناع والديها طوال فترة الصيف أنه بات من الآمن بالنسبة لها أن تعود للعيش وحدها في **تامبيري**.

لم ينظر إليها أحد باستغراب في المدرسة لأنهم لم يعرفوا شيئاً عما حدث. أما **كاسبر وتوكا**، فقد تعرضا للطرد من المدرسة بعد أن افتضح أمر تورطهما بحفلة المخدرات واقتحام المدرسة. ورغم أن الأمور تمت بأكبر قدر من الهدوء والسرية، فقد انتشرت شائعات في أنحاء المدرسة، ولكن لم يعرف أحد أن **للوميكي** أية علاقة بما حصل. ووصل بعض تلك الشائعات إلى حد مفرط من المبالغة، ولكن لم تقترب أي منها من جنون الحقيقة.

دخل **تيرهو فيسانين** السجن، وكذلك بوريس **سوكولوف**، ولكن "الدب القطبي" بقي حراً طليقاً، أو بالأحرى بقيتا كذلك.

أبقت **لوميكي** فمها مغلقاً بإحكام حولهما خلال استجواب الشرطة لها. فقد أدركت أنها إن تفوهت بأي شيء فسوف ينتهي بها

المطاف بتعريض نفسها للأذى من دون أية فائدة. إذ لم يكن لـــديها أي دليل على تورط التوأمين في أي شيء. ولم تكن حتى في الواقـــع تعرف أي معلومات عنهما.

لم تسألها الشرطة عنهما. فقد كان مكان إقامة الحفلة وكل مـــا فيه مسجلاً باسم **بوريس سوكولوف**. ولم يكن هنـــاك رسميـــاً أي شخص يدعى "الدب القطبـــي". فلم يرهما أحد ولم يســمع بهمـــا أحد. وهكذا، لا يهم إن كان الدب القطبـــي رجـــلاً أم امـــرأة أم توأمين.

ربتت **لوميكي** على حافة البطاقة البريدية بإصبعها. واستغربت أن **إليزا** فضلت إرسال البطاقات البريديـــة بـــدلاً مـــن الرســـائل الإلكترونية. فقد وجدت في ذلك التصرف عيباً آخر فيها، وغرابـــة أطوار جعلتها تحبها أكثر من ذي قبل، وهذا ما فاجأهـــا. ففكـــرت **بإليزا** عندما رسمت زهرة وردية صغيرة في زاوية لوحتها التي أطلقت عليها اسم "الصديقات". لم يكن باستطاعة أحد أن يلاحظ وجودها ما لم يدقق النظر فيها عن كثب.

وضعت البطاقة مع البطاقات الأخرى تحت قعر الدرج المزيف، حيث يوجد مغلف آخر تلقته مباشرة بعد أن خرجت من المستشفى، وفي داخله ورقتان من فئة 500 يورو، أي مبلغ ألف يورو. كان ذلك المبلغ مجرد جزء بسيط من الثلاثين ألف يورو؛ حيـــث لا يمكـــن أن يفتقده أحد. ولم تعرف **لوميكي** إن أخفى **كاسبر وتوكا وإليزا** المزيد من المال، ولم تسأل عن ذلك.

فقد كان مبلغ ألف يورو بحد ذاته سراً كـــبيراً لكـــي تضـــطر لكتمانه.

اعتادت **لوميكي** على الاحتفاظ بالأسرار طوال حياتها. فلطالما كانت لديها أسرار؛ أحياناً كبيرة وأحياناً صغيرة. وبينما هي تغلق درج الخزانة، تخيلت نفسها وهي تعلق الباب على الأسرار الأخرى التي لم يكن لديها أي دليل ملموس يثبت وجودها.

شخصية "الدب القطبي" الغامضة، والمرأتان اللتان تطلقان على نفسيهما لقبه.

آنا صوفيا وفانيسا وما فعلتاه بها خلال فترة الدراسة الابتدائية والإعدادية.

الشخص المهم الذي فقده أبوها وأمها ولكنها لم تستطع أن تستجمع الشجاعة لتسأل عنه منذ أن عادت إلى البيت من المستشفى. ففي بيت مفروش بالمحرمات، لا يمكن للمرء أن يبدأ بالتزيين وكأن شيئاً لم يكن.

والشخص الذي أمسكت **لوميكي** بصورته الآن. إن الصورة الفوتوغرافية تعتبر بالطبع دليلاً ملموساً يشير إلى أن الشخص حقيقي. ولكن، لا شيء يثبت أن **لوميكي** أحبته وأنه أحب **لوميكي**؛ لو أحبها. ومع ذلك، أرادت **لوميكي** أن تصدق أنه أحبها فعلاً.

ربتت على الصورة بإبهام يدها بحنان وتوق. شعرٌ بني قصير يتراوح لونه ما بين القمحي والكستنائي. خد وكتف وذراع. شعرت أنها مسحورة مرة أخرى بتينك العينين الزرقاوين الفاتحتين. قد يرى بعض الناس نظرة عينيه حادة وساحرة، ولكن **لوميكي** رأت فيهما ما هو أعمق من ذلك. فقد رأت الدفء والحيرة والسعادة والنور.

أدخل التوق إلى نفس **لوميكي** قوة مدهشة. لقد ظنت أن توقها خف بحلول ذلك الوقت، ولكنها أدركت أنها مخطئة.

فقد ظل ذلك الاسم يداعب شفتيها حتى الآن؛ ذلـــك الاســـم الذي لطالما همسته وصاحت به. لم تقوَ على نسيانه بعـــد، فهـــي لم تصبح مستعدة لذلك، أو ليس الآن، وربما إلى الأبد.

أقفلت **لوميكي** الدرج، مع أنها وجدت ذلك إجراء احترازياً لا داعي له. ونظرت إلى المفتاح ذي اللمعة الخافتة الذي بدا عادياً وغير مميز.

في سالف الأزمان، كان هناك مفتاح صغير يمكنه أن يفـــتح أي قفل.

ليست هذه بداية مناسبة للقصص الخيالية، ولكن قصصاً أخرى أكثر بهجة وإشراقاً هي التي تبدأ بها.

سَالا سيموكّا (1981–) مترجمة، ومؤلفة لكتب أدبية لليافعين، ولدت ونشأت في تامبيري؛ ثاني أكبر مدن فنلندا. وعندما بلغت سن التاسعة من عمرها، اتخذت قرارها بأن تجعل الكتابة الأدبية مهنة لها، فنشرت أول نسخة من أول كتاب لها وهي في الثامنة عشرة من عمرها، ثم عكفت على تأليف عدة روايات ومجموعة من القصص القصيرة لليافعين، كما ترجمت مجموعة كتب من أدب البالغين وكتب الأطفال والمسرحيات.

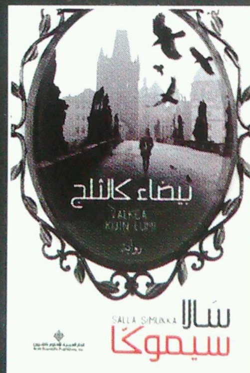
فازت سالا سيموكّا بجائزة «توبيليوس» عام 2013 لأفضل رواية للشباب عن روايتها «من دون أثر» وعن رواية «في مكان آخر»، بالإضافة إلى جائزة فنلندا عام 2013.

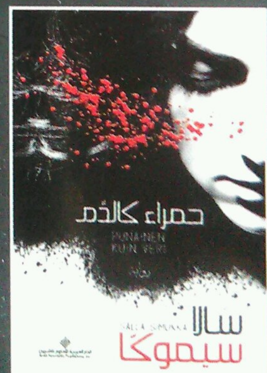


«... وكانت هناك فتاة،
كانت قد تعلّمت الخوف».

تتألف ثلاثية «بياض الثلج» من روايات:
«حمراء كالدَّم» و«بيضاء كالثلج» و«سوداء كالأبنوس».







 facebook.com/ASPArabic

 twitter.com/ASPArabic

ISBN 978-614-01-1305-3





كتبنا متوفرة على الانترنت



